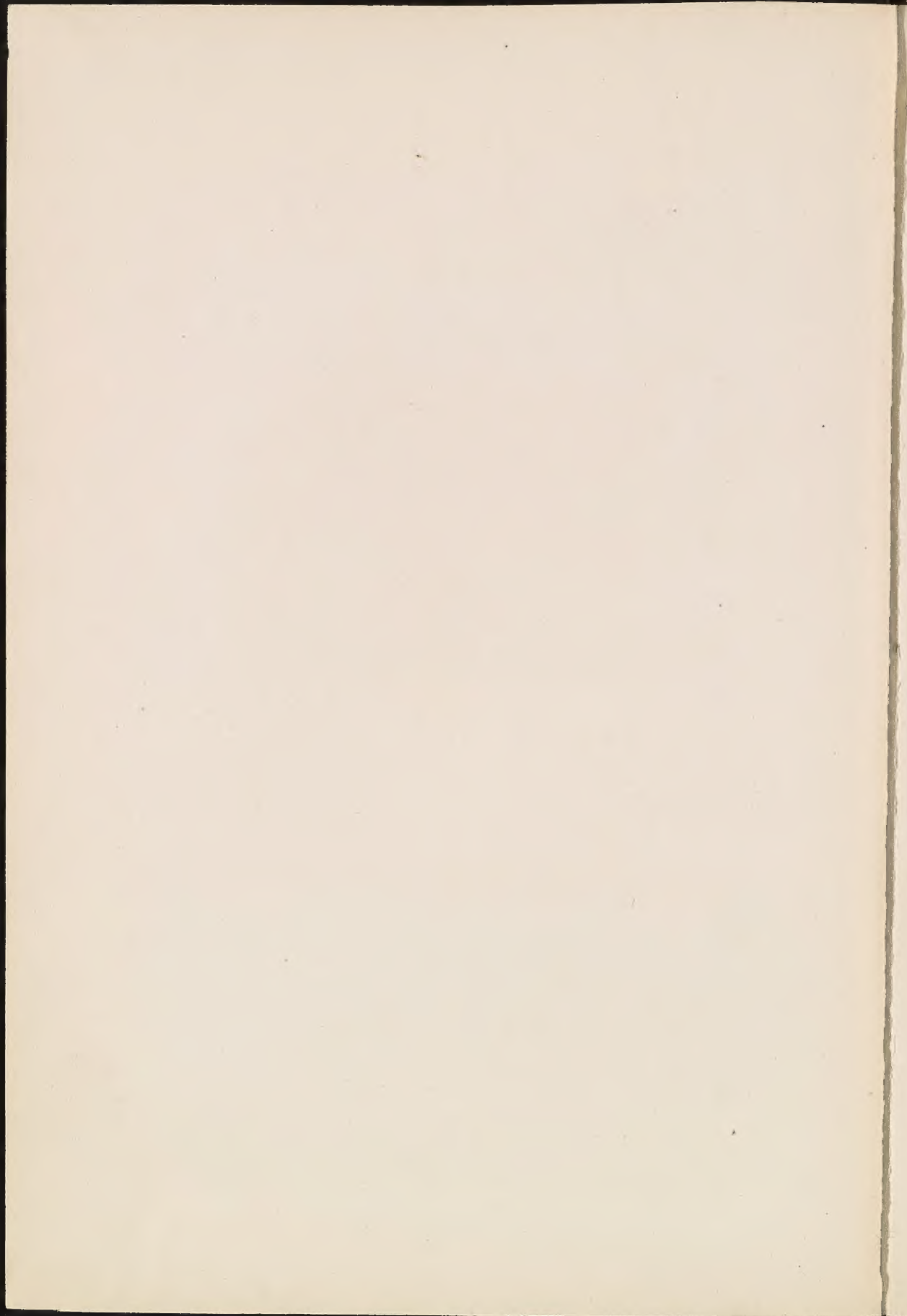


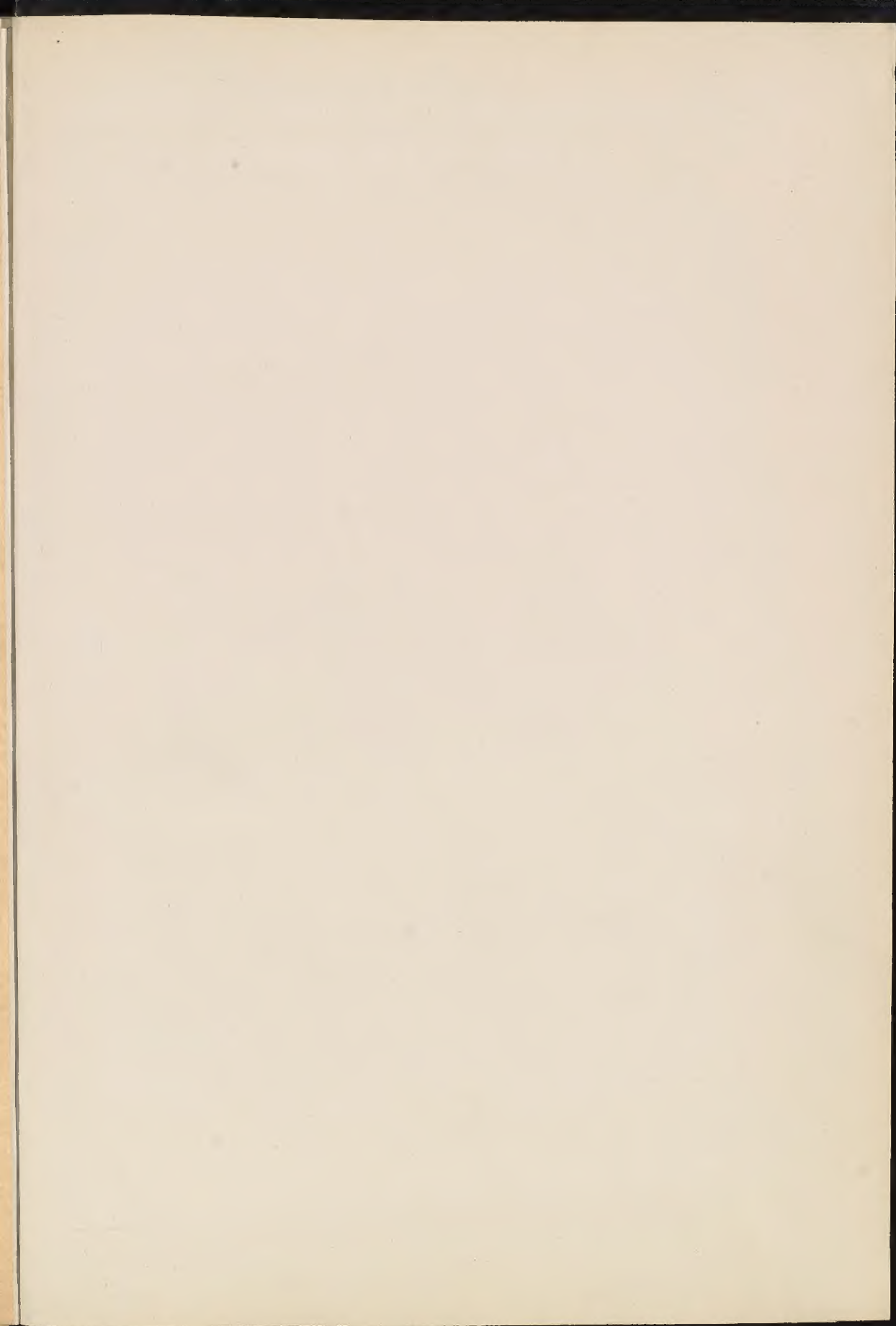
RE

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







Original - author's name: Zohar
his title, phil. copy and
Poetry

محمد اقبال

سیرتہ و فلسفہ و شعرہ

الدكتور عبد الوهاب عزام
مفیر مصر فی پاکستان

الٹمن ۲۰ قرشا

CAIRO
1954

مطبوعات پاکستان
۱۹۵۴ - ۱۳۷۳ھ



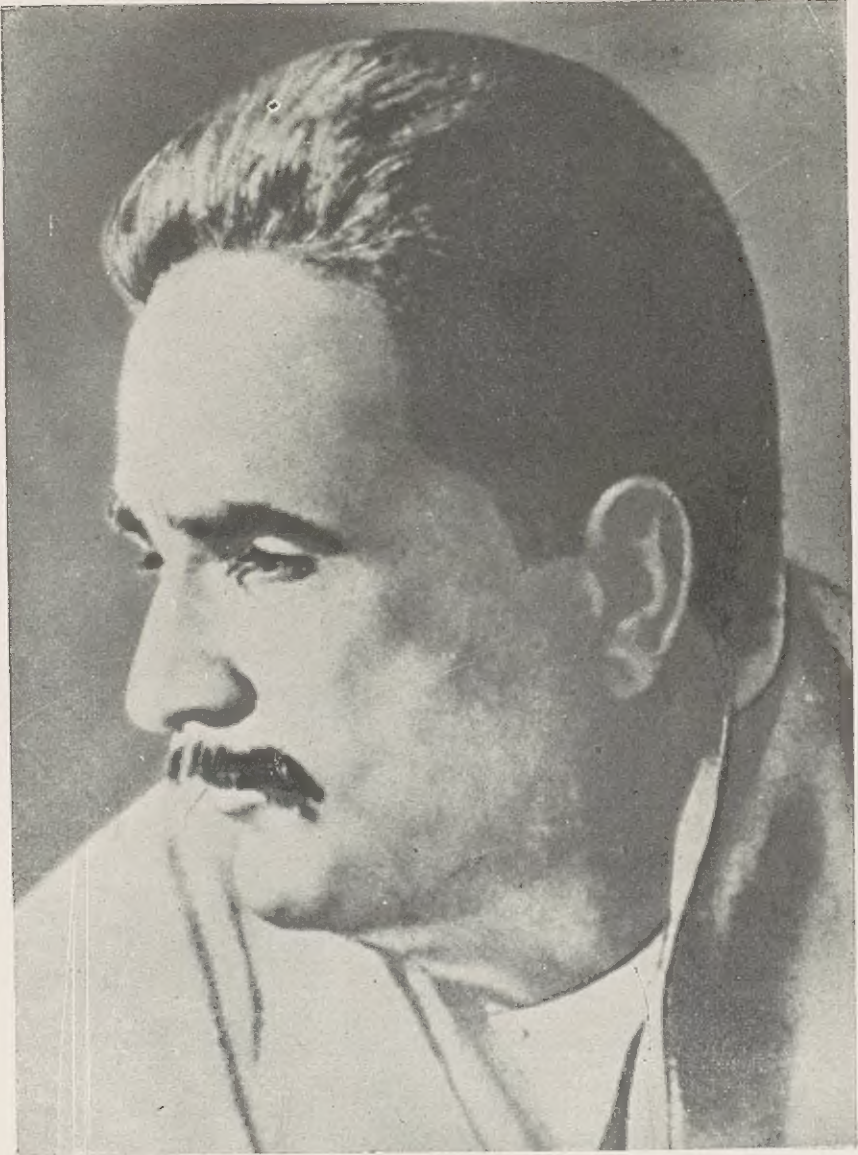
محمد اقبال

سیرتہ و فلسفہ و شعرہ

الدکٲور عبد الوہاب عزام
سفیر مصر فی پاکستان

مطبوعات پاکستان
۱۹۵۴ - ۱۳۷۳ھ

892.8 Ik1
DA



المغفور له الدكتور محمد اقبال



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

— ١ —

محمد اقبال شاعر نابغة ، وفيلسوف مبدع ، احتفل في باكستان وغيرها في نيسان الماضي بالذكرى الرابعة عشرة لوفاته • وذكره يشيع ، وصيته يذيع على مرّ الأيام ، ولا سيّما منذ نشأت دولة باكستان — وهى حقيقة تخيلها والناس منه يضحكون ، ويَقْظَةُ حَلَمَ بها واليائسون به يتفكهون •

احتفى الناس بذكراه كل عام ، وكثرت المجامع فى كل ذكرى ، تشيد بدعوته ، وتدعو الى رسالته • وشرع أدباء الأمم يَغنَوْنَ بترجمة شعره الى لغاتهم •

وقد سُئِلت أن أكتب فى سيرته وفلسفته وشعره كتابا مجملا ، أجعله مقدمة لتفهّم دواوينه التى ترجمتها الى اللغة العربية • فأجبت على العِلات ، وعلى كثرة الشواغل •

وأنا لا أدعى الى اقبال ألا لبّيت ، استجابة لما فى نفسى من عشق ، واكبّارا لهذا الشاعر الفيلسوف المؤمن •

وهذه مقدمة أقدمها تعريفاً به • أقدم فيها ما يقرب الى القارىء صورته ويَجْمِلُ له دعوته ، لِيَتَهَيَّأَ لقراءة هذا الكتاب طلبا للتفصيل ورغبة فى المزيد ، وشوقا الى شعر يَدْعُ وفلسفة أَتَف ، واعجابا بالفكر المخلّق،

— ٣ —

والمفكر الحر ، والفيلسوف الذى لا يَسِير مع الزمان ، ولا يخضع لتقلب
الحداث ، والشاعر الذى يَنْفخ الحياة فى المَوَات ، ويبعث فى القفر ألوان
النبات ، ويثْعِل الجمر الخامد ، فى الرماد الهامد •
أبين فى هذه الكلمات كيف سمعت بأقبال اسما مبهما وقولاً مُعْجِماً ،
وكيف زادت معرفتى به على مرّ الزمان حتى وقعت فى بحره وسَبَحْتُ
فى لُجَّه ، ثم أويت الى الساحل أنظر العباب الزاخر ، والآذَى الثائر ،
وأصف ما رأى لمن لم يعرفه معرفتى ، ولم يولع به ولوعى •

— ٢ —

سمعت وأنا فى بلاد الانكليز ، قبل وفاة الشاعر بأكثر من عشر سنين،
أن فى الهند صوفيا اسمه اقبال له نظرات فى التصوف ، وله فلسفة فى
النفس ، وأن ذكره جاء فى بعض المجلات الأوربية ، وكلامه نُشر فيها •
وأنا نزع الى الصوفية منذ نشأت • وزادنى معرفة بها ورغبةً فيها
وحُباً فى المزيد منها ، أن تعلمت اللغة الفارسية وقرأت الشعر الفارسى ،
وأعلام شعراء الفرس وأشدّهم استيلاء على النفوس واستحواداً على
القلوب هم الصوفية منهم • وقد أثّروا تأثيرهم فى الشعر الفارسى حتى
لا يخلو شاعر فارسى من نفحة صوفية •

لبثت متشوقا الى اقبال ، أخباره وشعره وفلسفته ، على قِلَّة ما سمعت
عنه ، وعلى غموضه وعلى كثرة شواغلى •

— ٣ —

وما أحسب علمى به زاد على هذه النُتف من الأخبار ، حتى صحبت
الصديق الشاعر محمد عاكف ، رحمه الله — وكان صديقى ورفيقى وأنيسى
فى حُلوان دارِ اقامتنا ، وفى جامعة القاهرة — فأرانى يوما ديوان پیام
مشرق أحد دواوين الشاعر اقبال • وما قرأت من قبل ولا سمعت من
شعر اقبال كثيرا ولا قليلا •

وقال محمد عاكف : ان صديقا — وأحسبه سفير تركيا فى أفغانستان

— ٤ —



الدكتور عبد الوهاب عزام



يومئذ — أرسله الى • فأقبلنا على الديوان نقرأ معاً فتعجب بالفكر
والشعر ، ومنتقل في روضة أنتف تكلفى العينَ والنفسَ بيهجتها من النوار
والزهر ، مختلف الألوان والأشكال ، مؤتلف الروق والجمال •

عرفت اقبالا في كلامه يومئذ ، ولكنها معرفة من قرأ قليلا من كلامه ،
غير خبير بعباراته ، ولا عارف بأشاراته ، ولا مدرك فلسفته ومذاهبه
ودعوته ومقاصده •

ولا تزال نسخة پیام مشرق التى أعارنى اياها الصديق محمد عاكف ،
عندى . عليها علاماته في مواضع الاعجاب ، أو مواضع السجود من الشعر
كما قال الفرزدق ^١ وهى عندى ذكرى اللقاء الأول لقاء اقبال في ديوان
رسالة المشرق . وذكرى شاعر الاسلام محمد عاكف •

ثم أهدى الى أحد مسلمى الهند . وقد عرف حتى اقبالا وحرصى على
الاستزادة من كلامه . المنظومتين : أسرار خودى ورموز بى خودى •
فرايت فيهما أسلوبا بدعا من الفلسفة التى سمّاها فلسفة خودى (الذاتية)
وطريقة عجباً في الشعر ، ومذهبا معجباً في التأليف بين مذهبيه وبين
الاسلام ، عقائده وفلسفته وحضارته وتاريخه • وما زال أصحابى في
بلاد العرب والعجم يتحفوننى بما تناله أيديهم من دواوين اقبال ، فأزداد
معرفة به واعجاباً وحُباً وغراماً •

وشرعت أنشر ترجمة منشورة لشعره في مجلة الرسالة • ولا أدري كم واليت
نشر قطع من شعر اقبال وعرفت به • وقد دعيت قبل وفاة الشاعر بوضع
سنين وأنا في مدينة الاسكندرية ، الى التحدث عنه • وكان الأدباء في بلاد

(١) يروى أن الفرزدق سمع بيت لبيد :

زبر تجد متونها اقلامها

وجلا السيول عن الطلول كانها

فسجد • فمثل عن السجود فقال أنا معشر الشعراء نعرف مواضع السجود في الشعر

العرب عَرَفُوهُ بى ، وعَرَفُونى به • فتحدثت بما راع السامعين من فلسفة
الشاعر وشعره •

وشرعت سنة ١٩٣٦ م أنظم منظومة سَمَّيتها اللمعات وأهديتها الى
اقبال ونشرت مقدمتها فى مجلة الرسالة ١ •

— ٤ —

وكان من سعادة الجَدِّ وغِبْطَةِ العَيْنِ والقلب ، أن قدِم اقبال مصر فى
طريقه الى المؤتمر الاسلامى الذى اجتمع فى المسجد الاقصى سنة ١٩٣١ م
ودعت جمعية الشبان المسلمين الى الاحتفال بالرجل العظيم • واقترح
أستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله أن أقدم محمد اقبال الى
الحضور • اذ كنت ، على ضآلة معرفتى ، أعرفَ الحاضرين به • وكان هذا
شرفا لى وسرورا ، وفاتحة من عالم الغيب لصحبة طويلة • صحبة المرید
للمرشد • والتلميذ للأستاذ ، ومقدمةً لجهد مديد فى الكتابة عن الشاعر
والحديث عنه ، وترجمة دواوينه الى العربية •

تحدثت ما وسعت معرفتى ، وأنشدتُ أبياتا من ديوان رسالة الشرق
عَلِقْتُ بذهنى •

وهى فيما أتذكر :

أى که در مدرسه جوئی أدب ودانش وذوق
نه خورد باده کس از کارگه شیشه گران
خرد افزود مرا درس حکیمان فرنگ
سینه افروخت مرا صحبت صاحب نظران
برکش این نغمه که سرمایه آب و گل تست
أى زخود رفته تہى شو ز نوای دگران

(١) نشرت من بعد مع ترجمة رسالة الشرق فى كراچى سنة ١٩٥٠

— ٦ —

و ترجمتها :

يا من يطلب في المدرسة المعرفة والأدب والذوق ! ان أحداً لا يشرب
الخمر في مصنع الزجاج •

قد زادت دروس حكماء الفرنج عقلي ، وأثارت صحبة أصحاب
البصائر قلبي •

أخرج النعمة التي في قرار فطرتك • يا غافلاً عن نفسك ! أخلها من
نعمات غيرك •

وكذلك أنشدت هذه الشطرات :

أى كرمك شستاب سراپای تو نور است

پرواز تو يك سلسله غيب وحضور است

آئينِ ظهور است

و ترجمتها :

يا لك من يراعة تصوّرت من نور

مسيرها سلسلة الغياب والحضور

وسنة الظهور

وقلت له حين انقض المجلس : لا تؤاخذنى ، ليس في وسعى أن أنشد
شعرك خيراً مما أنشدت • فقال : حسن ! أنشدت صحيحاً • ووقف
اقبال بعد أن عرفت الحاضرين به تعريفاً موجزاً فتكلم بالانكليزية في أحوال
المسلمين ، وتطور الفكر الاسلامي • وأفاض ما شاء علمه وبيانه • ومما
وعيته من هذا الكلام قوله عن الصوفية : انهم علماء النفس بين المسلمين •
وقد وُكل الى الاستاذ محمد الغمراوي أن يسجل خلاصة خطاب اقبال
ويقرأها على الحضور • فكتب وحاول أن يترجم ما كتب ارتجالاً • ثم رأى
أن يترجم على روية وينشر الترجمة في مجلة الشبان المسلمين • وقد

حُرِصَتْ عَلَى لِقَاء الشَّاعِرِ مِنْ بَعْدِ ، وَلَكِنْ ضِيقُ الْوَقْتِ قَبْلَ سَفَرِهِ إِلَى
الْقُدْسِ لِشُهُودِ الْمُؤْتَمَرِ الْإِسْلَامِيِّ لَمْ يَبْلُغْنِي مَا حَرَّصَتْ عَلَيْهِ ، إِلَّا لِقَاءَ
لِلْوَدَاعِ فِي مَحْطَةِ الْقَاهِرَةِ •

— ٥ —

وَلَبِثْتُ أَكْتُبُ عَنْ أَقْبَالِ ، وَأَتَرْجِمُ مِنْ شِعْرِهِ ، مَا وَسِعَ وَقْتِي وَعَلَى قَدَرِ
فَقْهِي وَعِلْمِي بِسِيرَتِهِ حَتَّى نَعِيَ الْيَنَّا فِي نَيْسَانَ مِنْ سَنَةِ ١٩٣٨ م •
فَكَانَ كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ : أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا •
وَقَدْ احْتَفَلَتْ جَمَاعَةُ الْأَخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِتَأْيِينِهِ — وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ رَئِيسَ
الْجَمَاعَةِ — فَكَانَ لَهَا حَفْلَتَانِ بَقَبَّةِ الْغُورِيِّ وَجَمْعِيَةِ الشُّبَّانِ الْمُسْلِمِينَ •
وَتَكَلَّمْتُ فِي الْحَفْلَيْنِ وَأَنْشَدْتُ مِنْ مَنْظُومَةِ اللَّمَعَاتِ الَّتِي نَظَّمْتُهَا وَأَهْدَيْتُهَا
إِلَى أَقْبَالِ • وَأَنْشَدْتُ قَصِيدَةَ تَرْجُمَتِهَا مِنْ دِيْوَانِهِ «بَانَسْكَ دِرَا» • وَكَانَ مِمَّا
قُلْتُ فِي أَحَدِ خُطَابِي فِي تَأْيِينِ الشَّاعِرِ الْعَظِيمِ :

« فِي الْيَوْمِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ نَيْسَانَ (أَبْرِيل) سَنَةِ ١٩٣٨ ،
وَالسَّاعَةِ خَمْسٍ مِنَ الصَّبَاحِ ، فِي مَدِينَةِ لَاهُورِ ، مَاتَ رَجُلٌ كَانَ عَلَى هَذِهِ
الْأَرْضِ عَالِمًا رُوحِيًّا يَحَاوِلُ أَنْ يَنْشِئَ النَّاسَ نَشْأَةً أُخْرَى ، وَيَسْنُ لَهُمْ فِي
الْحَيَاةِ سَنَةً جَدِيدَةً •

وَسَكَنَ فِكْرَ جُؤَالِ جَمْعِ مَا شَاءَتْ لَهُ سَعَتُهُ مِنْ مَعَارِفِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ •
تَمَّ تَقْدَهَُا غَيْرَ مُسْتَأْسَرٍ لَمَّا يَتَوَثَّرُ مِنْ مَذَاهِبِ الْفَلَسَفَةِ ، وَلَا مُسْتَكِينٍ لَمَّا
يُرَوِّى مِنْ أَقْوَالِ الْعُظَمَاءِ •

وَوَقَّفَ قَلْبَ كَبِيرٍ كَانَ يَحَاوِلُ أَنْ يَصُوغَ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ كُلِّ مَا وَعَى
التَّارِيخُ مِنْ مَآثِرِ الْأَبْطَالِ وَأَعْمَالِ الْعُظَمَاءِ •

وَقَرَّتْ نَفْسُ " حُرَّةٍ لَا يَحْدُهَا زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ ، وَلَا يَأْسِرُهَا مَاضٍ

— ٨ —

ولا حاضر • فهي طليقة بين الازل والأبد ، خفاقة في ملكوت الله الذي لا يُحد •

مات محمد اقبال الفيلسوف الشاعر الذي وهب عقله وقلبه للمسلمين وللشعر أجمعين ، الرجل الذي يَخيلُ الى وأنا في نشوة شعره أنه أعظم من أن يموت وأكبر من أن يناله حتى هذا الفناء الجثمانى •

فاضت روح الرجل الكبير المحبوب في داره بلاهور ورأسه في حجر خادمه القديم على بختى ، وهو يقول : انى لا أُرهب الموت ، أنا مسلم ، أستقبل المنية راضيا مسرورا •

قرأت كلام اقبال في الحياة والموت ، ورأيت استهاتته بالحمام واستهزاءه بالذين يَرهبونه • ما كان هذا خُدعة الخيال ولا زُخرف الشعر • فقد صدّق اقبال "دعوتَه في نفسه حين لقي الموت باسم راضيا •

جدّ المرض بأقبال وكان يقترب الى الموت وهو متقد الفكر قوى القلب ، يصوغ عقله كلمات يوقظ بها النفوس النائمة ، وينثر قلبه شررا يشعل به القلوب الخاملة • وكان في شغل بنظم ديوانه الآخر « أرمغان حجاز » (هدية الحجاز) وكان قلب الشاعر يهفو الى الحجاز • وكم تمنى أن يموت فيه • وقد ضُمن هذه الأمنية دعاءه في خاتمة كتابه رموز بى خودى •

ومما قال في أشهره الأخيرة :

آية المؤمن أن يلقي الردى باسم الشجر سرورا ورضى
وقد أنشد هذين البيتين — وهما مما أنشأ أخيرا — قبل الموت بعشر دقائق :

سرود رفته باز آيد كه نايد نسيمى از حجاز آيد كه نايد
سرآمد روزگار اين فقيرى دگر داناي راز آيد كه نايد

وترجمتها

نغمات "مضين لى هل تعود أنسيم من الحجاز يعود ؟
أذنت عيشتى بوشك رحيل ألعلم الأسرار قلب "جديد؟"

وَقَدْ زَرْتُ مِنْ بَعْدُ قَبْرَهُ وَدَارَهُ • وَلَقِيتُ وَلَدَهُ جَاوِيدَ وَخَادِمَهُ عَلَى بَيْخَشٍ
وَسَيَقْرَأُ الْقَارِئُ هَذَا فِي الْفُصُولِ الْآتِيَةِ •

— ٦ —

ولما سافرت الى مدينة دهلى عام ١٩٤٧ م ، عزمتم على السفر الى
لاهور ، على بعد الشقة وظهور الفتن والقلق فى أرجاء الهند • وما كان
مثلى ، وقد قدم الهند ، ليصبر عن زيارة ضريح اقبال وداره • فأعددت
للسفر الى لاهور ، ونظمت أربعة أبيات ، وسألت نقاشا فى دهلى القديمة
أن ينقشها على لوح من الرخام ، وجمعتها معى وسلمتها الى القوام على
ضريح اقبال لتوضع هناك • والأبيات :

عربى يهدى لروضك زهرا	ذا فخار بروضه واعتزاز
كلمات تضمنت كل معنى	من ديار الاسلام فى ايجاز
بلسان القرآن خطت فيها	نقحات التنزيل والأعجاز
فأقبلتها ، على ضالة قدرى	فهى فى الحق «أرمغان الحجاز»

« وأرمغان الحجاز » فى البيت الأخير معناها هدية الحجاز • وهو اسم
آخر منظومة نظمها اقبال • وقد نشرت بعد وفاته

وكان من عجائب الاتفاق أن بلغت لاهور قبل ذكرى وفاة اقبال بيومين •
ولم أكن أعرف موعد هذه الذكرى • وكانت حفلة لى ولوفد من ايران
رئيسه الصديق على أصغر حكمت ، عند ضريح اقبال • وكانت حجرة
الضريح لم تكمل بناء •

وقد ألقى كلمة فى هذا الاحتفال جاء فيها :

اقبال !

يا شاعر الاسلام ! أنرت مقاصده ، وجلوت فضائله وأضأت سراجہ ،

— ١٠ —

وأوضحت منهاجه ، ودعوت المسلمين الى المجد الذى يكافئ دعوتهم ،
ويلائهم سنتهم ، ويناسب تاريخهم •
اقبال !

يا شاعر الشرق ! أشدت بآثره ، وفخرت بروحانيته ، وأخذت على
الغرب المادية الصماء ، والغرور والكبرياء ، ونقدت قاداته ، وزيت ساداته ،
دحضت باطلهم وأبطلت سحرهم ، ووقفتهم للحساب العدل ، وأبنت مالهم
وما عليهم وما أحسنوا وما أساءوا •
اقبال !

يا شاعر الحياة ! عرفت معناها وكشفت عن قواها ، وبصرت بمجراها
ومنتهاها ، وأوضحت منارها وصواها •
اقبال !

يا شاعر النفس ! أثرت خفاياها ، وأظهرت خباياها ، وأبنت ما فى
« خودى » من كهرباء ، فيها القوة والنار والضياء ، ودعوت الى اثاره
معادنها ، واستخراج دفائنها • وقلت :
بركش أين نغمه كه سرمايه آب و گل تست
أى زخود رفته تهى شو ز نوای ديگران ١

اقبال !

يا شاعر بيخودى ! أوضحت كيف يكون الايثار ، وكيف ينظم الفرد
فى الجماعة •

اقبال !

يا شاعر الحرية ! أشدت بذكرها ، وأكبرت من قدرها ، ودعوت اليها
كاملة ، وأردتها شاملة ، وأبغضت العبودية فى شتى مظاهرها ، ومختلف
صورها •

(١) انظر ترجمتها صفحة ٧

اقبال !

يا شاعر الجهاد والدأب ، والكدح والنصب • قلت ان الحياة جهاد مستمر ، وكفاح لا يستقر ، وان الحياة فى الموج الهائل ، والموت فى سكون الساحل •

اقبال !

يا شاعر التجديد والتقدم ! قلت ان الحياة مجددة تكره التكرار ، ومقدمة تأبى التقهر • ودعوت الانسان أن يمضى قدماً فى الحياة مقدماً ، له كل حين فكرة ، وفى كل ساعة نعمة • وبينت أن الاقدام والابتكار ، هما فرق ما بين العبيد والأحرار •

اقبال !

يا شاعر الجمال !

صورته فى الأرض والسماء ، واليبس والماء ، وفى الصحارى الجرداء ، والحدائق الغناء ، وفى الصبح والمساء ، والضياء والظلماء ، • وصورته فى كل خلق كريم ، ومنهج قويم •

اقبال !

يا شاعر الجلال ! جلوته فى الخالق والخلقة ، وفى الهمم العالية ، والعزائم الماضية ، والأمانى الكبيرة والمقاصد الجليلة •

اقبال !

أيها الشاعر المثلهم ! بانث لك الأسرار ، ورفعت عن الغيوب لك الأستار • فرأيت الباطن كالظاهر ، وأدركت المستقبل كالحاضر •

اقبال !

يا شاعر الاسلام ويا شاعر الشرق ويا شاعر الحياة ويا شاعر الانسانية ويا شاعر الحرية والجهاد والتقدم والاقدام ويا شاعر الجمال والجلال ! •
لقد حينئذ على بعد الديار وشطّ المزار ، وأشدتْ بذكرك وعرفت بقدرك وأهديتْ إليك اللمعات ، جواباً لمنظومتيك « أسرار خودى

ورموزى خودى »

وأنا اليوم أحبيك على القرب • وسَيان فى عَظَمَتِكَ القريب والبعيد •
ان هذا الضياء لا يقيس المسافات ، ولا تبعد عليه الغايات

ان هذا الفكر الذى يطوى الآفاق • ويخترق السبع الطباق • لا تختلف
عنده الأرجاء ، فالداني والنائي لديه سواء •

كان من مثنى أن أزورك فى حياتك ، ثم تمنيت أن أزور ضريحك بعد
ماتك • وهأنذا أشرفُ بأن ألقى أمامك هذه الكلمات وأودع ضريحك
هذه الزهرات :

عربى يهدى لروضك زهرا ذا فخر بروضه واعتزاز
(الأبيات المثبتة صفحة ١٠)

لقد ضمنت لك آثارك الخلود فى هذه الدنيا ، وعند الله جزاؤك فى
الأخرى ، جزاء المجاهدين المخلصين
« والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا • وان الله لمع الحسنيين »

ثم ذهبت أنا والصديق على أصغر حكمت الى دار اقبال التى سكنها
آخر عمره ومات فيها ، وهى دار صغيرة المبني كبيرة المعنى ، تأخذها العين
فى نظرة ، ويسافر فيها الفكر الى غير نهاية •

وقابلنا هناك جاويد ، وهو ابن الشاعر • ذكره فى كثير من شعره ،
وأعرب عن أمله فيه • ورجائه فى مخايله ، وسَمَّى باسمه المنظومة الرائعة
« جاويد نامه » • وجاويد معناه الخالد •

ورأينا حجرة كان الشاعر الخالد يكتب فيها شعره ومقالاته ، وفيها
فاضت روحه • وهى حجرة يستطيع شاعر بليغ أن يفصلها أبياتا
خالدات ، وقصائد سائرات •

لبشنا حيناً في الدار ذات الذِكر والعِبرَ نحدّث جاويد • وأهدى الينا
صورة والده • وانها لذكرى عظيمة : صورة اقبال يهديها ابن اقبال في
دار اقبال •

— ٧ —

وكان علمي بأقبال يزدد على مر الزمان ، فيزداد شغفي به ، واكباري
ايامه ، وایمانی بذهبه في هذه الحياة • فترجمت من شعره • وهمت بأن
أترجم ديوانا من دواوينه • فلم يتسع وقتي ، ولا تسنى مطلبى •

ولما بعثت الى باكستان سفيرا لمصر هاج نفسي القرب ، ولقيت بين
الحين والحين من يُحدّث عن اقبال ومن رآه • فزحزحت الشواغل عن
ساعات من الوقت شغلت فيها بأقبال • فترجمت ديوانين من دواوينه •
ترجمت رسالة المشرق وطبعتها في كراچی حين الذكرى الثالثة عشرة لوفاة
الشاعر • ثم ترجمت ضرب الكلیم ونشرته في القاهرة حين الذكرى الرابعة
عشرة • وأترجم اليوم والله المستعان ديوانين : أسرار خودی ورموز بی
خودی • وقد قاربت الفراغ منهما والحمد لله • وكم شاركت في الاحتفال
بأقبال فقلت وسمعت • وكم جالست أجباء اقبال ومنهم من عاشره ووعى عنه
عن كُتُب ، وعرف معيشته في داره ، ومجالسه بين أصحابه وسُماّره •

ولا تزال مجالس أصدقاء اقبال تجتمع عندي كل أسبوع مرة أو مرتين
فنقرأ شعره ونروى أخباره • ونستمع الى حديث العارفين بفلسفته ،
المتوفرين على استكناه حقائقها واستجلاء أسرارها •

وكثيرا ما سمعت من هؤلاء الاصدقاء الذين سميتهم دراويش اقبال •
أن هذه المجالس أحب شيء اليهم في هذه الدنيا • وأنها عندي لكذلك •
هذه كلمة أردت أن أعرف بها القراء اقبالا كما عرفته ليقبلوا على
قراءة تاريخه وفلسفته وشعره في الفصول الآتية •

الباب الأول

سيرة اقبال

الفصل الأول

أسرته

يرجع نسب أسرة محمد اقبال الى براهمة كشمير . أسلم أحد أجداده قبل ثلاثة فرون في عهد الدولة المغولية ، كبرى الدول الاسلامية التي قامت في الهند . أسلم هذا الجد على يد الشيخ شاه همدانى أحد أئمة المسلمين في ذلك العصر .

وهاجر محمد رفيق جد محمد اقبال من قرية لوهر في كشمير الى مدينة سيالكوت من ولاية بنجاب . وكثير من أهل كشمير يهاجرون الى سيالكوت طلبا للرزق . اذ كانت أقرب المدن الى بلادهم ، ومنها ينتشرون في أرجاء الهند . فكثير من أهل سيالكوت يرجعون الى أصول كشميرية .

حل محمد رفيق في سيالكوت ومعه أخوة ثلاثة أحدهم الشيخ محمد رمضان وكان صوفياً ألف كتباً كثيرة باللغة الفارسية .

وسعى محمد رفيق في طلب الرزق يعينه ابنه محمد نور أبو محمد اقبال

وقد ذكر اقبال في مواضع من شعره انه من سلالة البراهمة ، لا يفخر بهذا الأصل بل يفخر بأن رجلاً من سلالة البراهمة أدرك من حقائق الاسلام وأسراره ما أدرك .

يقول في ضرب كليم يخاطب « سيّدأ مصابا بالفلسفة » :
وانتى فى الأصل سؤماتى الى مناة نسبى واللات
وانت من أولاد هاشمى وطينتى من نسل برهمى
ويقول فى آيات أخرى عنوانها : الى أمراء العرب :

هل يسعد الكافر الهنـدى منطقـه
مخاطبـاً أمراء العرب فى أدب

ويقول فى پیام مشرق :

انظر الىّ فما ترى فى الهند غيرى رجلا من سلالة البراهمة عارفا بأسرار
الروم وتبريز^١
وفى شعر آخر :

قد قامر الأمراء بالدين والقلب فى حلبة السياسة • فما ترى غير ابن
البرهمن محرمًا للأسرار^٢

ويقول فى بال جبريل فى قصيدة مسجد قرطبة :
أنا كافر هنـدى فانظر الى شوقى وذوقى • ملء قلبى الصلاة والسلام
وعلى شفتىّ الصلاة والسلام^٣

ويقول فى هجرة أسرته من كشمير :

لقد هجر الدرّ أرضَ اليمن وناقجة المسك أرضَ الحُـنن
وبلبل كشمير فى الهند ثاو بعيداً من الروض خارّ الوطن^٤

(١) مرا بنكر كه درهندوستان ديكر نمى بينى - برهمن زادة اشنا رمز روم وتبريزست
ويشير بالروم الى جلال الدين الرومى الصوفى الشاعر المعروف ، ويعصد بتبريز
شمس الدين التبريزى الصوفى مرشد جلال الدين .

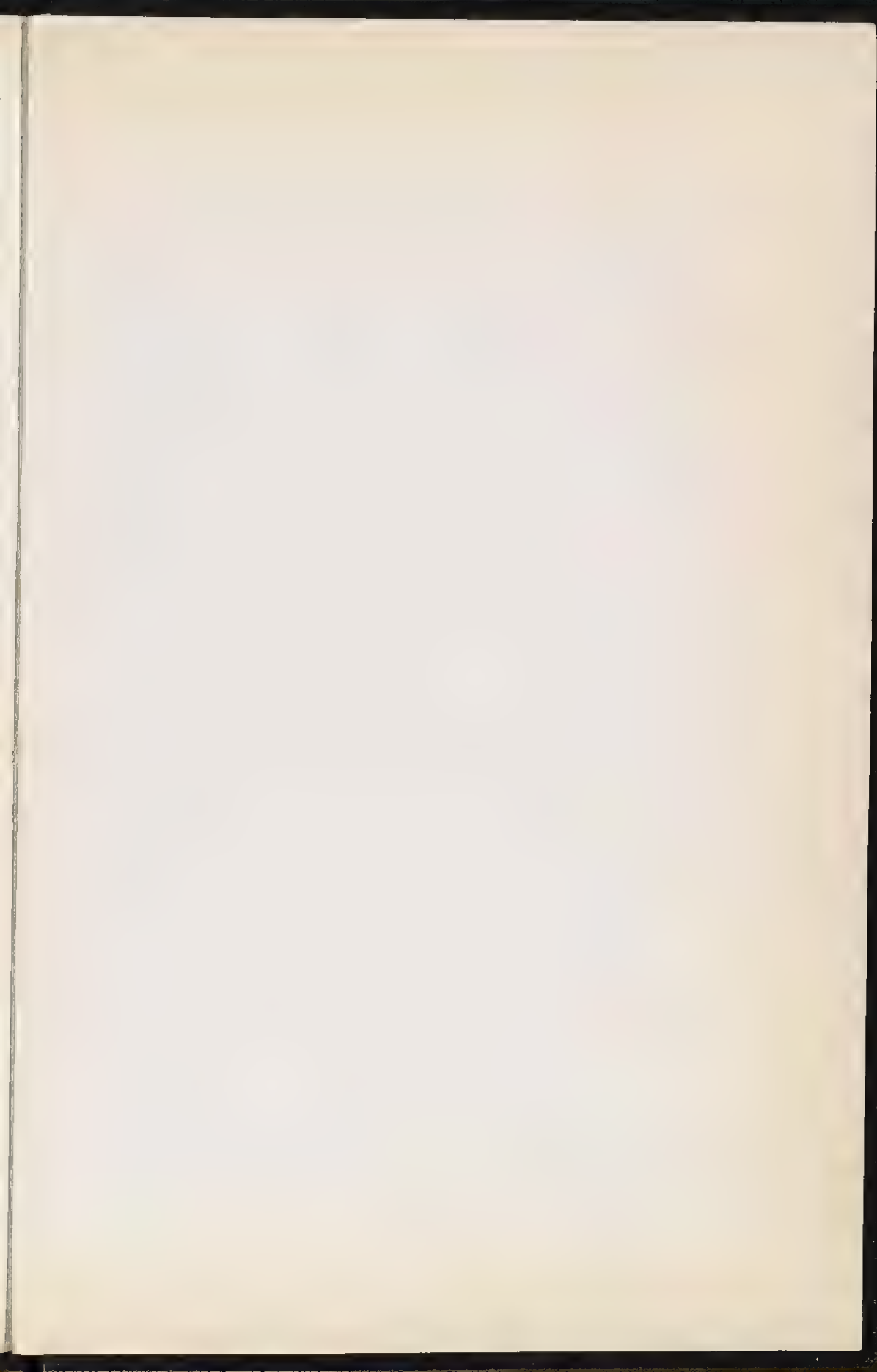
(٢) ميرومزا در سياست دل ودين باخته اند
جز برهمن پسرى محرم اسرار كجاست ؟

(٣) كافر هنـدى هون مين ديكه مرا ذوق وشوق
دل مين صلوة عددود ، لب په صلوة ودرود

(٤) موى عدد سى لعل هى يمن سى دور يا ناقه غزال هوا هى ختن سى دور
هندوسال مرأى هين كشمير جهوركر بلبل نى اشيانه بنايا جمن سى دور



والد محمد اقبال و علی حجره حفیدان له هما : « افتاب » ابن اقبال
(علی یمینہ) و « اعجاز » ابن اخی اقبال (علی یسارہ)



والدا اقبال

كان والداه صالحين تقيين • فأما أبوه فكان متصوفا عاملا كادحا في كسب رزقه يعمل لدينه وديناه •

ويؤثر عنه أنه قال لاقبال ، حين رآه يكثُر قراءة القرآن : ان أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك .

وهذه قصة نظمها اقبال في كتاب رموز بيخودی :

« سائل كالقضاء المبرم • طرق بابنا طرقا متواليا • فثرت غضبا وضربته بعصا على رأسه ، فتبعثر ما جمعه بسؤاله • والعقل أيام الشباب لا يفرق بين ضلال وصواب — ورآني والدي فاغتم وأربد وجهه وتأوه • وسال الدمع من عينيه • واضطربت روحى الغافلة وطار لثبي • قال أبى :

تجتمع غدا أمة خير البشر ، تجتمع أمام مولاها ، ويحشر غزاة الملة البيضاء وحكماؤها والشهداء ، وهم حجة الدين وأنجم هذه الأمة، والزهاد والوالهون والعلماء والعصاة •

ويأتى هذا السائل المسكين صائحا في هذا المحشر شاكيا •
فماذا أقول اذا قال لى النبى :

ان الله أودعك شابا مسلما فلم تؤدبه بأدبى ، بل لم تستطع أن تجعله انسانا •

فتمثل عتاب النبى الكريم ومقامى فى خجلى بين الخوف والرجاء •
تفكر قليلا يا بنى • اذكر اجتماع أمة خير البشر •

انظر يا بنى الى شيبى ، واضطرابى وقلقى • ولا تقس على أهلك ولا تفضحه أمام مولا • انك كيم فى غصن المصطفى • فكن وردة من نسيم ربيع • خذ من ربيع نصيبا من الريح واللون • لا بد لك أن تغفر من خلّقه بنصيب • »

وأم اقبال كانت تقيّة ورعة حتى كانت تتحرج أن تأكل من وظيفة زوجها إذ كان يعمل مع رئيس عُرِفَ بأكل الرشوة • ولم تكن وظيفة زوجها من مال هذا الرئيس ، ولكن كذلك كان ورعها •

ولاقبال في أمه قصيدة طويلة من ديوانه (بانگ درا) يقول فيها :

« ساميتُ النجم بتريبتك ، وكان فخر الأبناء والأجداد بيتك

كانت حياتك صفحة مذهبة في كتاب الكون . كانت قدوة في الدين

والدنيا » ١٠

عمر محمد نور والد اقبال زهاء مائة سنة ، وكفّ بصره في سن

الثمانين • وتوفي ١٧ آب سنة ١٩٣٠ ، وتوفيت والدته اقبال في ١٤

تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وسنها ثمان وسبعون سنة ٢ •

مولد اقبال

في هذا البيت الطاهر ولد وليد ستمه أمه محمد اقبال • ويروى أن

والده رأى قبل مولده حمامة بيضاء ناصعة تطير فتقع في حجره وتسكن

اليه ، وعُبرّت الرؤيا أنه سيُرزق ابناً عظيم الجَدِّ والاقبال يعلو على

الناس •

ولد محمد اقبال في الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ١٢٨٩ هـ (٢٢

شباط سنة ١٨٧٣ م) • ولم يأبّه أحد بمولد هذا الطفل الا كما تآبه أسرة

فقيرة بمولد ابن فيها :

(١) تربيت سی تری مین انجم کاہم قسمت ہوا

کھر تری اجدادکا سرمایہ عزت ہوا

دفتر هستی مین تھی زرین ورق تری حیات

تھی سراپا دین ودنیا کاسمیع تری حیات

١٢ کتب الی بتاریخ وفاة الوالدین و سنہما حقیہما اعجاز احمد



الدار التي ولد فيها محمد اقبال في سمبالكوت



ولكن الله تعالى كان يعلم يوم مولد اقبال أن قد وُلِدَ في هذا البيت الصغير من مدينة سيالكوت رجل يعلو فكره وقلبه على حدود الأوطان والأزمان . أن قد ولد فيلسوف نابغ وشاعر مُبدع من الذين يَهَبهم الله البشر في العصر بعد العصر ليخلقوا ويُجدِّدوا ويَهْدُوا على هذه الأرض .

أَن لهذا الطفل الوليد لأثرا باقيا في تاريخ أمته وتاريخ المسلمين وتاريخ البشر أجمعين .

الفصل الثاني

في سيالكوت

من الميلاد الى سن اثنتين وعشرين

بدأ اقبال التعليم في طفولته على أبيه ، ثم أدخل مكتباً ليتعلم القرآن . ولا ندري كم حفظ اقبال من كتاب الله في طفولته . ولا ريب أنه حفظ كثيرا منه في هذه السن وبعدها . اذ كان في كِبَره يُعَلِّم القرآن . وكثرة اقتباسه من القرآن في شعره تدل على أن القرآن كان على قلبه ولسانه . ثم أدخل الصبي مدرسة البعثة الاسكوتية^١ في سيالكوت . ويقال ان أباه أدخله هذه المدرسة ليكون في رعاية صديقه مير حسن . وكان أستاذا أدبيا متضلعا في الأدب الفارسي عارفا بالعربية .

وقد امتاز اقبال بذكائه وجده ففاق أترابه ونال جوائز كثيرة . ومن نوادره أنه وهو في سن العاشرة ، جاء الى المدرسة متأخرا فسئل عن تأخره فقال : الاقبال يأتي متأخرا^٢ .

وحينما كان في السنة الرابعة — في نظام التعليم في هذه المدرسة . وليست بعيدة من الرابعة في التعليم الابتدائي عندنا — أخذه والده الى

(١) Soottish Mission School

(٢) اقبال تودير هي مين آبا هي

صديقه مير حسن وقال أريد أن تعلّمه الدين بدل ما يتعلمه في المدرسة •
فأجاب الأستاذ مبتسما : هذا الصبي ليس لتعليم المساجد • وسيبقى في
المدرسة •

ولبت اقبال منذ ذلك الحين الى أن أتم الدراسة في كلية البعثة
الاسكوتية في رعاية مير حسن وتأديبه •

ورأى الأستاذ من ذكائه ومخايله ، بل من قوله وفعله ، ما زاده اعجابا به
وتأميلا فيه • فعنى بتلقيه الدين والعربية والفارسية •

ولما رآه ينظم الشعر وعرف موهبته فيه ، أرشده وحرّضه ، وحسّن
له أن ينظم باللغة الأردية مكان البنجابية •

مير حسن

يقترن ذكر مير حسن بسيرة اقبال ويثاد بأثر هذا الأستاذ في تأديب
تلميذه • فيحسن أن نعرف به بعض التعريف :^١

هو من المنتسبين الى آل البيت • وكان أستاذ اللغة العربية في كلية
سيالكوت • وكان متضلعا في الأدب الفارسي • وكان عكما من أعلام البلد،
يعرفه الصغير والكبير • مهيبا مجتلا • وكان ضعيف البصر يمشي الهويني
متوكئا على عصا طويلة • ويسير من داره الى الكلية مسافة ميلين في ساعة
وكان لا يتأخّر عن مواعده دقيقة •

وقد اقترح عليه عميد الكلية أن يركب عربة على أن تؤدّى له الكلية
أجرتها • فقال له أتريد أن أفقد في العربات ما بقى لى من قوة ؟ • وكان
مضرب المثل في ضبط الوقت والتزام المواعيت • واتفق أن تأخر مرة عن
اجتماع في الكلية دقيقتين • فكان هذا حديثا عجيبا بين زملائه • ومن لطائفه
أن عميد الكلية قال له حينما جاء متأخرا :

١ - من فصل من ملفوظات اقبال كتبه الاستاذ عبد الواحد وكان من
تلاميذ الكلية التي كان فيها الاستاذ مير حسن • دخلها سنة ١٩١٧

لقد لبشنا دقيقتين نتظرك • فأجاب فوراً : لا بأس لقد انتظرتك سنين
حتى جئت الى هذا العالم — وكان العميد أصغر منه سنًا

وقد بلغ من هيبته أن الأساتذة والطلبة كانوا اذا رأوه قادما خكثوا له
الطريق أو افسحوا له • وكان الطلبة الذين يقرءون عليه العربية يجدون منه
شدة وتقريعا أول الأمر • فاذا جازوا المرحلة الأولى أفادوا كثيرا من غزارة
علمه •

ولم يكن الشيخ ، على هذا ، غليظا جافا بل كان ظريفا فكها في مواضع
الظرف والتفكه •

وقد وفي اقبال لاستاذة فأشاد بذكره في شعره • ولما عرض على أقبال
لقب « سير » كما ترى فيما يأتي ، اشترط لقبوله أن يمنح أستاذة لقب
شمس العلماء فأجيب الى ما اشترط •

نظم الشعر

وكان اقبال في هذه المرحلة من عمره ينظم الشعر ، ويزداد على مر
الايام احسانا فيه • وكان يرسل بين الحين والحين شعره الى الشاعر داغ أحد
شعراء الاردية النابھين • ونظر الشاعر الكبير في قصائد الشاعر الشادي
ثم كتب اليه أن لا ترسل اليّ شعرك فما يحتاج الى تنقيح •

وعاش داغ حتى ذاع صيت اقبال وبلغ في الشعر ما بلغ • فكان يفخر
بأنه تقح شعر اقبال في صباه •

وفرج اقبال من الدرس في الكلية الاسكوتية سنة ١٨٩٥ ، وسنته
زهاء اثنتين وعشرين سنة •

الفصل الثالث

في لاهور الى سنة ١٩٠٥

انتقل الشاب الذكي الطلعة الشاعر الذي فاق أترابه في المدارس ،
انتقل الى لاهور حاضرة ولاية بنجاب واحدى مدن الهند الكبرى •
وهي أول مدينة في الهند اتخذتها دولة إسلامية دار ملك •
صارت عاصمة الدولة الغزنوية حينما غلبت على أفغانستان فلم يبق لها
الا ما فتحته من أرض الهند • وبقيت هذه المدينة الكبيرة في مقدمة مدن
الهند حضارة وعلمًا وفتًا •

وكانت حين قصد اليها اقبال قبل نصف قرن ، مباءة علم وأدب • تعمل
مجامعها في نشر الأدب الأردى واحلاله محل الادب الفارسى • وتألفت فيها
مجامع أدبية تدعو بين الحين والحين الى محافل ينشد فيها الشعراء عيون
أشعارها • ويسمى هذا مشاعرة. والمشاعرة سُنّة شائعة في باكستان والهند
حتى اليوم •



دخل اقبال كلية الحكومة في هذه المدينة ليتم تعلّمه وجداً في الدرس
كدأبه • وكان موضع الإعجاب في ذكائه وعلمه وأدبه •
ومما يؤثر عنه في ذلك الحين ، وهي أثارة ذات دلالة بليغة • أنه أخذ على
أحد علماء الدين كذبا فبلغ من نفسه هذا المنكر • فلبث أياما مكتئبا حتى
سأله أستاذه توماس آرنلد فقص عليه القصة • فقال الأستاذ: سترى كثيرا من
هذا في حياتك •

استمر اقبال في دراسته حتى نال الدرجة التى تسمى في نظام التعليم
الانجليزى B.A. • وجلّى في امتحان العربية والانجليزية ، ونال جوائز
التفوق وذلكم سنة ١٨٩٧ م

ثم تابع الدراسة الى درجة M.A. (أستاذ فى الفن) فى الفلسفة
حتى أتم دراسته مجلّياً نائلاً جائزة أخرى من الكلية •
وتلمذ اقبال فى هذه الكلية لـأستاذ الفلسفة الإسلامية السير توماس
آرنلد •

توماس آرنلد

ويجب على أن أسجل ذكرًا عن هذا الأستاذ الجليل وفاءً بحقه على
اقبال وعلى المسلمين كافة :
كان أستاذ العربية فى جامعة لندن ثم أستاذ الفلسفة فى جامعة عليكره
فكلية الحكومة فى لاهور •
وكان واسع العلم ثبتاً متواضعاً منصفاً نصيراً للمسلمين محباً للحضارة
الإسلامية •

وقد ألف كتابه «دعوة الإسلام»^١ ليبين أن الإسلام انتشر بالدعوة لا
بالقوة ، ففصل تاريخ انتشار الإسلام ولا سيما فى الجهات التى لم يكن
للمسلمين فيها سلطان • وقد أخبرنى أنه تعلم اللغة الهولندية ليقراً السجلات
التي تبين انتشار الإسلام فى جزيرة جاوه وما يتصل بها • وكتابه هذا وحيد
فى بابه لم يؤلف مثله مسلم ولا غير مسلم •
ولما ألغى مصطفى كمال الخلافة كتب كتابه « الخلافة » وهو شاهد
بسعة علمه ونفاذ فكره •

وقد عرفته فى لندن فى مدرسة اللغات الشرقية فأنست به وأحبته
وجرّأنى على صحبته لين جانبه ودماثة خلقه •
وكنّت أسأله عمّا يشكّل علىّ وأنا أكتب رسالتى فى (التصوف وفريد
الدين العطار) •

وقد عرفت فيه التواضع والتثبت فكان يحبّ أن يقول لا أدري ان
لم يكن على بينة مما يسأل عنه • وكان كثيراً ما يسألنى حين أحدثه فى
أمر : أأنت على يقين من هذا ؟

وكان يجب العادات الاسلامية ويميل الى ازيائنا وسئنا • أذكر اني
تعشيت معه في داره فبدأ الطعام قائلاً باسم الله ، وودعني حين الانصراف
قائلاً : في أمان الله •

وجاء الى مصر بدعوة من جامعة القاهرة وآثر النزول في حلوان ، وهي
دار اقامتي ، ثم انتقل الى المعادي • ركنت أقابله بين الحين والحين وكان
يزورني في ليالي رمضان التماساً لسماع القرآن •

وذهبت اليه مرة في الفندق الذي نزل به في حلوان فأخرج من حقيبته
عمامة وطربوشا • وقال أرني كيف تكوّر العمامة • ثم قال : أرني أوثر
العمامة والحية وأشعر حين ألبسهما أني في زيّ أستاذ كما أشعر أني صبي
حين ألبس هذه الملابس • وأشار الى الملابس الافرنجية التي كان يلبسها •

وأذكر أننا اجتمعنا على مائدة في دارنا ومعنا الكبتن كنج الانجليزى •
وكان هذا معنيًا بالبلاد العربية • وقد سعى في تأييد الأمير عبد الكريم
حينما حارب الاسبان في الريف — فقال لى كنج : قرأت التاريخ فأنبئني
أى الفريقين كان أكثر سماحة وسجاجة المسلمون أم النصارى ؟ قلت :
يجيب هذا السؤال أستاذنا توماس آرنولد • فقال الأستاذ فوراً : لا ريب
أن المسلمين كانوا أكثر تسامحاً من النصارى •

وقال لى يوماً وقد ذكرنا اقبالا : انه تلميذى • قلت هو اذاً شاب • قال
أتحسبه شاباً بأنه كان تلميذى • أنت لا تدري كم سنى •

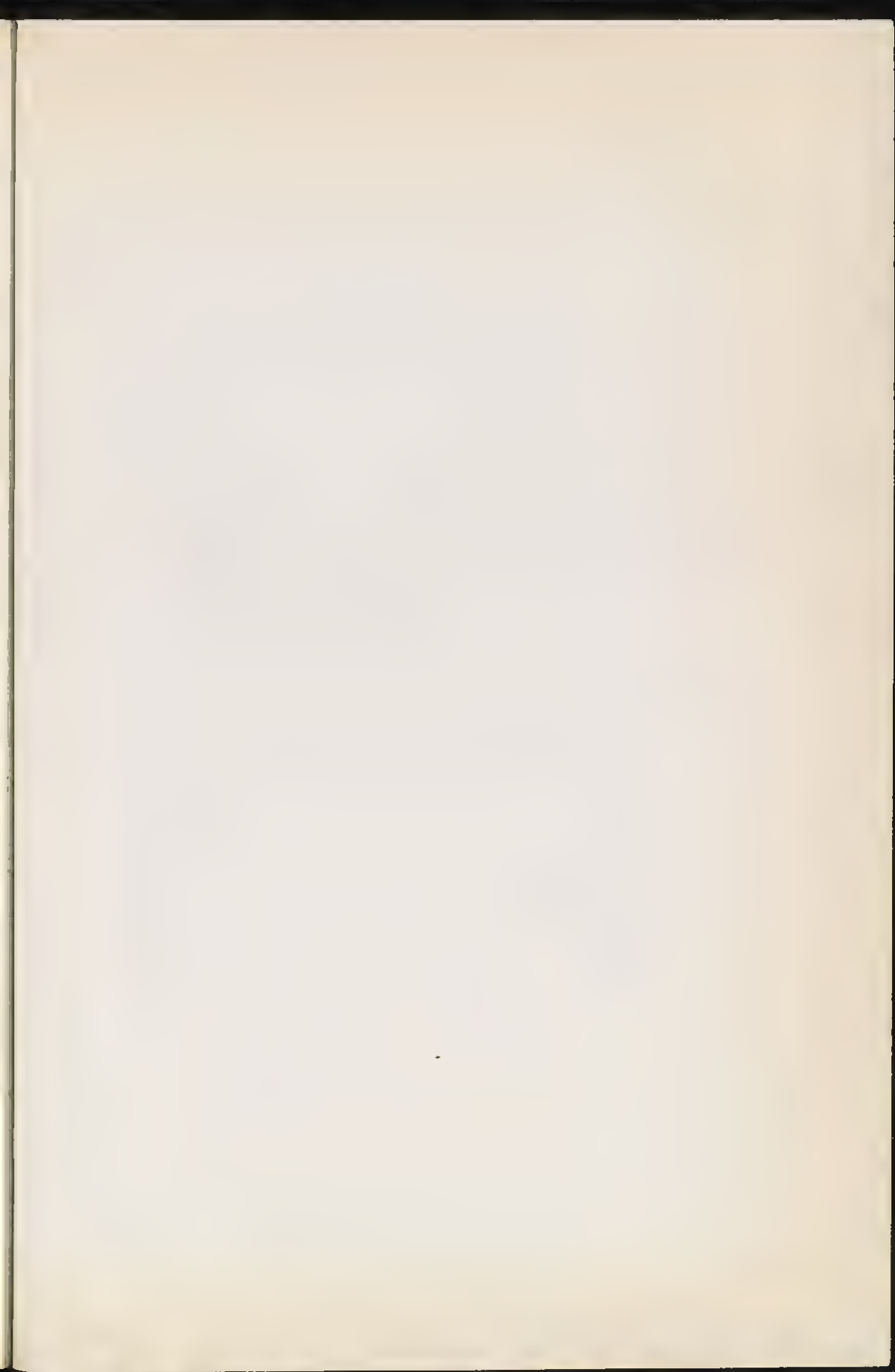
هذه ذكر لا تعرف بالسير توماس آرنولد ، ولكنى أذكرها
اعتزازاً بها ، وجباً لذكر هذا الأستاذ الكريم أستاذ اقبال ، ولعل أحد
الكاتبين عنه يجد فيها فائدة •

هذا الأستاذ عرف اقبالا وقدر مواهبه فقرّبه وحرصه على الاستزادة
من العلم ، وتوكدت بينهما صداقة ، صداقة التلميذ المتطلع البار والأستاذ
العالم المخلص •

فلما فارق آرنولد لاهور راجعا الى وطنه نظم تلميذه الوفي قصيدة



على بخش الخادم الامين الذى سهر على خدمة اقبال في حياته



عنوانها (نواح الفراق) أعرب فيها عن حبه أستاذه وأكباره أيّاه
وتحسره لفراقه .

بعد اتمام الدراسة

فرغ اقبال من تحصيل العلم في الكلية فاختر لتدريس التاريخ
والفلسفة في الكلية الشرقية في لاهور ١ . ثم نصب لتدريس الفلسفة
واللغة الانكليزية بكلية الحكومة التي تخرج فيها .

وقد نال أعجاب تلاميذه وزملائه بسعة علمه وحسن خلقه ، وسداد
رأيه ، واتجهت الأبصار اليه ، وذاع ذكره حتى صار من أساتذة لاهور
الناهين .

وفي ذلك الحين دخل في خدمته خادمه الوفي على بخش ، وأستاذ
القارئ في التعريج على على بخش . خادم اقبال الأمين الذي صحبه
طول حياته وصحب أولاده بعد مماته . وملازمة هذا الرجل اقبالا منذ
دخل في خدمته حتى فرق بينهما الموت ، يدل على لين اقبال ويُسرمعاملته .
روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : خدمت النبي صلى الله عليه
وسلم عشر سنين فما قال لى فى شىء فعلته لم فعلته ولا فى شىء تركته
لم تركته ٢

وقد حدثنى بعض من صحبوا أقبالا أو زاروه أنه كان يجلس فى داره
فيدخل عليه من يشاء فسأله عما يشاء وعلى بخش قريب منه يلبى دعوته
ويقضى ما يأمره به ر . ص على أن يَمُدَّ أرجلته بالنار كلما خَبَت .
وكان الشاعر مولعا بها لا يكاد يفتر عنها فى مجلسه .

واقترن ذكر على بخش بكثير من سيرة اقبال . وقد حرصت على أن

(١) Oriental College

(٢) هذا لفظ الحديث أو قريب منه .

أراه في دار أقبال حينما ذهبت الى لاهور فلقينته وأخذت صورتى معه في ربيع السنة الماضية • وراسلته بعدئ من كراچى •

في محافل الادب في لاهور

لبث الشاعر النابغ في لاهور عشر سنين ، منذ قدم اليها من سيالكوت الى أن سافر الى أوربا •

أتم دراسته في كلية الحكومة ثم درّس في الكلية الاسلامية فالكلية التى تخرج فيها • فعرفت مدارس لاهور ومجامع الأدب فيها شابا وسيما قويا يتقد ذكاء وشوقا الى المعرفة ، ويتطلع الى التزود من العلم الى غير نهاية •

وقد دوّى صوت أقبال في محافل الأدب يتشد قصائده • وحرصت الصحف على نشر شعره • وأيقن الشعراء والعلماء أن لهذا الشاب شأنًا ، ولكن لم يحزروا الشأو البعيد الذى يبلغه الشاعر • اذ كان شأوا لا يدركه الا أقبال وقليل من أمثاله في تاريخ البشر •

وأول قصائده الرنانة التى ألقى في جمع حاشد قصيدته التى أنشدها في الحفل السنوى لجماعة حماية الاسلام في لاهور (أنجمن حماية اسلام) سنة ١٨٩٩ وعنوانها أنين يتيم (نالهء يتيمى) وفى السنة التالية أنشد في حفل هذه الجماعة قصيدة يخاطب فيها يتيم هلال العيد •

ومن القصائد التى نبّهت الناس اليه قصيدة هيمالا التى أنشدها في أحد المحافل الأدبية • وقد سأله كثير من أصحاب الصحف أن ينشروها فأبى • ثم أذن بنشرها في صحيفة المخزن سنة ١٩٠١ ثم نشرت قصائده في صحف أخرى من بعد

وكذلك أنشأ اقبال في ذلك الحين قصائد تعرّض فيها للسياسة • وترجم اقبال في هذه المرحلة من عمره قصائد من اللغة الانكليزية • ونشر أول كتاب له • وهو كتاب في الاقتصاد باللغة الأردية •

وفي هذه السنين كان يفكر في نظم ملحمة على غرار ملثن الشاعر
الانكليزي •

كتب الى أحد أصدقائه سنة ١٩٠٣ :

أنا منذ زمن طويل أنزع الى أن أكتب على طريقة ملثن (الفردوس
المفقود وغيره) وأحسب أن الوقت قد حان • فما تمضي ساعة هذه الأيام
دون تفكير في هذا الأمر • لبثت أفكر في هذا طول خمس سنين أو ست
ولكن لم أشعر بالنزوع اليه كما أشعر اليوم •

الفصل الرابع

سفره الى أوربا

عزم اقبال على الرحيل الى أوربا للتزود من العلم ، اتباعا لمشورة السير
توماس أرنولد ، وسنّه يومئذ اثنتان وثلاثون سنة •

وخرج معه بعض أصدقائه لتوديعه حتى دهلي • وبلغ أقبال وصحبه
مدينة دهلي صبح الثاني من شهر أيلول سنة ١٩٠٥ • فاستقبلهم في محطة
دهلي جماعة فيهم السيد حسن نظامي الدهلوي من أحفاد نظام الدين
أوليا • وبعد أن استراح قليلا في دار أحد مستقبليه توجه الى مزار
الشيخ نظام الدين أوليا ، وهو من أعظم مزارات الهند مكانة وأكثرها
قصدًا ١ وهو في أطراف مدينة دهلي •

وفي طريقه مرّ على مزار السلطان همايون ثاني ملوك الدولة المغولية •
وهو أول مزار شيّد للملوك هذه الدولة في الهند • فقد توفي أبوه بابر
مؤسس الدولة في كابل ودفن فيها ٢ •

(١) انظر سيرة نظام الدين ووصف مزاره في كتابي « الرحلات الثانية »

(٢) انظر وصف المزار وصاحبه في الرحلات الثانية

ولما بلغ مزار نظام الدين أشد قصيدة باللغة الأردنية انشاداً شاعرياً •

يقول في هذه القصيدة بعد مدح نظام الدين :

« أسير عن الوطن الجميل ، تَجَنَّدَ بِي لَذَّةُ شراب المعرفة • انى شجرة
برية ترمق سحاب الجود ، لم يَحْجُجْنِي الله الى بستانى • ويقول :
مُنَيْتِي أَنْ أَكُونَ خَادِمَ خَلْقِ الله ما حييت ، لا أَتَمْنَى عمراً خالداً •

مُنَيْتِي أَنْ أَضَعَ جَبِينِي عَلَى أَقْدَامِ الوالدين ، لقد صَيَّرَنِي الْوَلَكُ مَحْرَمَ
أسرار الحب » •

وفي هذه القصيدة تفحات من شعر أقبال ومن فلسفته ، الفلسفة والشعر
الذين شاعا من بَعْدَ فَمَلَأَ الْآفَاقَ نورا ونارا •

وخرج من المزار الى دار السيد حسن نظامى فتلبث بها قليلا وسمع
أنشاد قوَّال هناك ١ •

ثم رجع الى المدينة دهلى ومرّ في طريقه على قبر الشاعر الكبير الذى
هو أعظم شعراء المسلمين فى الهند قبل أقبال ، ميرزا أسد الله غالب المتوفى
سنة ١٨٦٩ م •

وقد استأذن القوَّال فى انشاد بيت لغالب • واستمع اقبال مأخوذاً بالشعر
والذكرى • فلما هم الحاضرون بالانصراف قبَّلَ قَبْرَ الشاعر العظيم
وانصرف • ومثَّلَ أقبال يقدر شعر غالب ويخشع لذكراه ويلثم قبره •

اقبال فى أوربا

توجّه اقبال الى بمباى فركب سفينة قاصدا انكلترا • والتحق بجامعة
كمبريدج لدرس الفلسفة ، وتلميذ للأستاذ الدكتور ميكتاكرت • وعكف
على المطالعة فى مكتبة الجامعة • ونال من هذه الجامعة درجة فى فلسفة

(١) القوال مطرب له طريقة فى الغناء خاصة • أكثر غناؤه فى ذكر الله ومدح الرسول

الأخلاق . ثم سافر الى ألمانيا فتعلم الألمانية في زمن قليل والتحق بجامعة ميونخ . وكتب رسالته « تطور ما وراء الطبيعة في فارس »^١ وهى أول كتاب في الفلسفة عرّف الناس بمقدرة اقبال على النظر والبحث ، وسعة اطلاعه في الفلسفة . وقد أهدى الكتاب الى أستاذه توماس آرنلد . ونشره في لندن .

عاد اقبال الى لندن فدرس القانون وجاز امتحان المحاماة والتحق كذلك بمدرسة العلوم السياسية زمنا .

وكان الأستاذ آرنلد حينئذ أستاذ العربية في جامعة لندن واضطر الى الانقطاع عن عمله ثلاثة أشهر فاختار اقبالا ليخلفه في عمله

ولم يأل محمد اقبال . وهو في أوروبا ، في لقاء العلماء والتحدث اليهم ومداولة الرأى معهم في قضايا من العلم والفلسفة . وكان كدأبه طول عمره متولعا بالقراءة والاستزادة من المعرفة جهد الطاقة .

حدثنى الشيخ سيد طلحة ، وكان أستاذاً في جامعة بنجاب ، قال حدثنى خازن مكتبة الجامعة أنه لم ير أحدا كاقبال حرصا على مطالعة الكتب والنظر فيها والاستزادة منها .

وكان اقبال في أوروبا ذلك الحين كثير التحدث عن الاسلام وثقافته وحضارته وألقى محاضرات في الاسلام نشرتها الصحف الكبيرة . وقد دلت آراؤه وشعره من بعد ، أنه لم يعجب بحضارة أوروبا ، ولم يخل عليه تمويهها ولا أبرق عينه لألاؤها . ومما أنشأ قبل عودته الى الهند قوله :

يا ساكنى ديار الغرب . ليست أرض الله حانوتا . أن الذى توهتموه ذهباً خالصا سترونه زائفا . وأن حضارتكم ستبخع نفسها بخنجرها . أن

العشّ الذي يثبني على غصن دقيق لا يثبت^١

وكان بعد أن علم ما علم ورأى ما رأى في الهند وأوربا يتنازعه طريقتان في الحياة ، طريقة العمل وطريقة الفكر • وبداله حيناً أن يهجر الشعر ويغامر فيما يغامر الناس فيه ولكن صديقه السير عبدالقادر وأستاذه آرنلد حسّنا له أن يدوم على نظم الشعر •

وما كان أعظمها خسارة للأدب الاسلامي وأدب العالم كله وللانسانية جميعها لو هجر اقبال الشعر فلم يخرج للناس دواوينه التسعة •

الفصل الخامس

اقبال في وطنه

لبث اقبال في أوروبا زهاء ثلاث سنين • ثم رجع الى وطنه سنة ١٩٠٨ م ولما مرّ بدھلي استقبله أصدقاؤه وعارفوه كما ودعوه قبل ثلاث سنين • وذهب الى مزار نظام الدين أوليا كما ذهب اليه حين سفره الى أوروبا •

وليت شعري أعنى اقبال بهذه الزيارة أن يثبّت أنه على العهد لم يغيّره السفر الى أوروبا ، ولم يرّعه ما رأى فيها وما سمع ، ولم تفتنه فتنّتها ولا سحرته حضارتها • والحق أنه نظر واعتبر ، ومملك عقله وقلبه •

بلغ اقبال لاهور في السابع والعشرين من حزيران سنة ١٩٠٨ واحتفل كثير من أهل لاهور بعودته بعد غيبة ثلاث سنين ، وتعددت المجامع

(١) ديار مغرب کی رہنی والو خدا کی بستی دو کان نہین ہی
کہرا جسی تم سمجھ رہی ہو وہ اب زر کم عیار ہو گا
تمہاری تہذیب اُبنی خنجر سی آپ ہی خود کشی کریگی
جو شاخ نازک پہ آشیانہ بنی گا ناپا یدار ہو گا

للترحيب بعود الرجل النابغ الذى افتقده أصحابه والمعجبون به زمنا طويلا • وأنشدت فى هذه المجامع قصائد جاء فى واحدة منها بيت معناه :

« طال حنيننا الى شعرك يا من طبَّق الآفاق صيته فى الشعر »

وفى هذا دلالة على أن الناس كانوا ألفوا أن يقرءوا شعر اقبال فى الفينة بعد الفينة ، فافتقدوه فى هذه الفترة ، وعلى أن اقبالا كان له صيت فى الشعر قبل سفره الى أوروبا •

فى الحمامة

نال اقبال اجازة الحمامة فى لندن ، وهو اليوم فى لاهور يمتحن الحمامة وكان لاقبال من ذكائه وعلمه وبيانه ما يؤهله لأن يبلغ فى الحمامة أعلى الدرجات ، ولكن الرجل خُلِقَ لغيرها ، ورُشِّحَ لما هو أجلّ وأعلى • وانما أراد بها كسبَ الكفاف ليفرغ للرسالة التى حُمِّلها فى هذه الحياة . الرسالة التى تنطق بها فلسفته وسيرته وشعره ونثره •

وحدثت أنه كان يسأل وكيله كم عندك ؟ • فأن عرف أن عنده مايتفق منه الى آخر الشهر لم يرغب فى قبول قضايا حتى الشهر التالى وأنه كان لا يقبل وكالة فى قضية حتى يعلم أن وكيله محقّ فى القضية التى يوكله فيها • وأنه يستطيع أن يأخذ له حقه •

وقد دام على الحمامة حتى سنة ١٩٣٤ م قبل وفاته بأربع سنوات اذ اضطره المرض الى تركها •

وسئل مرة ألم يتسه عمله الكثير يوما قضية من قضايا • فقال : كنت فى مكتبة المحكمة فجاءنى أحد موكلّى يخبرنى أن قضيته أمام القاضى • قلت ان لقضيتك يوما آخر • ولكنه ألح علىّ أن أذهب معه الى قاعة القضاء • فقلت للقاضى أن لقضية الرجل موعدا آخر • فنظر القاضى فى الأوراق فتبين أن القضية قدّمت اليه خطأ قبل موعدها

وفي هذه القصة دلالة على أن الشاعر الفيلسوف السياسي لم يشغله الشعر والفلسفة والسياسة عن قضايا ومواعيده .

في التعليم

رجع اقبال الى التدريس في كلية الحكومة التي تخرج فيها ، والتي درّس بها من قبل ، فعلم الفلسفة والأدب العربي والأدب الانكليزي . وكان راتبه منها خمسمائة روبية .

ثم استقال من الكلية بعد أن عمل بها نحو سنة ونصف . واكتفى بالمحاضرة .

وحدث خادمه الوفي ، على بخش ، قال :

سألته حين استقال من الكلية لماذا استقلت ؟ . فأجاب : يا على بخش ان خدمة الانكليز عسيرة ، وأعسر ما فيها ، أنى لا أستطيع أن أحدث الناس بما في نفسى مادمت في خدمتهم . وأنا اليوم حر ، ماشئت قلت وماشئت فعلت .

استقالة اقبال من الكلية لم تقطع صلته بالجامعة . فكان يعمل في مجالسها ولجانها . وقد لبث سنين عميدا لكلية الدراسات الشرقية ورئيسا لقسم الدراسات الفلسفية .

ويظهر أن النظام الانكليزي في الجامعات يجيز أن يتولى أستاذ مثل هذه الأعمال دون أن يكون موظفا في الجامعة .

وكان ذا صلة دائمة بالكلية الاسلامية في لاهور . وكذلك كان كثير الاهتمام بالجامعة المليية في دهلي ، دائم الاتصال بها .

وفي مؤتمر المائدة المستديرة عمل في لجان نظرت في اصلاح التعليم في الهند .

وفي سنة ١٩٣٣ دعى هو والشيخ سليمان الندوي والسير راس مسعود

الى كابل للنظر في التعليم عامة . وفي نظام جامعة كابل خاصة . وعملت
حكومة الأفغان بأكثر ما أوصى به

وأعظم ما أمد به أقبال التعليم والتربية ، فلسفته في الذاتية . وقد
طبّقها على التربية والتعليم والفنون في كثير من شعره .
وقد كتب في هذا أحد المعلمين النابهين الأستاذ سيدين كتابا اسمه
فلسفة اقبال التعليمية^١

محاضرات في أرجاء الهند

كان العلامة اقبال^٢ دائم الاتصال بمعاهد العلم في لاهور وغيرها ،
وكانت الجامعات تدعوه الى زيارتها والمحاضرة فيها .

دعى الى مدراس سنة ١٩٢٨ فألقى محاضرات هناك ، وبدأ محاضراته
الست التي أكملها من بعد في اله آباد وعليكبره ، والتي جمعت فسمّيت
« إصلاح الأفكار الدينية في الاسلام^٣ » وهي أعظم ما كتب اقبال
في الفلسفة .

ثم ذهب الى بنگلور في أمارة ميسور أوائل سنة ١٩٢٩ م . فلقى
حفاوة بالغة ، ودعاه المهاراجا الى مدينة ميسور فذهب اليها وحاضر في
جامعتها ، واحتفل الناس به كثيرا . وقال أحد أساتذة الهنادك في إحدى
الحفلات :

يقول المسلمون ان الدكتور أقبالا لهم . والحق أنه لنا جميعا لا يختص
جماعة أو ديناً . فأن افتخر المسلمون بأنه أخوهم في الدين فنحن نفتخر
بأن أقبالا هندي .

وفي هذه السّفرة زار اقبال قبر السلطان حيدر علي وقبر ابنه السلطان

Iqbal's Educational Philosophy. (١)

(٢) يلقب على السنة الخاصة والعامة ذكر اقبال مع لقب العلامة .

Reconstruction of Religious Thoughts in Islam. (٣)

تيبو ، وأصغى في خشوع الى قصيدة أنشدها شاعر على قبر «تيبو سلطان»
واقبال من المعجبين بهذا الملك . وقد ذكره في كثير من شعره ، شأنه في
الاعجاب بالأحرار الشجعان المجاهدين الذين يلقون الموت في سبيل الحق
صابرين راضين محتسبين . والسلطان تيبو - ويسمى في الهند تيبو
سلطان - جاهد الانكليز جهاداً كبيراً ولم يقعه عن جهادهم الا الموت .

وقد اجتهد في أن يستعين على الانكليز بعض الدول الاسلامية كما
حاول أن يحالف نابليون عليهم . وكان نابليون حينئذ في مصر . وقد جمع
له الانكليز ما استطاعوا وحاصروه . فلما يئس من النصر أنف من ذل الأسر
فألقى بنفسه من قلعة فمات سنة ١٢١٣ هـ .

ثم توجه اقبال لتقاء حيدر آباد فبلغها في الرابع عشر من كانون الثاني
وازدحم الناس لاستقباله . واصطف الصبيان يشدون تشيد اقبال القومى .
ودعاه نظام حيدر آباد فنزل في ضيافته أياماً

في الجامعة الاسلامية

ودعا الدكتور الأنصارى رحمه الله سنة ١٩٣٢ م حسين رءوف بك الى
القدوم الى الهند والقاء محاضرات في الجامعة الاسلامية . وحسين رءوف
عرّف في العالم الاسلامى منذ حرب تركيا وايطاليا سنة ١٩١١ ، أذ كان
رَبَّان المدرّعة حميدية فغامر بها في البحر الأبيض وأغرق كثيرا من سفن
الطليان .

وقد شارك في أحداث تركيا حرباً وسلمت حتى تولى رئاسة الوزارة
أيام حرب الاستقلال .

جاء حسين رءوف الى دهلى فألقى محاضرات في الجامعة على جمع حاشد .

وقد رأس احدى الحفلات محمد اقبال فتكلم بعد حسين رءوف في اتحاد المسلمين ، وأبطل دعوة الوطنية بينهم وأبان عن مفسدها .

ثم رأس اجتماعا آخر . ورجا الناس أن يسمعو منه مثل ما سمعوا في اليوم الأول ، ولكنه اكتفى بكلام قليل ختمه بهذه الفكاهة : ذهب الى ابليس جماعة من تلاميذه أيام الحرب العظمى (الحرب العالمية الأولى) فوجدوه خاليا ساكنا يدخن سيجارا . فسألوه كيف جلس خاليا فارغا من العمل . فأجاب : وكلت كل أعمالي الى الحكومة البريطانية هذه الأيام . وبعد أشهر عاد اقبال الى الجامعة الاسلامية في دهلى فالتقى محاضرة موضوعها السفر من لندن الى قرطبة . وحدثني الأستاذ أحمد پرويز أنه سمع هذه المحاضرة فرأى كيف اجتمع عقل اقبال وقلبه وعلمه وأدبه على الاعجاب بآثار العرب في الأندلس ، والاشادة بها . وحدث في هذه المحاضرة عن لقائه الفيلسوف برجسون في باريس وتحدثته معه في الفلسفة وفي أمور من الاسلام كان يجهلها الفيلسوف .

وفي هذا الصدد أذكر ماروى عن اقبال أنه حدث برجسون في الزمان — ولهذا الفيلسوف نظرية فيه توافق فلسفة اقبال من بعض الوجوه — وأن برجسون وثب من كرسية عَجَباً حينما ذكر أقبال الأثر المعروف : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » . وهذا الأثر مضمّن في شعر اقبال في منظومته رموز بى خودى .

احتفل بأقبال في الجامعة الاسلامية وتكلم كثير في الأشادة بأدبه . وكان ممن تكلم هناك مولانا أسلم الجراجورى فقال :

قرأت الشعر بالعربية والفارسية والأردية . ولا حرج على أن أقول أن أقبالا أعظم شعراء المسلمين . أن كلامه ليفيض بالحقائق الاسلامية ولقد هدى ناشتتنا سواء السبيل . أن أقبالا حذق علوم الغرب ، ثم أبلغ المسلمين الرسالة التى بصرتهم بحقيقة الاسلام وعظمته ، وملأت قلوب الشباب الغافل النائم ، بحب الرسول والقرآن .

ومنحت جامعة عليكره وجامعة اله آباد أقبالا لقب دكتور قَدْرًا لمكانته
في الأدب واعترافا بفضله

سفره الى أفغانستان

دعا نادر شاه ملك الافغان رحمه الله . محمد أقبال الى أفغانستان . ودعاه
السير راس مسعود والشيخ سليمان الندوي ، دعاهم ليشيروا على
حكومته في أمور الدين والتعليم .

وبلغ أقبال وصاحبه كابل في آخر تشرين الأول سنة ١٩٣٣ فاحتفى بهم
الملك والحكومة والكبراء والأدباء . ثم أشاروا على الحكومة بما رأوا فيه
صلاح التعليم . فعملت بكثير مما أشاروا به .

وفي هذه السّفرة ذهب الشاعر العظيم المولع بتاريخ الاسلام وسيّر
عظمائه الى غزنة وقتندهار ، وزار قبر مكسر الأصنام يمين الدولة وأمين
الملة السلطان محمود الغزنوي ، وزار قبر الشاعر الصوفي الكبير مجد الدين
سنائي . وله قصائد بليغة في هذين المشهدين وغيرهما مما رأى في
أفغانستان .

وقد خلّد هذه الرحلة بمنظومته « مسافر » ، كما سجلها الشيخ سيد
سليمان الندوي في كتاب .

في السياسة

فلسفة أقبال فلسفة أمل وعمل وجهاد وأقدام ، ودعوة عزة وكرامة
وحرية . فهي مدد للأمم المجاهدة لحررتها وكرامتها ، تبعث فيها النور
والنار .

وقد وجّه دعوته الى البشر عامة ، والمسلمين خاصة ، وأخذ من التاريخ
الاسلامي أمثلة لفلسفته وصوراً لشعره .

كان شعره وما يزال ، أناشيد مسلمي الهند المجاهدين • ولا ريب أن
شعر اقبال أشعل في النفوس ثورة على سلطان الانكليز في الهند ، وأمد
المجاهدين بالأمل والعزم والاقدام •

وقد شارك اقبال ، الى هذا ، في سياسة بلاده بأقواله وأفعاله ورأس
مجامع سياسية • وكان عمادا قويا لحزب الرابطة الاسلامية •

وحسب رجل أن يقول فيه القائد الأعظم محمد على جناح :
كان لي صديقا ، وأماما وفيلسوبا • وكان في أحلك الساعات التي مرت
بالرابطة الاسلامية راسخا كالصخرة • لم يزل لحظة واحدة قط



والح عليه أصدقاؤه سنة ١٩٢٦ أن يرشح نفسه في انتخاب الجمعية
التشريعية في بنجاب فأيده الناس وأنتخب بغير عناء • ولا تزال خطبه في
هذه الجمعية شاهدة بعمله فيها •

وقد عمل في حزب الرابطة الاسلامية ورأس الاجتماع السنوي في اله
آباد سنة ١٩٣٠ • وكانت أحوال مسلمي الهند حينئذ تعظم الشقة والتبعة
على من يتصدى لقيادتهم • وفي هذا الاجتماع ألقى خطبة مسهبة دعم فيها
آراءه بحجج من الفلسفة والاجتماع والأخلاق • ونبه الناس الى أن
اتحاد الهند عسير في هذه الأحوال ولا سبيل الى جمع الكلمة الا باعتراف
كل جماعة في الهند بالجماعات الأخرى ، والتعاون بين الجماعات المختلفة •
قال : ان رينان الفيلسوف الفرنسي يقول : ان الانسان ليس أسيرا
للجنس والدين ولا لمجاري الأنهار وسلاسل الجبال ، ولكن كل جماعة
كبيرة من البشر ، صحيحة العقل حية القلب ، ينشأ فيها شعور يجمعها ،
تسمى أمة •

يعنى أن الأمة لا تنشأ بالأقوام والأوطان ولكن بالشعور الذي يربط
آحادها •

ثم قال اقبال : ان الفرق الاجتماعية والجماعات الدينية في الهند لا تقبل
التفاضل عن أشخاصها من أجل الوحدة الهندية ، حتى ينشأ لها هذا
الشعور الذى يثبى الأمة في رأى رينان • ان لهذا الشعور ثمننا يأبى
أهل الهند أن يؤدوه •

فينبغى اذاً ألا نلتبس اتحاد الهند في محو الفوارق بين الجماعات بل
نلتزمه في الاعتراف باختلاف الجماعات والعمل للتعاون بينها •

ان السياسى ينبغى أن يعترف بالحقائق الماثلة ويستفيد منها جهد الطاقة •
وأن وجدنا وسائل للتعاون الحق ، يحلّ السلام والصفاء في هذه
الأرض العتيقة . وتحل مشاكل آسيا السياسية كلها • أنا ليحزننا أن نرى
أخفاقنا في مساعدتنا الى الاتفاق على ما يحقق السلام بيننا •

ويتصل بهذه الخطبة خطبته في المؤتمر الاسلامى حينما تولى رئاسة
اجتماعه السنوى سنة ١٩٣٢ • قال فيها :

أنا لا أقبل الوطنية كما تعرفها أوروبا • وليس أنكارى أياها خوفاً من
أن تضر بمصالح المسلمين في الهند ولكن أنكرها لأنى أرى فيها بذور
المادية الملحدة • وهى عندى أعظم خطر على الانسانية في عصرنا •

لا ريب أن الوطنية لها مكانها وأثرها في حياة الانسان الأخلاقية ولكن
العبرة في الحقيقة بأيمان الانسان وثقافته وسننه التاريخية • هذه هى في
رأى الأشياء التى تستحق أن يعيش لها الانسان ويموت من أجلها لا بقعة
الأرض التى اتصلت بها روح الانسان اتفاقاً • «

وفي هذا تأكيد لما قال من قبل عن مقومات الأمم في خطبته سنة
١٩٣٠ • وكتب اقبال الى محمد على جناح رئيس الرابطة الاسلامية الملقب
القائد الأعظم سنة ١٩٣٧ فقال فيما قال :

« أن خير وسيلة الى السلام في الهند في هذه الأحوال أن تقسم البلاد
على قواعد جنسية ودينية ولغوية » •

كان أقبال أول من دعا الى أن تقسم الهند فيكون للمسلمين بها موطن
يخصّهم ، اذ رأى محالاً أن يعيش سكان الهند جماعة واحدة أو جماعتين
متعاونتين •

وكانت هذه ، في رأى الناس ، دعوة عجيبة لقيها بعضهم بالتعجب
والسخرية ورآها بعضهم حُلم رجل مجنون •

* * *

واشترك أقبال في مؤتمر الطاولة المستديرة سنة ١٩٣١ و١٩٣٢ في لندن
وكان المؤتمر ينظر في دستور جديد للهند • وكان لأقواله وأعماله أثر يبين
في أعمال المؤتمر • وقد مرّ في سفره بروما وأقام بالقاهرة أياماً •

وقد احتفلت بمقدمه جمعية الشبان المسلمين وشهدت الاحتفال •
ودعاني أستاذى الشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله - وكان وكيل
الجمعية - الى أن أعرف الحاضرين بالضيف العظيم • فتكلّمت على قدر
معرفتى بأقبال يومئذ • وأنشدت بعض ما تذكّرت من شعره وأذكر أنى
أنشدت أبياتاً من ديوانه رسالة المشرق •

والقى هو محاضرة باللغة الانكليزية تكلم فيها عن تطور الفكر الاسلامى
أو في موضوع قريب من هذا • ولا أزال أتمثله قائماً يتدفق في بيبانه
ويروع بعلمه وفكره • وقلت له بعد المحاضرة : ليس في وسعى أن أنشد
شعرك أحسن مما أنشدت • فقال أنشدت انشاداً صحيحاً •

وأذكر أنى كنت في درس التاريخ الاسلامى في كلية اللغة العربية من
الجامع الازهر • فدخل هو وجماعة معه وأنا أتكلّم في أنساب العرب • ثم
برح القاهرة • وكان هذا آخر عهدى به • توجه تلقاء بيت المقدس فشهد
المؤتمر الاسلامى ، وتكلّم هناك • ولو سجلت كلمة اقبال في المسجد الأقصى
لوجدنا فيها للمسلمين خيراً كثيراً •

وفي السنة التالية شهد مؤتمر الطاولة المستديرة الثالث وفي عودته مرّ

بأسبانيا ، ورأى آثار المسلمين فيها فأوحت إليها شعرا منه قصيدته الخالدة
في جامع قرطبة • وقد استأذن حكومة أسبانيا في أن يصلى بالجامع • ولعلها
أول صلاة فيه منذ غابت شمس الاسلام عن قرطبة •

والذى يرى صورة شاعرنا الفيلسوف المسلم الغيور مصليا في جامع
قرطبة ، يقرأ قصيدة بليغة ويتخيل ما جال في فكر شاعر الاسلام في هذا
المقام الهائل ، والمشهد الرائع •

لقد نظم أقبال نفسه هذه القصيدة • ونشرت في ديوان بالجيريل • وهى
أحدى بدائعه • لا يفوق شاعر أقبالا فيما نظم في جامع قرطبة ، ولكن أرى
في صلاته قصيدة تروع نفسى معانيها ويكاد قلـمى يخط ألفاظها • وعسى أن
أخطأ يوما • ماذا جال في نفس شاعر الاسلام وهو في محراب الجامع
والجامع عطل من الصلاة والأذان وهو كما قال البحرى في ايوان كسرى :

فهو يبدى تجلدا وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسى

بل كما قلت أنا فيه من شعر الصبى :

فهو قلب من الأمان خلى	حائر في بلاه ليس بسال
كاد يملأ على عقائده الشك	زوال التسبيح والاهلال
فهو لولا الايمان هدمه اليأس	فيخوى على الذرى والقيال
كيف آى "أضاءها في جدار	قلم مدد من مداد الجمال
هل لها قارىء هناك عليم	بمعانى الهدى وسرّ الجلال
سور تسكن الغبار كماغا	ض برمل نبع النير الزلال
ومرايا الزمان تصدأ كالمرآة	قد طال عهدا بالصقال

ليت شعرى استطاع اقبال أن يسمع من وراء الأجيال الأذان ، تردده
ماذن جامع قرطبة ؟ أم أنصت الى القرآن يرتله الأئمة في المحراب ؟ أم
انقلبت آيات القرآن التى لا تزال تنير في جدران المسجد ترتيلا في أذنه ،
ووحيا في قلبه ؟ أى قصيدة هذه ؟ أى شاعر ينظم القصيدة التى عنوانها
« أقبال في محراب قرطبة » •



محمد اقبال يؤدي الصلاة في جامع قرطبة بالاندلس



ولما أعيد تنظيم الرابطة الإسلامية سنة ١٩٣٥ انتخب أقبال رئيساً لـشعبة الرابطة في بنجاب . وذلكم قبل وفاته بثلاث سنين .
ولم يُعجز أقبالاً مرضه المزمن ، عن التفكير والعمل والكتابة ونظم الشعر . ورسائله التي كتبها في آخر حياته إلى القائد الأعظم وغيره شاهدة بوقدة قلبه ، وذكاء عقله ، ومضيئه في جهاده على العِلاّت وتمطّره في حُكْمته حتى الممات .

لقب « سير »

في سنة ١٩٢٢ قدم لاهور صحفي انكليزي ساح في الشرق وسمع صيت أقبال الأدبي في أوروبا وبلاد الشرق . فأشار على حكومة بنجاب أن تمنح الشاعر الكبير لقب سير . فدعى أقبال إلى دار حاكم بنجاب الانكليزي لأول مرة . وقد حكى أحد أصدقائه^١ أنه لم يرغب في أجابة الدعوة أنه ألح عليه وحمله في عربته إلى دار الحاكم . ثم اقترحت له ألقاب أقل من رتبة سير فأبأها . ثم عرض عليه لقب سير فرغب عنه ولكن أحد كبار أصدقائه^٢ أصر على قبوله . فقبل على شرط أن يُمنح أستاذه ميرحسن ، لقب شمس العلماء . وهو الأستاذ الذي ثقفه في الأدب العربي والفارسي كما ذكرنا قبلاً . ولم يكن الأستاذ ذا صيت يسوّغ منحه هذا اللقب ، ولكن أقبالاً أصر عليه فقبله الحاكم .

وقد أخذ بعض الناس أقبالاً بقبول هذا اللقب من الانكليز وأذاعوا عنه أقاويل . ونشرت بعض الصحف نظماً ونثراً فيهما هُزُوٌ بالشاعر الشاعر الشاعر داعية الحرية ، ولكن أصدقاءه والمعجبين به احتفلوا بهذه المنحة احتفالاً كبيراً عند قبر جهانكير في ضواحي لاهور . وشارك الهنادك والسيك ، المسلمين في هذا الاحتفال .

(١) مرزا جلال الدين

(٢) النواب السير ذو الفقار علي خان .

وما كان لقبول هذا اللقب أثر ما في نفس الشاعر الفيلسوف وعمله .
وما زال طول حياته ينفث شعره في النفوس حياة وقوة وأباء وجهادا
ودعوة الى الحرية وثورة على الجبروت ، وأيقاظا للمسلمين خاصة، وتبصيرا
لهم بمكانهم في هذا العالم ومكائنتهم في تاريخه . وما أعرف كشعر أقبال
دعوة الى الثورة على الاستعباد والتمرد على الطغيان ، والى لقاء الشدائد
في هذه الحياة بأكبر منها أملا وعزما وجهادا .

مرضه

شرعت العلل تعترى الشاعر الفياض ، الذي يخيّل الى قارئه أنه
لا يفتر ولا يمل ولا يمرض ولا يموت .
أصابته حصاة في الكلية فعالجه الحكيم البصير الدهلوى^١ فنجم
علاجه .

وفي سنة ١٩٣٥ بّحّ صوته ، وجهّد كثير من الأطباء في شفائه ، فلم
يتجدّد جهدهم حتى عالجه الحكيم البصير فخفت العلة قليلا .
وفي السنة نفسها توفيت زوجته فبلغ موتها من نفسه ، وأحزنه كثيرا .
وترادفت علك أصاب بعضها القلب ، واستمرت تنقص من قوته شيئا
فشيئا ، تنقص من قوة جسمه ولا تنال من عقله وروحه . فلم يفتّر عن نظم
الشعر ، ولم ينقطع عن التفكير والبيان حتى الأيام الأخيرة .
واشتدت العلة في شهر نيسان ١٩٣٨ . وبلغت مبلغ الخطر في التاسع
عشر من الشهر . وعنى الأطباء به كل عناية فما أغنى حرصهم على شفائه
شيئا .

(١) حكيم نابينا وهو طبيب في الطب الاسلامي المسمى في الهند الطب
اليوناني وكان خريجا وله في العلاج بصيرة فاق بها البعيرين .

وكان رحمه الله يحسن دنو أجله ويذكره غير هائب ولا جازع • وكان يردد قبل موته ببضعة أيام أن المسلم يلقي الموت مسرورا • وقال لصديق ألماني قبل وفاته بيوم : أنى مسلم لا أُرهب الموت • اذا جاء الموت لقيته مبتسما •

وأُرسلت اليه جُزاة من صحيفة في جنوبى أفريقيا فيها أن المسلمين في اجتماع لهم في ناتال ، دعوا له ولجناح وكمال أتاتورك بطول الحياة • فقال : أنا ختمت عملى • وجناح يؤدى رسالته • فعلى المسلمين أن يدعوا له هو بطول العمر • وفى مساء العشرين من نيسان دخل عليه ابنه جاويد وسنه حينئذ ثلاث عشرة سنة • فقال له : هلم الى يا بنى ! اجلس ، فما أدري لعلنى ضيف لبضعة أيام • قال أحد الحاضرين : أنه صغير السن يتقرعه مرضك • فأجاب أريد أن يلقي كل حَدَث لقاء الرجال • وقال لچود هرى محمد حسين — وكان من المقرّبين اليه ووَصّى على أولاده بعد موته ولقيته سنة ١٩٤٧ فى لاهور وذهبت معه الى دار اقبال وقبره • وفى دار اقبال لقيت جاويد فأهدى الى صورة والده • ولم يعش محمد حسين بعد صديقه كثيرا — قال له اقبال : كتبت فى آخر « جاويد نامه » أبياتا عنوانها « خطاب لجاويد » وقلت فيها : أن فى عصرنا هذا قحطا فى الرجال • وعسير فيه الظفر بقاء رجال الله • فأن تكن سعيد الجدّ لقيت أحد أصحاب البصائر • والا فاعمل بهذه النصائح •

ثم قال : وحين يَشَبّ جاويد ، بعد موتى ، أفهمه هذا الشعر وفى هذه الليلة سئل عن صحته فقال : أريد الخلاص من هذه المشقة فورا •

وفاته

روى عن راجه حسن ، وكان مع اقبال ليلة وفاته — ولقيته فى لاهور مرات وفى كراچى وسمعت منه هذا — أن اقبالا رحمه الله أشد قبل موته بنحو عشر دقائق :

سرود رفته باز آید که ناید نسیمی از حجاز آید که ناید
سر آمد روزگار این فقیری دگر دانای راز آید که ناید

و ترجمتها :

«نعمات مضمين لى هل تعود ؟ أنسيم من الحجاز يعود ؟
آذنت عيشتى بوشك رحيل هل لعلم الأسرار قلب جديد؟»

ومن شعر اقبال :

نشان مرد موئن باتو گويم چو مرك آيد تبسم برب اوست
ترجمته :

« آية المؤمن أن يلقى الردى باسم الشجر سرورا ورضا »

وكذلك كان اقبال حين الموت • وضع يده على قلبه قائلا : الآن بلغ الألم
هنا • وتأوه وأسلم الروح الى خالقها وهو مبتسم • وما بدا عليه أثر من
سكرات الموت ، وكان الى اللحظة الأخيرة كامل الشعور
انا لله وانا اليه راجعون

عمره

توفي اقبال وعمره بالتوقيت الهجرى :

سبعاً وستين سنة وشهراً وستة وعشرين يوماً
وبالحساب الشمسى خمساً وستين سنة وشهراً وتسعة وعشرين يوماً

الاحتفال بجنائزه ودفنه

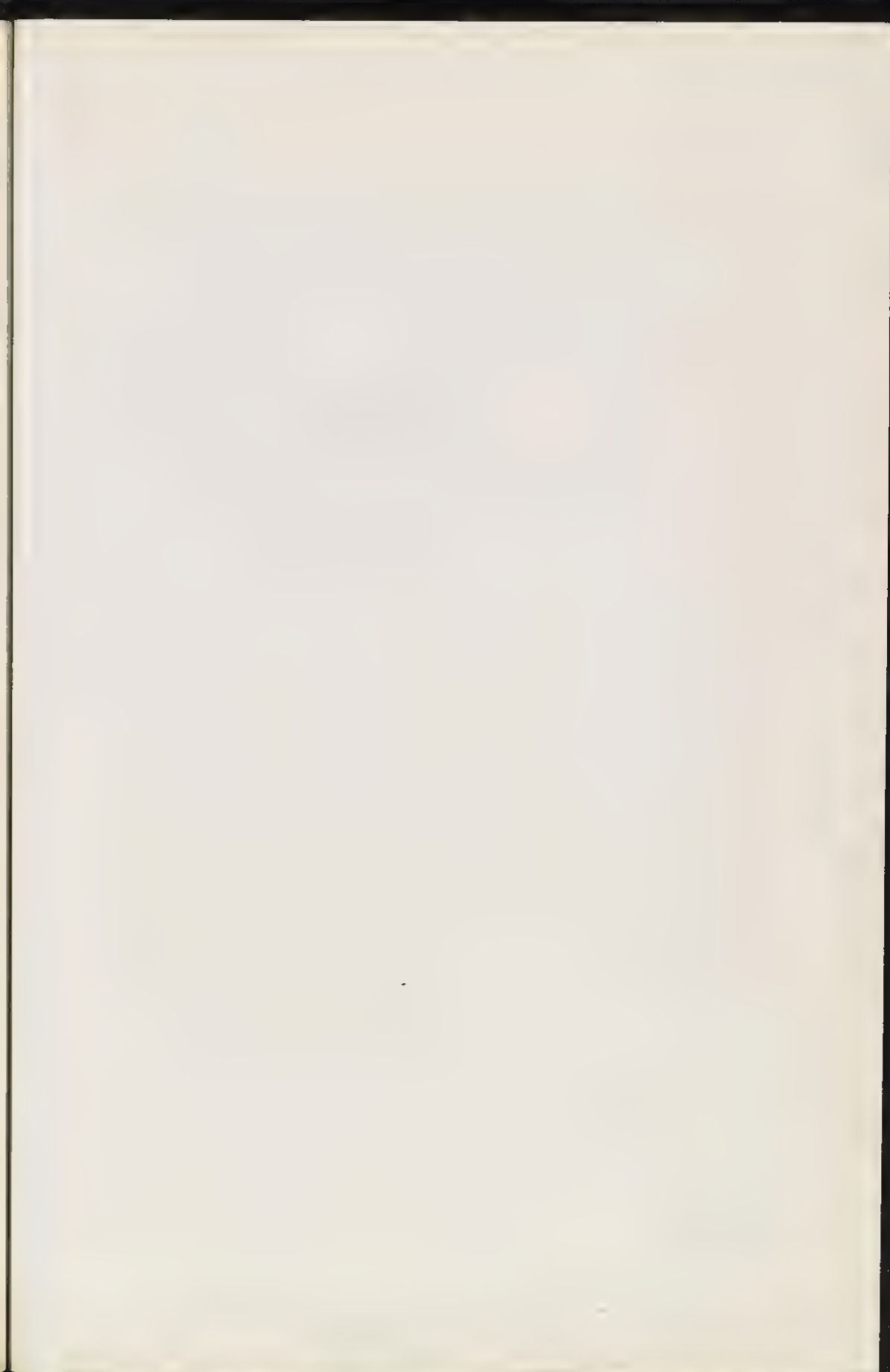
شاع فى الناس النبأ الفاجع ، والخطب الصاعق ، نعى اقبال • فكان
الأسى على قدر حب الناس ايّاه ، وأكبارهم وأعظامهم له ، وعلى قدر
ما وعت قلوبهم ، وأنشدت أفواههم من شعره ، وعلى قدر ما نفذت الى
سرائرهم ، وأنارت فى ضمائرهم أقوال الرجل العظيم الخالد ، داعية
الحياة والأقدام ومصور الإنسانية فى أروع صورها وواصف الحياة فى



« جاويد منزل » منزل اقبال بمدينة لاهور



ضريح المرحوم محمد اقبال بمدينة لاهور
وترى خلفه قباب المسجد الجامع



أجل وجوهها •

عُظمت الدواوين والمتاجر ، وذهب الناس زرافات ووحدانا الى
« جاويد منزل » دار محمد أقبال •

رأيت أنا هذه الدار مرات • ما ذهبت الى لاهور الا زرتها • وهى دار
صغيرة ، طبقة واحدة ، يلج داخلها الى فناء صغير • ثم يصعد درجات الى
بهو ، يتفضى الى حجرتين عن يمين وشمال • دخلت الحجرة التى الى
الشمال وقيل هذه حجرة أقبال • كان ينام فيها ويكتب شعره • ويمضى
كثيرا من وقته •

قلت هذه الحجرة التى وسعت الدنيا بل وسعت العالم ، بل وسعت
ماهو أعظم من العالم وأوسع ، قلب المؤمن • كم تنزل فى هذه الحجرة
وحى الشعر ! وكم ازدهت فيها أفكار الفلسفة وكم خفق فيها قلب
هو كما قلت قبلا فى رثاء محمد فريد رحمه الله :

قلب" يترى زَماعه وطماحه زلزال هذى الأرض بالخفقان

قبره

اتفق جماعة من أصدقاء أقبال وأولى الراى فى المدينة على أن يتخذوا
لشاعر الحياة قبرا فى فناء المسجد الجامع (شاهى مسجد) • وهو فناء
واسع يتفضى اليه من جهة الجنوب باب كبير فى سَور حول المسجد عال ،
تمتد معه أبنية كثيرة •

اختيرت بقعة الى يسار الداخل الى الفناء ، على مقربة من الدرج الكبير
الصاعد الى باب المسجد الرائع ، اختيرت هذه البقعة لجثمان أقبال ، اتخذت
هذه الخزانة لهذا الكنز ، بل اتخذ هذا الصوان لهذا الكتاب الخالد •

وقد رأيت ضريح أقبال سنة ١٩٤٧ م وكانت الحجرة التى فيها الضريح
لم يكمل بناؤها • ثم زرته مرات من بعد حينما قدمت باكستان سفيرا •

وقد تمت الحجرة ونقش على أعلى جدرانها أبيات من شعر أقبال ، يتردد
نظر العبرة والخشوع بينها وبين الضريح الماثل الذي يحنو على رفات
الشاعر الخالد •

وعلى الضريح صفائح من المرمر • وقد كتب على شاهده أن محمد نادر
شاه ملك الأفغان أمر بصنع هذا الضريح اعترافا منه ومن الأمة الأفغانية
بفضل الشاعر •

ان في هذا الضريح الثاوى في حضانة المسجد الكبير ، الذى بناه محيى
الدين أورنگزيب ، الذى بلغت دولة المسلمين فى عهده أوج عزتها ،
والقائم على مقربة من الآثار الرائعة التى خلّفها ملوك المسلمين فى قلعة
لاهور الهائلة - ان فى هذا الضريح لوحيا لا يفتر ، وذكرى لا تنقطع ،
من حاضر المسلمين وماضيهم ، ومن معالى الاسلام وشعر أقبال • وأن
شعر أقبال ليُجلّى لقارئه حضارة الاسلام وتاريخه ، فى صور رائعة
هائلة • ويفسر هذه الآثار المحيطة به تفسيراً جميلاً جليلاً ، وأن من يقرأ
شعر أقبال ليستأنف فى الاسلام وتاريخه نظراً ، ويجد فيه تفكيراً •••
ماذا عسى أن يقول قائل فى أقبال وضريح أقبال • حسبك أيها القلم •
يرحم الله محمد أقبال •

صدى نعيه فى الهند

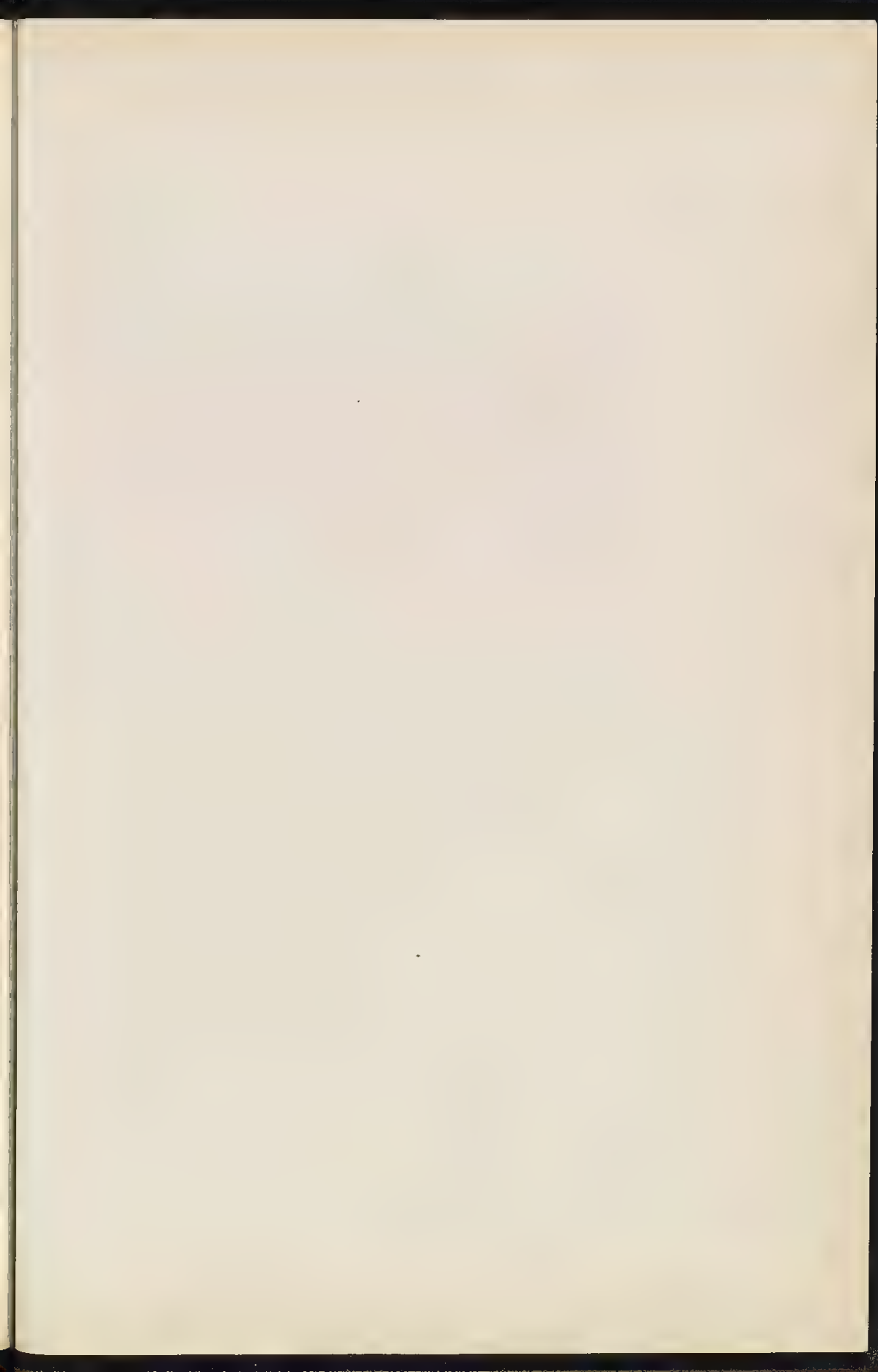
كانت وفاة أقبال حسرة على مسلمى الهند بما فقدوا المرشد الهادى ،
وافتقدوا الدليل الحادى . وبما حرّموا هذا الينبوع الثرار بل النهر
الهدّار •

وقد رددت هذه الحسرة مقالاتهم . ورسائلهم وأشعارهم وشارك
المسلمين غيرهم فى الأسى عليه وأكبار فقده

وقراء العربية أكثرهم ، لا يعرفون كبراء الهند وأدباءها • فأثبت هنا
طرفاً من أقوالهم • فحسبى أن أثبت مقال رجلين أحدهما زعيم سياسى مسلم ،



الدكتور عبد الوهاب عزام - مؤلف الكتاب - عند ضريح اقبال
(رمضان سنة ١٣٧٣ هـ)



وثانيهما شاعر فيلسوف هندوكى ، ذانكم محمد على جناح رئيس العصبة
الاسلامية ومؤسس باكستان . والثانى طاغور الشاعر الذى ذاع ذكره فى
المشرق والمغرب .

قال محمد على جناح :

« كان شاعرا منقطع النظير ، طبَّقَ صيته الآفاق . وستبقى كلماته حيَّة
أبدا . وان مساعيه لأُمته وبلده لتضعه فى صف أكبر كبراء الهند . وان
وفاته اليوم لحسارة كبيرة للهند عامة والمسلمين خاصة » .
وقال فى خطاب ألقاه فى الاحتفال بذكرى اقبال فى جامعة بنجاب سنة
١٩٤٠ م

ان حييت حتى رأيت للمسلمين دولة قائمة فى الهند فخيرت بين الرياسة
العليا فى هذه الدولة المسلمة ، وبين كتب اقبال لم أتردد فى اختيار الثانية .
وكتب الى ابن اقبال بعد وفاته :

« كان لى صديقا ومرشدا وفيلسوبا . وكان فى أحلك الساعات التى
مرت بالرابطة الاسلامية راسخا كالصخرة . لم يتركزل لحظة واحدة قط » .
وقال طاغور :

تركت وفاة اقبال فى أدبنا خلاء يشبه جرحا مهلكا ، ولن يملأ الا بعد
مدة مديدة . ان مكانة الهند فى العالم ليست مكينة فموت شاعر عالمي
كهذا مصيبة لا تحتملها البلاد .
ومما قاله طاغور كذلك :

لا ريب عندى أن ما ناله شعر اقبال من قبول وصيت يرجع الى ما فيه
من نور الأدب الخالد وعظمته . ويؤسفنى أن بعض النقاد وضع أدبى
وأدب اقبال فى ميزان المنافسة ، وجهدوا أن يثييعوا أغلاطهم فى هذا
الشأن . وهذا عمل لا يليق بالأدب الفسيح الذى يخاطب النوع الانسانى
كله . لأن فى ساحة الأدب العالمى يقوم الشعراء وأولو الفن فى صف واحد
من الأخوة الانسانية .

ويقينى أنى ومحمد اقبال عاملان للصدق والجمال فى الأدب . ونحن
نلتقى حيث يقدم القلب الانسانى والعقل الى عالم الانسانية أجل هداياهما
وأروعها .

الباب الثاني

فلسفة اقبال

الفصل الأول منظومة أسرار خودى

يستطيع الناقد البصير أن يجد في شعر اقبال ، الذى أنشأه في صباه قبل سفره الى أوربا ، لمعاً من فلسفته ، وشراً من ناره التى اشتعلت فأضاءت من بعد . وتتسع هذه اللمع ويكثر هذا الشرر على مرّ الزمان حتى ينشر أول دواوينه الفلسفية أسرار خودى سنة ١٩١٥ م فيتجلى مذهبه . وتتضح طريقته في الفلسفة والشعر . ان نشر منظومة « أسرار خودى » حدث بين عهدين . فالشعر الذى نشر قبله فيه نفحات من فلسفته ، ونفحات من شعره متفرقة غير جلية . ويتضمن هذا الشعر ديوان بانگ درا (صلصلة الجرس)

وأسرار خودى تمتاز بأنها منظومة واحدة على القافية المزدوجة فيها فصول يوضح فيها اقبال فلسفته في الذات فكرة بعد فكرة ، ولكن هذه الفلسفة ممزوجة بالشعر عليها رونقه ومعها أخيلته وصوره . فهى فلسفة فيها شعر .

ويكتمل هذا الديوان ديوانه الثانى الذى نشره سنة ١٩١٨ : « رموز بى خودى » .

والدواوين التى أنشئت بعد ، شعر " في موضوعات شتى ، وصور لا ينالها حصر . ولكن فلسفته تشيع فيه ظاهرة وخفية . وصريحة ومكنية . ويسوغ أن نصف هذه الدواوين بأنها شعر فيه فلسفة .

نشرت منظومة أسرار خودى سنة ١٩١٥ م فثار الناس لها بين راض وساخط ، ومستحسن ومستنكر ، بل بين مصنفق طربا يشنى معجباً ، وصائح يتعجب

ويستنكر ، ويثدبر • وينفر وقبل أن أيّـن كيف تلقى الناس فلسفة اقبال
كما بينها في كتابه « أسرار خودي » أثبت خلاصة المقدمة المنشورة التي
صدر بها اقبال كتابه :



يقول اقبال في رسالة الى الشاعر الكبير أكبر اله آبادي الملقب لسان
العصر ، كتبها في ١٨ اكتوبر ١٩١٥ • بعد نشر أسرار خودي بستة أشهر :
« الدين بغير القوة فلسفة محضة » • ١

« هذا حق لا ريب فيه • وهذا في الحقيقة ، ما دعاني الى كتابة المثنوي
(أسرار خودي) • وأنا منذ عشر سنين في هم وتفكير من أجل هذا
الموضوع • »

فقد لبث اقبال سنين يفكر في حال المسلمين ، ويتمعن النظر في أسباب
ضعفهم ، ويحجّل الفكر في ماضى الأمم وحاضرها ، ويقرأ فلسفاتها حتى
اتنهي الى مذهبه الذى أبان عنه في منظومته هذه : (أسرار خودي)
قدّم الشاعر لهذه المنظومة مقدمة منشورة مجملة بحث فيها في نفس
الانسان ومذاهب الأمم فيها ، وفي العمل واختلاف الفلسفات فيه •
وحذف الشاعر هذه المقدمة بعد الطبعة الأولى ، ولكنها على اجمالها
تبين المذهب الفلسفى الذى ذهب اليه الشاعر حين نظم كتابه • وتجمع
للقارئ ما اتشر في هذا النظم من آراء •
وسأجل القول فيها على اجمالها :

(١) مأخوذ من نيت لأكبّر :

نهو مذهب مين گر زور حكومت
تو وه كيا هي ؟ نراك فلسفه هي

يبدأ اقبال المقدمة بقوله :

« هذه الوحدة الوجدانية أو نقطة الشعور المنيرة التي تستنير بها أفكار الانسان وعواطفه ورغباته ، أمر تحيطه الأسرار ، ينظم ما في فطرة الانسان من كينيات متفرقة غير محدودة •

ما هذا الشيء الذي نسميه (أنا) أو (خودي) أو (مين) ^١ الذي يبدو في أعماله ويخفى في حقيقته ، والذي يخلق كل المشاهدات ولكن لطافته لا تحتمل المشاهدة • ؟ أهو حقيقة دائمة أم أن الحياة تجلت في هذا الخيال الخادع ، وهذا الكذب النافع ، تجليا عرضياً لتحقيق مقاصدها العملية الراهنة ؟ »

ان سيرة الأفراد والجماعات موقوفة على جواب هذا السؤال ولكن جواب هذا السؤال لا يتوقف على المقدرة الفكرية في الآحاد والجماعات ، كما يتوقف على طباعها وفطرتها • فأمم الشرق المتفلسفة أميل الى أن تعتبر « أنا » في الانسان من خداع الخيال • وهي تعدّ الخلاص من هذا الغلّ نجاة • وميل أهل الغرب الى العمل ساقهم الى ما يلائم طباعهم في هذا البحث • »

ويمضى اقبال في مقدمته قائلاً :

اختلفت في عقول الهنادك وقلوبهم ، النظريات والعمليات اختلاطاً عجيباً • ودقق حكماؤهم في حقيقة العمل واتفقوا الى هذه النتيجة : أن حياة « أنا » المسلسلة ، وهي أصل المصائب والآلام ، منشؤها العمل ، وأن حالة النفس الانسانية نتيجة محتومة لأعمالها

(١)خودي بالفارسية معناها الذات أو الذاتية ، ومين بالاردية معناها « أنا »

ولا ريب أن آراءهم جديرة بالاعجاب من جهة الفلسفة ، ولا سيما جرأتهم على قبول كل نتائج هذه القضية ، وقولهم انه لا سبيل الى الخلاص من شرك « أنا » الا ترك العمل •

ولكن في هذا خطرا عظيما في حياة الواحد والجماعة • فلم يكن بد من أن يظهر في الهند مجدد يبين حقيقة المقصود من « ترك العمل » • وكان هذا المجدد شري كرشن • فقد بين أن ليس المقصود ترك العمل حقا ، فالعمل مقتضى الفطرة وفيه قوة الحياة • بل المقصود ألا يربط قلب الانسان بالعمل وتتأخذه • وتبع هذا المجدد آخر هو شري رام نوج ولكن جاء على أثرهما شري شنكر أچاريه فخالقهما وحرم الناس من ثمرات هذا التجديد •

— ٣ —

وكانت رسالة الاسلام في غربى آسيا دعوة الى العمل بليغة • فالاسلام يرى أن « أنا » مخلوق ينال الخلود بالعمل • ولكن تشابها عجيبا في تاريخ الفكر الهندى والاسلامى • يظهر في بحث هذه المسألة • فالفكرة التى فسّر بها شنكر أچاريه كتاب الجيتا (گيتا) هى الفكرة التى فسّر بها القرآن محيى الدين ابن عربى الأندلسى • وكان له أثر بليغ في عقول المسلمين وقلوبهم • جعل ابن عربى بعلمه ومكائنه مسألة وحدة الوجود عنصرا في الفكر الاسلامى • واقتفى أثره أوحّد الدين الكرمانى ^١ وفخر الدين العراقى ^٢ حتى اصطبغ بهذه الصبغة كل شعراء العجم في القرن السادس الهجرى • ان مزاج الايرانيين الرقيق وطبعهم اللطيف ، لم يصبر على

(١) الشيخ أبو حامد أوحّد الدين الكرمانى كان من تلاميذ ابن عربى وتتجلى وحدة الوجود في شعره • وله منظومة اسمها مصباح الارواح فيها بيان طريقته •

(٢) الشيخ فخر الدين العراقى ، لقي الشيخ صدر الدين القونوى خليفة ابن عربى وأخذ عنه وألف كتاب اللغات الذى كتب عليه الشيخ عبد الرحمن الجامى أشعة اللغات توفي سنة ٦٨٨ هـ

المشقة الفكرية التي لا بد منها في السير من الجزء الى الكل • فطوا
المرحلة الوعرة التي بين الجزء والكل بالتخيل ، ورأوا في «عرق السراج»
« دم الشمس » وفي « شرار الحجر » جَلوة الطور ١ •

— ٤ —

خاطب فلاسفة الهند العقل في اثبات وحدة الوجود • وخاطب شعراء
ايران القلب فكانوا أشد خطرا وأكثر تأثيرا ، حتى أشاعوا بدقائقهم
الشعرية هذه المسألة بين العامة فسلموا الأمة الاسلامية الرغبة في العمل •

ولعل شيخ الاسلام ابن تيمية من علماء المسلمين ، وواحد محمود من
فلاسفتهم ، أول من رفعوا الصوت باستنكار هذه النزعة ، ولكن مصنفات
واحد محمود لا تُلغى اليوم • ولا ريب أن منطق ابن تيمية القوي أثر أثره ،
ولكن جفاف المنطق لا يقوى على مقاومة نضرة الشعر وفتنته •

وقال الشيخ على حزين : ان التصوف جميل في الشعر • فدل على أنه
عرف حقيقة الأمر ، ولكن أقواله تدل على أنه لم يَسْج من تأثير بيئته •
فكيف كان الفكر الاسلامي في الهند يستطيع المحافظة على نزوعه الى
العمل ؟

استولت على مرزا بيدل لذة السكون فلم يستحسن حتى طرفة العين •
يقول :

« ان في بيت الزجاج لطائف محيرة • فلا تَطْرِف عينك فتخدش صبغة
هذا المنظر ٢

(١) هذا تمثيل لعبارات مألوفة في شعر الصوفية .

(٢) نزاکت هاست دراغوش مینا خانه حیرت

مزه برهم مزن تانشکني رنگ تماشارا

وبيت الزجاج « مینا خانه » هو هذا العالم التي تقوم فوق القبة الزرقاء •

وللشاعر تمنا بيت يقول فيه :

« انظر الى كل ما يأتى أمامك ولا تنطق • اتخذ عينا كعين مرآة وفما
كهم الصورة »^١

— ٥ —

وتمتاز أمم الغرب بين أمم العالم بميلها الى العمل • فأراؤهم خير دليل
لأمم المشرق الى فهم أسرار الحياة •

بدأت الفلسفة الجديدة فى الغرب من وحدة الوجود التى دعا اليها
الفيلسوف الهولندى الاسرائيلى^٢ ولكن مَسْحَة العمل غلبت على
طبائع الغرب • فلم يلبث طويلا طَلِسْم وحدة الوجود التى أُثْبِتَتْ بأدلة
رياضية • سبق الألمان الى اثبات حقيقة (أنا) الانسانية المستقلة ، ثم
تحرر من هذا الطلسم الخيالى فلاسفة الغرب على مر الزمان ولا سيما
فلاسفة الانكليز •

والحق أن لأفكار الانكليز العملية فضلا على أمم الأرض كلها • فان
« احساس الواقعات » عندهم أحد منه عند الأمم الأخرى • ولهذا لم
يَرَجُح فى بلاد الانكليز حتى اليوم كل نظام فلسفى من نسج الفكر لا يثبت
فى ضوء الواقعات •

— ٦ —

ويختتم اقبال بقوله :

هذه خلاصة تاريخ المسألة التى هى موضوع هذه المنظومة • وقد

(١) ديكه جو كچه سامنى آجائى مونه سى كچه نه بول
آنكه آينده كى بيداكى ، دهن تصويركا
(٢) يعنى اسبنوزا

— ٥٣ —

اجتهدت أن أحرر هذه المسألة الدقيقة من تعقيد الأدلة الفلسفية ، وألونها
بألوان الخيال ليتيسر ادراك حقيقتها •

ولم أقصد بهذه الديباجة الى تفسير هذه المنظومة • ولكن أردت أن
أدل على الطريق مَنْ لم يَلَمْ من قَبْلُ بدقائق هذه المسألة العسيرة
ولا ينبغي هنا أن أتناول هذه المنظومة من حيث الشعر ، فأنا خيال
الشعر فيها وسيلة الى توجيه الناس الى هذه الحقيقة :

ان لذة الحياة مرتبطة باستقلال « أنا » وبأبوابها واحكامها وتوسيعها •
وهذه الدقيقة تمهد الى فهم حقيقة « الحياة بعد الموت » •

— ٧ —

وينبغي أن يعلم القراء أن لفظ « خودى » لا يستعمل في هذه المنظومة
بمعنى الأثرة كما تستعمل في اللغة الأردية غالبا • انما معناها الاحساس
بالنفس أو تعيين الذات • وهى بهذا المعنى في كلمة « بيخودى » كذلك • «

هذه خلاصة المقدمة المنشورة التى أثبتها محمد أقبال فى الطبعة الأولى
لأسرار خودى ثم حذفها فى الطبعات التالية •

وقد كتب الأستاذ نكلسون المستشرق الانكليزى ، مترجم مثنوى حلال
الدين الرومى ومترجم أسرار خودى الى الانكليزية — الى اقبال يسأله
أن يكتب مقالا يوضح فيه مذهبه فكتب اليه مقالا أجمل فيه فلسفته ،
فأثبت نكلسون بعضه فى مقدمة ترجمته لأسرار خودى • والمقال أحسن
مقدمة لهذه المنظومة وفلسفة اقبال كلها •

وقد رأيت أن أثبت هنا ترجمته من النص الأردى مع تغيير قليل
واختصار ، واليك المقال :

« يقول الأستاذ بريدلى ^١ ان الشعور يقع فى مراكز معينة ويعبّر عنه عبارات مختلفة ثم ينتهى الى أن يكون غير قابل للتفسير ، ولكن هذا الذى لا يقبل التفسير اذا تجاوز مراكز الشعور ينتهى الى وحدة يعبر عنها بالمطلق تفقد فيها كل مراكز الشعور المحدودة فرديتها كما تفقد القطرة فى البحر .

يرى بريدلى أن هذه المراكز المحدودة ليست الا مظهرها . وفى فلسفته أن ثبوت الحقيقة بعمومها . فالحقيقة فى نفسها محيطة . وكل محدود اضافى لا مطلق . فهو خداع نظر . كل شىء فى الكائنات محدود ، فهو اضافى فهو باطل .

فمذهب الأستاذ بريدلى أن كل مركز للشعور محدود ، أى كل ذات مفردة ، خداع نظر وباطل . وأنا أقول ، على خلاف هذا ، ان مركز الشعور المحدود الذى لا يدرك (الذات) هو حقيقة الكائنات . فالذات حق لا باطل .

الحياة كلها فردية ، وليس للحياة الكلية وجود خارجى . حيثما تجلّت الحياة تجلت فى شخص أو فرد أو شىء . والخالق كذلك فرد ولكنه أوجد لا مثل له .

وظاهر أن هذا التصور للكائنات يخالف كل المخالفة ما ذهب اليه شرّاح فلسفة هيكل من متحدثي الانجليز ويخالف أصحاب وحدة الوجود الذى يرون أن مقصد حياة الانسان أن يتقنى نفسه فى الحياة المطلقة أو « أنا » المطلق كما تقنى القطرة فى البحر .

أرى أن هدف الإنسان الدينى والاخلاقى أثبات ذاته لا نفيها ، وعلى

(١) الأستاذ بريدلى Bradley كان أستاذ الفلسفة فى جامعة اكسفورد . ولد سنة ١٨٤٦ وتوفى سنة ١٩٢٤ . وله كتب كثيرة فى الفلسفة . وهو من القائلين بوحدة الوجود على مذهب هيكل الفيلسوف الالماني .

قُدر تحقيق انفراده أو وحدته يقرب من هذا الهدف •

قال الرسول صلى الله عليه وسلم «تخلقوا بأخلاق الله» فكلما شابه
الانسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فردا بغير مثيل •

اننا نسأل ما الحياة ؟ وواضح أن الحياة أمر فردى • وأعلى أشكاله
(التي ظهرت حتى اليوم) « أنا » وبها يصير الفرد مركز حياة مستقلا
قائما بنفسه • فالانسان من الجانبين الجثمانى والروحى ، مركز حياة قائم
بنفسه ولكنه لما يبلغ مرتبة الفرد الكامل •

وتنقص فرديته على قدر بعده من الخالق • والانسان الكامل هو الأقرب
الى الله ، ولكن ليس القصد من هذا القرب أن يتفنى وجوده فى وجود
الله ، كما تقول فلسفة الاشراق ، بل هو ، على عكس هذا ، يمثل الخالق
فى نفسه •

وقد بينَّ جلال الدين الرومى هذه النقطة بيانا حسنا اذ قال : ان حلبة
السعدية حاضنة الرسول صلى الله عليه وسلم افتقدته يوما وهو طفل •
ففزعزت وتولتته ، فسمعت من الغيب هذا النداء : « لا تحزنى فلن تفقديه ،
بل العالم كله يفقد فيه » !

يعنى أن الفرد الكامل والانسان الحقيقى لا يضل فى الكائنات بل تضل
هى فيه أى تسخر له فيتصرف فيها •

وأنا أجاوز هذه المنزلة فأقول : يتفقد رضا الحق (الله) فى رضاه

الحياة رقى مستمر ، تسخر كل الصعاب التى تعترض طريقها •
وحقيقتها أن تخلق دائما مطالب ومثلا جديدة • وقد خلقت من أجل اتساعها
وترقيها آلات كالحواس الخمس والقوة المدركة لتقهر بها العقبات
والمشقات •

وأشد العقبات في سبيل الحياة المادة أو الطبيعة ، ولكن المادة ليست شراً كما يقول حكماء الأشراف ، بل هي تُعين الذات على الرقي ، فأن تقوى الذات الخفية تتجلى في مصادمة هذه العقبات •

وإذا قهرت الذات كل الصعاب التي في طريقها بلغت منزلة الاختيار • الذات في نفسها فيها اختيار وجبر ، ولكنها إذا قاربت الذات المطلقة نالت الحرية الكاملة • والحياة جهاد لتحقيق الاختيار ، ومقصد الذات أن تبلغ الاختيار بجهادها •

دوام الذات أو الشخصية

مركز حياة الإنسان ذات (خودي) أو شخص ، أعنى أن الحياة حينما تتجلى في الإنسان تسمى ذاتا •

وشخصية الإنسان من الوجهة النفسانية حال من التوتر • ودوام الشخصية موقوف على هذه الحال • فان زالت هذه الحال عقيبتها حال من الاسترخاء مضرة بالذات • فأن يكن في حالة التوتر هذه كمال الإنسان فأول فرض عليه أن يعمل لدوام هذه الحال والحيلولة دون حال الاسترخاء • وكل ما يمكننا من ادامة حال التوتر يمكننا من الخلود •

وهذا التصور للشخصية يقوم معياراً لقيّم الأشياء أعنى أن في ذاتنا معيار الحسن والقبح • وبهذه تحل مسألة الخير والشر ، فما يقوى الذات خير وما يضعفها شر • ويجب أن يقوم الدين والأخلاق والفنون بهذا المعيار •

واعتراضى على أفلاطون ، هو في أصله اعتراض على كل النظم الفلسفية التي تقصد الى الفناء لا البقاء ، والتي تغفل المادة ، وهي أكبر العقبات في سبيل الحياة ، وتدعو الى الفرار منها لا الى تسخيرها والتسلط عليها •

وكما تعرض مسألة المادة في مبحث حرية الذات ، تعرض مسألة الزمان في مبحث خلودها •

يقول برجسون : ان الزمان ليس خطا ممتدا الى غير نهاية يتحتم علينا المرور به • فهذا التصور للزمان غير صحيح فالزمان الخالص لا يدخل فيه تصور الطول أى لا نستطيع قياسه بمقياس الليل والنهار •

ان خلود الذات أمل ، من أراد أن يظفر به فليجده ويدأب لبلوغه • والظفر به موقوف على أن نسلك طريقا للفكر والعمل فى هذه الحياة يعيننا على حفظ حالة التوتر • ولا يستطيع ابلاغنا هذا الأمل دين بوذا والتصوف العجمى ، وما الى هذين من نظم الأخلاق الأخرى • لقد أضرت بنا هذه الطرق فأضرعتنا وأنامتنا • ان هذه المذاهب هى الليالى فى أيام حياتنا •

وان قصدنا بأفكارنا وأعمالنا الى حفظ حالة التوتر فى ذواتنا ، فأغلب الظن أن صدمة الموت لا تستطيع أن تؤثر فيها • تعرض بعد الموت حال من الاسترخاء يسميها القرآن الحكيم ، البرزخ • وتدوم هذه الحال حتى الحشر • ولا تبقى بعد هذا الاسترخاء الا النفوس التى أحكمت ذواتها أيام الحياة •

ان الحياة فى ترقيقها تنفر من التكرار كل النفور ، ومع هذا يقول الأستاذ ولدن كار^١ بناء على القواعد التى وضعها برجسون ، ان حشر الأجساد معقول أيضا •

اننا نقسم الزمان الى لمحات فتدخل فيه مفهوم المكان ، فيصعب علينا تبخيره • وأنما نستطيع أدراك معنى الزمان أدراكا صحيحا حينما ننظر فى أعماق ذواتنا • أن الزمان الحقيقى هو اسم آخر للحياة • وأن الحياة تستطيع المحافظة على حالة التوتر التى حافظت عليها حتى الساعة • ولن

(١) كان أستاذ الفلسفة فى كنيس كولج King's College . توفى ١٩٣١

نخلص من عبودية الزمان مادما نعدده أمرا مكانيا •

أنما الوقت المكانى قيد توصلت به الحياة الى تسخير ما حولها •

تربية الذات

لا ريب أن الذات تستحكم بالعشق • ومفهوم العشق هنا واسع جدا • ومعناه أرادة الجذب والتسخير وأعلى أشكاله أن يخلق مقاصده ويجد في نيلها • وخاصة العشق أفراد العاشق والمعشوق • أعنى أظهار الانفراد والاستقلال فيهما • وإذا جد الطالب في طلب الأوحد الأسمى ظهر فيه التوحد ، ويتحقق ضمنا توحد المطلوب • لأنه أن لم يكن واحدا مستقلا بنفسه لم يسكن الطالب اليه • أنما يمكن عشق شخص أو وجود معين ولا يمكن لشخص عشق كائن غير مشخص •

وكما تستحكم الذات بالعشق تضعف بالسؤال • وكل ما ينال بغير جهد يعد سؤالا • فالذى يرث مال غيره سائل • والذى يتبع أفكار غيره أو يدعيها لنفسه سائل •

والخلاصة أنه ينبغي لأجل أحكام الذات أن نخلق في أنفسنا العشق ونجتنب كل ضروب الاستجداء (أى البطالة) •

أن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة للمسلم • فقد كانت حياته خير مثل للسعى الدائم • لقد كانت حياته كلها صورة للعمل •

أشرت في فصول من هذا المثنوى الى أصول فلسفة الأخلاق الاسلامية • وبيّنت أن لكمال الذات ثلاث مراحل :

١ — اطاعة القانون الالاهى

٢ — وضبط النفس

٣ — والنيابة الالاهية

والنيابة الالاهية في هذه الدنيا هى أعلى درجات الرقى الانسانى •

ونائب الحق (الله) خليفة الله في الأرض • وهو أكمل ذات تطمح اليها
الانسانية ، وهو معراج الحياة الروحي •

تلتئم في حياة نائب الحق عناصر النفس المتضادة ، توحدها أعلى القوى
وأعلى الأعمال • فيتوحد فيها الذكر والفكر ، والخيال والعمل ، والعقل
والخصائص الجبلية • فهو آخر ثمر في شجرة الانسانية • تحبب اليه
الصعاب والشدائد في سبيل رقي الحياة • وهو الحاكم الحق لبنى الإنسان
لأن حكومته هي في الحقيقة حكومة الله •••• ونحن تقترب منه على قدر
ارتقائنا وبهذا القرب تعلو قيمتنا في الحياة •

وأول شرط لظهور نائب الحق أن ترقى الانسانية في جانبيها الروحي
والجسمي • فان ارتقاء الانسانية يقتضى ظهور أمة مثالية تتجلى في أفرادها
في الجملة هذا التوحد الذاتي ، وتصلح لأن يظهر فيها نائب الحق •

فمعنى سلطان الله في الأرض أن تقوم فيها جماعة شوروية تتوحد أفرادها ،
ويقوم على هذه الجماعة واحد يمكن أن يسمّى نائب الحق أو الانسان
الكامل ، وهذا الإنسان الكامل يبلغ ذروة الكمال التي لا تتصور فوقها
ذروة •

وقد رأى نطشه (الفيلسوف الالماني المعروف) ضرورة ظهور هذه
الأمة المثالية ولكن دهريته واعجابه بالسلطان مسخا فلسفته كلها • «

كيف تلقى الناس منظومة أسرار خودی

قال بعض الناس لأقبال أحسنت وأبدعت ، عرفت الداء ووصفت
الدواء • وقال آخرون :

حدت عن الطريق • ولم يصحبك التوفيق • وأنكرت التصوف •
وازدريت أئمة الصوفية •

وكثرت المقالات في القبول والرد ، والمدح والقدح • وأقصد هنا الى

تبيين ما كان لأسرار خودى من أثر فى نفوس الناس، لماذا قبلها واستحسنها وأعجب بها وأشاد بناظمها من قبل واستحسن وأعجب وأشاد • ولماذا نفر منها من نفر واستنكرها من استنكر • ولعل فى بيان هذا وذاك بيانا للجديد فى هذه المنظومة ، والبدع فيما حوته من آراء :

تلقى بعض الصوفية دعوة اقبال فى أسرار خودى بالاستنكار والرد ، اذ وجدوها دعوة الى « خودى » وهى كلمة تدل فى لغتها الفارسية على الأثرة والعجب والأنوية وما يتصل بها • وتستعمل كذلك فى الأردية فهى دعوة فى الاخلاق منكرة ، وفى التصوف أشد نكرا • وقد نقل اقبال « خودى » الى معنى آخر جعله أصل فلسفة له • فأراد بها الذاتية ، وقال فى فلسفته ان العالم قائم بهذه الذاتية وان الانسان بهذه الذاتية يقوّم ، على قدر قوتها وضعفها ، بل يخلد أو يفنى باستحكامها أو اضمحلالها ، وان مقصد الانسان فى هذه الحياة معرفة ذاته وتقويتها وتنمية مواهبها واستنباط ما فى فطرتها • وليس من الخير فى شىء انكار الذات أو اضعافها ، بل هو الشر كل الشر • ولا ينبغى العمل لفنائها ولا الرضا به كما يفعل الهنادك وصوفية العجم — كما يقول اقبال — بل لا تفنى الذاتية فى الله تعالى وليس من الخير السعى الى افنائها فيه :

أحكم نفسك فى حضرته ، ولا تفن فى بحر نوره ^١ •

ورأى الصوفية فى هذا أمرا نكرا ، اذ كان التصوف فى زعمهم يقصد الى اذلال النفس وتذليلها وأماتتها حتى تؤهل للفناء فى الله • بل أدعى بعض المجادلين أن اقبالا ينكر التصوف ، ويدعو الى محوه •

وزاد الصوفية ثورةً على اقبال أنه عمد الى امام من أئمتهم ، وشاعر من أعظم شعرائهم ، « لسبآن الغيب حافظ الشيرازى » فحطّ من شأنه ، وغضّ من طريقته ، ونهى الناس عنه وحذرهم منه • كتب فى مقبـدـمة

(١) انخود محكم گذار آندر حضورش مشونا پید آندر بحر نورش

المنظومة أبياتا في حافظ خلاصتها : ١

« احذر حافظا أسير الصهباء ، فأن في كأسه سمّ الفناء • ليس في سوقه
الا المدامة ، وقد شعث كأسان على رأسه العمامة • ذلكم فقيه ملة المذمنين .
وامام أمة المساكين • شاة علّمت الغناء ، والدلال والفتنة العمياء •
هو أزكى من شاة اليونان ، ونعمة عوده حجاب الأذهان • فرّ من كأسه
فأن فيها لأهل الفطن ، خدرا كحشيش أصحاب الحسن ٢ »

وحذف اقبال هذه الأبيات بعد الطبعة الأولى ووضع مكانها فصلا
عنوانه « اصلاح الآداب الاسلامية » بيّن فيه المعنى الذى قصد اليه حين
حذر من طريقة حافظ وشعره ولم يذكر حافظا • فبلغ ما أراد ، وكفى نفسه
عداء المعجبين بحافظ المتعصبين له •

نبذ من رسائل اقبال الى المعترضين

وأثقل نبذا من رسائل اقبال الى المعترضين ، وردّه على مأخذهم
وشبهاتهم • لعل القارىء يجد في هذه النبذ ايضا آراء اقبال في التصوف ،
وتمييزه بين نوعين منه : التصوف الاسلامى والتصوف العجمى ، والتفريق
كذلك بين التوحيد ووحدة الوجود ، ولعله يجد فيه تفسيراً لما غمض على
الناظرين من فلسفته ، وأجعل هذا تمهيدا للكلام في فلسفة اقبال عامة ،
وآرائه في « أسرار خودى » خاصة •

(١) هوشيار از حافظ صبا گسار
نست غير از باده در بازار او
آن فقيه ملت ميخوارگان
گوسفند است و نه آموخت است
از بز يونان زمين زيرك تراست
بگذر از جامش كه در ميناي خويش
از دو جام آشفته شد دستار او
آن امام ملت بيچارگان
فتنه و ناز و ادا آموخت است
پرده عودش حجاب اكبر است
چون مريدان حسن دارد حشيش
(٢) - يضرب اقبال الشاء مثلا للضعف ، فذلك يسمى حافظا شاة . وشاة
اليونان افلاطون . والحسن الصباح امام الفرقة التى عرفت باسم الحشاشين

قال في رسالة الى السيد حسن نظامي مكتوبة في الثلاثين من كانون الأول سنة ١٩١٥ •

« انى بفطرتى وتربيتى أنزع الى التصوف • وقد زادتني فلسفة أوربا نزوعا اليه • فان فلسفة أوربا في جملة ما تتوجه الى وحدة الوجود ، ولكن تدبر القرآن المجيد ، ومطالعة تاريخ الاسلام بامعان أشعراني بعلقي • ومن أجل القرآن عدلت عن أفكارى الأولى وجاهدت ميلى الفطرى ، وجدت عن طريقة آبائى •

ان الرهبانية ظهرت في كل أمة ، وعملت لأبطال الشريعة والقانون • والاسلام في حقيقته هو دعوة الى استنكار هذه الرهبانية • والتصوف الذي ظهر بين المسلمين — أعنى التصوف الايراني — أخذ من رهبانية كل أمة ، وجهد أن يجذب اليه كل نحلة ، حتى القرمطية التي قصدت الى التحلل من الأحكام الشرعية لم تعد نصيرا من الصوفية •

ان اعتراضك ، حتى اليوم ، لم يعد مقدمة أسرار خودى • فلم يتناول المنظومة نفسها • وكيف أعمل قلبي ، ولست أدري ما اعتراضك عليها؟ كيف أعمل قلبي في هذا الصدد • انما اعترضت على ما حسبتك غضاً من قدر حافظ الشيرازى • ولن يستين الحق في هذا الأمر حتى يثوى البحث حقه •••

ان حالة السكر (في اصطلاح الصوفية) تنافر الاسلام وقوانين الحياة ، وحالة الصحو ، وهى الاسلام ، موافقة "قوانين الحياة" • وانما قصد الرسول صلى الله عليه وسلم الى انشاء أمة صاحبة (في حالة الصحو) • ولهذا تجد في صحابة رسول الله الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ولا تجد حافظا الشيرازى •

هذا بحث طويل تضيق عنه هذه الرسالة القصيرة • وسأفصل هذا

ان شاء الله حين تتاح الفرصة • ولكن ذكر ابن عربى يذكرنى بمسألة أبينها
هنا حتى لا يبقى فى فكرك لبس •

لا أنكر عظمة الشيخ وفضله ، بل أعده من كبار فلاسفة المسلمين •
ولا أرتاب فى اسلامه ، فانه يحتج على عقائده ، كقيد الأرواح ووحدة
الوجود ، بالقرآن على حسن نية • فأراه على صوابها أو غلطها قائمة
على تأويل القرآن • وأما أن تأويله غلط أو صواب عقلا ونقلًا فمسألة
أخرى • وعندى أن تأويله غير صحيح • فأنا أعده مسلماً مخلصاً ولا أتبعه
فى مذاهبه •

وأصل المسألة أن الصوفية أخطأوا خطأ كبيراً فى فهم التوحيد ووحدة
الوجود • ليس هذان الاصطلاحان مترادفين كما توهموا • فالأول مفهوم
دينى • والثانى فلسفى محض • ليس التوحيد ضد الكثرة كما يظن بعض
الصوفية بل هو ضد الشُّرك • وأما وحدة الوجود فهى ضد الكثرة •
وكانت نتيجة هذا الغلط أن عدد من الموحدين طائفة "ذهبوا الى وحدة
الوجود — أو التوحيد فى اصطلاح فلسفة أوربا الحاضرة — على حين أن
المسألة التى ذهبوا اليها لا تتعلق بالدين بل بحقيقة نظام العالم •

ان تعليم الاسلام واضح يبين • هو أن ذاتاً واحدة تستحق العبادة ،
وأن كل الكثرة التى ترى فى العالم مخلوقة •••

ليست عقيدة وحدة الوجود من تعليم القرآن • فإن القرآن يبين
المغايرة التامة بين الخالق والمخلوق أو العابد والمعبود • «

— ٣ —

ويقول فى رسالة أخرى الى سراج الدين بال مؤرخة ١٠ تموز سنة ١٩١٦:

« الحق أن التماس معان باطنية فى قانون أمة هو مسح لهذا القانون كما
يُعلم من سيرة القرامطة • ولا يختار هذه الطريقة إلا أمة فى فطرتها الخنوع والمذلة •
وفى شعراء العجم جماعة فى طباعهم الميل الى الاباحة • وهذا الميل فى ايران

من قبل الاسلام . وقد صدّ الاسلامُ حيناً هذا الميل الطَّبَعى . ثم عاد فظهر حينما وجد فرصة . فوَضَعَ للمسلمين أساس أدب يقوم على وحدة الوجود . وقد افتنَّ هؤلاء الشعراء فى ابطال شعائر الاسلام بأساليب عجيبة خداعة . وأبانوا عن وجه مذموم فى كل أمر ممدوح فى الاسلام . وأضرب الجهاد مثلاً . فقد التمس شعراء العجم معنى آخر فى هذه الشعيرة التى يراها الاسلام من ضرورات الحياة . انظر فى هذه الرباعية :

« يسلك الغازى كل سبيل من أجل الشهادة ، ولا يدرى أن شهيد العشق أفضل منه . كيف يستوى هذا وذاك يوم القيامة . هذا قتيل العدو وذاك قتيل الحبيب »^١

وهذا جميل فى الشعر ولكنه خدعة لأبطال الجهاد .

واذا نظرت الى حافظ وكل شعراء ايران من هذه الوجهة ، بانت لك عجائب وغرائب .

وفى رسالة أخرى الى سراج الدين نفسه يقول اقبال :

كل شعر التصوف ظهر فى زمان ضعف المسلمين السياسى . وكل أمة يصيبها ضعف كالذى أصاب المسلمين بعد غارات التتار ، تتبدل أنظارها^٢ ويجمل الضعف فى أعينها ، وتركن الى ترك الدنيا . وفى هذا الترك تخفى الأمم ضعفها وهزيمتها فى تنازع البقاء . انظر الى مسلمى الهند . فقد انتهى الأدب عندهم الى فنّ الرثاء فى لكهنؤ .

(١) غازى زبى شهادت اندر تگک وپوست

غافل که شهید عشق فاضل ترازوست

در روز قیامت این باآن کی ماند

این کشته دشمن است واین کشته دوست

(٢) يقول اقبال فى ضرب الكلیم . ان الامة ضعفت عن شريعة القرآن فحاولت ان تبدل القرآن ليلائنها ، ولم تحاول ان تغير نفسها لتلائم القرآن تبدلت فاجهد ان تبدل شرعة فليس يطبق الظبى شرعة ضيفم

هذا طَرَفٌ ممَّا أَجاب به اقبال اعتراض المعترضين • ومن هؤلاء من قنعوا بقراءة مقدمة المنظومة أو الأبيات التي تضمنتها في نقد حافظ • ولم يقرءوا المنظومة كلها فيتدبروا دعوة اقبال ، أو قرءوها ولم يرتقوا الى الجدل فيها

وآخرون من زعماء المسلمين في الهند تلقوا دعوة اقبال بالأكبار والأعجاب وقدروا حاجة المسلمين اليها ، وأثرها في أنفسهم • فأشادوا بفلسفة اقبال وأثنوا عليه بما يستحق •

ومن هؤلاء الزعيم مولانا محمد علي • قال بعد أن نشر اقبال أسرار خودي ورموزي خودي : ان شعر اقبال يحدد المسلمين في هذا العصر الى النشأة الثانية •

شرعت أنا وأخي شوكت علي في قراءة أسرار خودي فرأينا ضربا من الشعر يفوق ما قال من قبل • وحق أنه بدلنا ، أول الأمر ، فاترا بجانب شعره الأردى الذى يرمى بالشر ، ولكننا حينما فرغنا من الباب الأول الذى عرف فيه موضوع فلسفته عرفنا أنه شعر يبعث الحياة فى الجماد ••• لقد رأيت أنه فى هذا الابداع جلا حقائق اسلامية لم أدركها الا بعد مشقة وعناء •••

ان الحياة فى نظر اقبال صحراء جرداء • وادراك المرء «ذاته» هو ادراك مقاصد الحياة ••• لقد بيّن اقبال رسالة الاسلام وسنته الأخلاقية ، وأنجى على نظرية القومية والوطنية عند الغربيين التى تحد تعاون الناس ، وترمى الأمم فى الفرقة والاختلاف •

وكتب مولانا أسلم جيرايجورى سنة ١٩١٩ :

مازال بعض الناس يعترضون على اقبال منذ نشر كتابه أسرار خودي ، اذ جعل أفلاطون اليونانى وحافظ الشيرازى فى فصيلة الغنم • وليس حافظ الشيرازى عندهم شاعرا عظيما فحسب بل هو ولى مقدس ولو لم يكتب اقبال عن حافظ ماكتب لكان خيرا له • لأنه عرض نفسه لطنع الطاعنين ، ولأن المسألة الأصلية التى تنفع الأمة حجت فى غبار هذا

الجدال • كما فعل بيرزاده مظفر أحمد اذ نظم « راز بيخودی » ليرده على اقبال ماقال عن أفلاطون وحافظ ، وأغفل الموضوع الأصلي •

الفصل الثاني

خلاصة اسرار خودی

أجل في هذا الفصل خلاصة آراء اقبال كما يتيها في هذه المنظومة وأكتفى بزهرات من هذه الرياض ، وقطرات من هذه الحياض •
أعرض على القارئ ما يعرف بفلسفة اقبال وشعره معا ، شعره الذي يصوّر به الفلسفة ، ويعرض مباحثها في معرض لم تألفه ، ولم يعهده الناس • ولا يروض الفلسفة للشعر ، ويطوّع الشعر للفلسفة الا اقبال وأمثاله • « وقليل ما هم »

— ١ —

المقدمة

كان اقبال يشعر بأنه أتى العالم بمذهب جديد ، ورأى يدع ، ان لم يكن اخترعه اختراعا ، فقد اخترع طرائقه وصوّره وجمع أجزاءه وألف أشناته ، وأدرك صلة هذا المذهب بالانسان حياته ومماته ، وآحاده وجماعاته ، وبيّن صلته بالاسلام خاصة ، فأتى بالعجب ، واستولى على الأمد •

ومن أجل هذا يعرب عن ثقته بنفسه ، وتأثير كلامه ، ويذكر طلوعه على العالم شمسا جديدة ، لا تعرف رسومه ، ولا تألفها سماءه وأرضه ، ويتحدث عن نفاذ بصره الى مكنون الحياة ، وامتداد عينه الى أسرار المستقبل :

يقول في مطلع المنظومة :

قطع الصبح على الليل السفر	فهى دمعى على خدّ الزهر
غسل الدمع سبات الترجس	وصحا العشب بمسرى نفسى
جرب الفارس قولى موقدا	مصرعا ألقى وسيفا حصدا

انه حب دموعى زرعا
 ذرة ، قد حازت الشمس يدي
 طيتتى من جام جم أنور^١
 صيد أفكارى ظباء لم ترم
 زان بستانى عشب ما ظهر
 محفل الشادين منى يرجف
 صامت^٢ فى رباب الفطرة
 انتى شمس قريب المولد
 لم يرع ضوءى سرب الزهر
 ما رأت رقص ضيائى الأبحر
 ما لهذا الكون عينى تعهد
 مزق الظلمة فجرى فظهر
 انتى أرفب صباحا معلما



أنا لحن دون ضرب صعبدا
 كل سر دون عصرى يختفى
 أنا فى يأس من الصحب القديم
 بحر صحبى قطرة لا تزخر
 من وجود غير هذا لى غناء
 كم تجلى شاعر بعد الحمام
 وجهه من ظلمة الموت سقر
 كم بهذا السهب مرت قافلة
 غير أنى عاشق ، دينى النواح

نسج الروض وأتأتى معا
 كم صباح فى فؤادى مرسد
 من جنين الدهر عندى خبر
 لم تسيب بعد من قيد العدم
 وجنيت الورد فى جوف الشجر
 فى وتار الكون كفى تغزف
 ما وعى عنى جليسى نغمتى
 حبكا فى فلك لم أعهد
 لم يترجرج زئبقى فى البصر
 ماكسا الأطواد ثوبى الأحمر
 أنا من خوف طلوعى أرعد
 فبدا طل جديد فى الزهر
 حبدا من حول نارى زمزما

أنا صوت "شاعرى يأتى غدا
 ما بهذا السوق يشرى يوسفى^٢
 مشعل طورى ليغشاه كليم
 قطرتى كاليم فيها صرصر
 ولركب غير هذا لى حذاء
 يوقظ الأعين حينا وينام
 ونما من قبره مثل الزهر
 كخفاف النوق رهوا سابلة
 ثورة المحشر منى فى الصباح

(١) كأس جمشيد فى اساطير الفرس كانت ترى فيها الاقاليم السبعة .

(٢) اشارة الى قصة يوسف الصديق .

أنا لحن كلّ عنى الوتر لا أبالي أنّ عودى يكسر
أبعد القطرة عن سيل طمى وليجنّ البحر منه خضر ما
لا تعى موجى هذى الأنهر لا يعى موجى الا أبهر

ليصدقنى القارئى لقد أردت أن أثبت هنا إبياتا قليلة تنطق
باعتماد اقبال بنفسه وشعوره برسالته ، فلم أدر ماذا آخذ وماذا أدع
فكتبت هذه الأبيات كلها .

ولست فى حاجة الى أن أفسّر للقارئ هذه الأبيات لأدله على
شعور اقبال بأنه أدرك أسرار الحياة ، وبصر بما فى ضمير الغيب ، وأنه
رسالة الغد الآمل الى اليوم اليأس ، والمستقبل العزيز الى الحاضر الذليل

جلال الدين الرومى

يقول اقبال فى مقدمة هذه المنظومة ان جلال الدين الرومى هو الذى
أيقظه ونبّه ودعاه الى أن يسلك هذه السبيل ويقصد هذا القصد ويثبّع
فى الناس بيانه ويبلغهم رسالته . وهو يعترف لجلال الدين بالأمامة فى مواضع
كثيرة من كتبه . ولما نظم منظومته الخالدة جاوید نامہ وقصّ فيها سفره
فى الأفلاك السبعة ، جعل جلال الدين دليله فى هذا السفر .

يقول فى مقدمة أسرار خودى :

صير الرومى طينى جوهرًا من غبارى شاد كونا آخرا
ذرة تصعد من صحرائها لتنال الشمس فى عليائها
اننى فى لجّهِ موج" سرى لأصيب الدر فيه نيرا

ويقول بعدّ انه بات شاكيا نائحا فأخذه النصب والنوم فلاح له
جلال الدين :

قَالَ يَا مَجْنُونُ بَيْنَ الْعَاشِقِينَ مِنْ حُمْسِيَا الْعَشَقِ فَاجْرِعْ كُلَّ حَيْثُ
 شَقَّ فِي الْعَيْنِ حِجَابَ الْبَصَرِ وَأَثِرَ فِي الْقَلْبِ هَوْلَ الْمَحْشَرِ
 وَاجْعَلْنِي الضَّحْكَ يَنْبُوعَ الْبُكَاءِ وَأَمْلَأِ الْقَلْبَ دُمُوعًا مِنْ دِمَاءِ
 أَنْتَ كَالِكُمِّ صَمُوتُ أَبْكُمْ انْثَرْنِ كَالْوَرْدِ ، رِيحًا يَفْعَمُ
 صَعْدُنْ مِنْ كُلِّ عَضْوٍ كَالْجَرَسِ نُوحَكَ الصَّامِتَ - فِي كُلِّ نَفْسٍ
 أَنْتَ نَارُ قَاضِيٍّ لِلْعَالَمِينَ بِلَهِيْبٍ مِنْكَ أَذْكَرُ الْآخِرِينَ

الى أن يقول :

جرسَ الركب ! تَبَّهْ لَا تَنْهَ
 واعرف اللذة في نظم النغم
 وبهذا البيت ينتهى كلام جلال الدين كما حكاه اقبال • ويقول الشاعر
 بعده مبينا أثر هذا الكلام في نفسه :

صرت نارا في ثيابي تسعر صرت كالنار هياجا أضمر
 ثرت من أوتار نفسي نغما صغت من حسن بياني أركما
 فرفعت الستر عن سرّ خودي
 مظهرَ الاعجاز من أمر خودي

رأى القارئ من مقدمة أسرار خودي المنشورة ومن جدال اقبال
 ومخالفه أنه خالف الصوفية في وحدة الوجود وانكار الذات ، وسمى
 التصوف المتضمن هاتين العقيدتين تصوفا غير اسلامي • ويراه هنا يعترف
 بأمامة الرومي ، ويقر له بالفضل بما أوحى اليه هذه الطريقة • وقد كرر
 هذا في مواضع من دواوينه الأخرى •

ولا يتسع المجال هنا لبيان ما بين جلال الدين واقبال من التشابه ،

وأسباب اعجاب أقبال بجلال الدين وأكباره إياه • ولعلّى أيّثن هذا بعد الفراغ من بيان فلسفة أقبال •

اقبال والاسلام

ويقول في المقدمة بعد حديث جلال الدين الرومي :

كان كوني هيكلا لم يكمل	كان عطّلا سَقَطَا لم يُقْبَل
مِبرِد العشق براني رجلا	كيفَ هذا الكون والكمّ جلا
فرايت النبض في جسم ذكاء	وبعرق البدر تسيارَ الدماء ^١
فاض للانسان دمعي في الظلم	فشققتُ السرَّ عن عيش الأمم
فبدا لي سر تقويم الحياة	وشببتُ النفس في نار الحياة

في هذه الأبيات يذكر أنه بكى على الانسان وأطال التفكير في أمره حتى اهتدى الى سر الحياة • وفلسفة أقبال في عمومها انسانية ، ومذهب الذاتية لا يخص واحدا ولا جماعة ولا أمة •

ويقول أقبال بعد هذه الأبيات :

أنا مَنْ في ظلمة الليل أنار	في طريق الملة البيضاء غبار
أمّة دوّت بأفاق الوري	لحنها في القلب نارا قد سري

ذرّة أَلَقْتُ وشمسا حَصَدْتُ

ألف روميّ وعطار جنت^٢

وهنا يذكر الأمة الاسلامية ويقول انه غبار أقداها • وحب أقبال الاسلام ، واعجابه بتاريخ المسلمين ، ورؤيته في العرب الأولين المثل الأعلى في نضج « الذاتية » تكلّقى قارئ شعره حيثما قلب صفحات دواوينه • وهذه الأمة خصّها أقبال بتطبيق فلسفته • فهي فلسفة انسانية تجد موضوعها ومثّلها وغايتها في أمة الاسلام • وسأعود الى هذا بعد ان شاء الله •

(١) رأى دورة الدم في عروق القمر •

(٢) جلال الدين الرومي وفريد الدين العطار •

فصول اسرار خودى

هذه أمهات الفصول فى ديوان أسرار خودى وتكاد هذه العناوين كلها تكتب بلفظها العربى فى تركيب فارسى :

١ — أصل نظام العالم من الذاتية ، واستمرار أعيان الوجود موقوف على استحكام الذاتية •

٢ — حياة الذاتية بتخليق المقاصد وتوليدها

٣ — تستحكم الذاتية بالمحبة والعشق

٤ — ضعف الذاتية بالسؤال

٥ — اذا استحكمت الذاتية بالمحبة والعشق سخّرت قوى العالم الظاهرة والباطنة •

٦ — حكاية فى معنى أن مسألة نفى الذاتية من مخترعات الأقوام المغلوبة لتضعف أخلاق الأمم الغالبة من طريق خفية •

٧ — فى معنى أن أفلاطون اليونانى — الذى أثر كثيرا فى أفكار الأمم الاسلامية وآدابها — ذهب مذهب « الغنم » ، والاحتراز من خيالاته واجب •

٨ — حقيقة اصلاح الشعر والآداب الاسلامية •

٩ — تربية الذات لها ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى الاطاعة ، والثانية ضبط النفس ، والثالثة النيابة الالهية . ويتفنن أقبال فى البيان فى هذا الفصل التاسع فيقص قصصا حقيقية أو خيالية لتصوير مذهبه منها :

(١) - حكاية شاب ذهب الى الشيخ على الهجویری شاكيا جور أعدائه (وقد بين له الشيخ أن العدو له عليه فضل بما ينبت قواه ، ويقوى ذاته)

(ب) - حكاية الطائر الذى أنهكه العطش (وجد ماسة فلم يستطع التقاطها ثم وجد قطرة ماء فالتقطها ، الماسة مثل الذات القوية ، وقطرة الماء مثل الذات الضعيفة)

(ج) - حكاية الشيخ والبرهمن ، ومحاورة نهر الجنجا وجبل هيمالا فى معنى أن تسلسل حياة الأمة من الاستمسك بسننها •

١٠ - فى بيان أن مقصد حياة المسلم اعلاء كلمة الله وأن الجهاد ان كان سببه « جوع الأرض » فهو حرام فى الاسلام •

١١ - نصيحة ميرنجات النقشبندى المسمى الأب الصحراوى التى كتبها لمسلمى الهند •

١٢ - الوقت سيف •

١٣ - دعاء (يختم به المنظومة)

نظرة عاجلة فى هذه الفصول

— ١ —

الذاتية

يبدأ المنظومة بالكلام عن الذاتية ، أنها أصل الكون • يقول :
هيكل الكون من آثارها ، وكل ماترى من أسرارها ، انها حينما أيقظت
نفسها أظهرت عالم الفكر • مائة عالم خفية فى ذاتها • وغيرها مشبت بأثبتاتها •
بذرت فى العالم بذر الخصومة ، اذ حسبت نفسها غيرها - يعنى أنها
حقيقة واحدة اتخذت ذوات مختلفة ، فتباينت وتنافست - الى أن يقول :
تدمى مائة روضة لأجل وردة ، وتثير ألف نوحه لأجل نعمة ، وتمنح

فلما واحدا مائة هلال ، وتكتب من أجل كلمة واحدة مائة مقال • وعلة
هذا الاسراف وهذه القسوة ، خلق الجمال المعنوى وتكميله - يعنى أن
التكامل يقتضى فناء أشكال ، وعدم صور ، وامحاء أطوار • فمائة
روضة تنشأ لتكمل فيها وردة • وهلم جرا •

وتصوير صعوبة التطور وعسر التكامل ، سبق اليه بعض شعراء
الصوفية مثل سنائى الغزنوى •

ثم يقول أقبال : وراها من أجل عملها ، عاملا ومعمولا ، ووسيلة وغاية •
تنبت وتشور وتطير وتضئ وتختفى وتحترق وتموت وتنبت^١
وظاهر أن الشاعر يريد قوة الحياة التى تتجلى فى مظاهر مختلفة ،
وتتداولها أحوال شتى ، ولكنها الحياة المتعينة المتشخصة فى الدوات
الكثيرة •

ثم يقول :

حياة العالم من قوة الذات ، فالحياة على قدر ما فيها من هذه القوة
فالقطرة حين تقوى ذاتها تصير دُرّة • والجبل اذا غفل عن ذاته انقلب
سهلا وطغى عليه البحر • ويضرب الشاعر فى هذا المعنى أمثالا شعرية عدة •
انما أقصد هنا الى تبين فلسفة أقبال ، وقد جعلت الكلام فى منظومة
أسرار خودى وسيلة الى هذا التبيين • فلا حرج أن أترك هذه المنظومة
حينما الى غيرها من دواوين أقبال • قد بث الشاعر فكرة الذاتية فى شعره

(١) نظم اقبال كل هذه الافعال فى بيت واحد •

كله • ذكرها أحيانا مجملة ظاهرة وخفية وصريحة ومكنية ، وأفاض أحيانا في الأبانة عنها وموالاة وصفها والتمثيل لها • ومن مواضع الافاضة منظومته « ساقى نامه » من ديوانه الذى سمّاه بال جبريل (جناح جبريل) واليكم نبذة من كلامه عن الذاتية فى ساقى نامه :

تكلم عن الحياة الثائرة ، والزمان السائر ، وعن الأمم والآحاد ، فى هذا الجهاد ثم قال :

« ما هذا النفس الحى ؟ سيف • ما مسنّ هذا السيف ؟ الذاتية •
ما الذاتية ؟ سرّ الحياة الباطن • ما الذاتية ؟ يقظة الكائنات • أنها ثملة بالجلوة ، ومغرمة بالخلوة ، أنها بحر فى قطرة ••• أنها ظاهرة فيك وفى ،
وهى بريئة منى ومنك (يعنى ليست مقيدة بكون محدود) • ماضيها الأزل ، وآتيها الأبد • ليس لها ماض ولا آت يحد •••

تغيّر وسائل التحرى ، وتبدل منظرها بين حين وحين • والصخرة الثقيلة خفيفة فى يدها ، والجبال رمال من ضربها • والسفر مبدؤها ومنتهاها ، وهو السر من تقويمها • هى ضياء فى القمر ، وهى شرار فى الحجر ••• وهى فى هذا الكفاح منذ الأزل ، وقد صورت كذلك فى صورة الانسان •

ان مستقرّ الذاتية قلبك ، كما يحوى الفلك انسان العين • وسمّ هذه الذاتية العيش الذليل ، والعزة ماؤها السلسيل • «

أردت أن أعرض على القارئ صوراً للذاتية فى شعر أقبال ليتأمل فيها •
وما أردت أن أحجبه عن الشاعر بكلامى وبيانى •

— ٢ —

المقاصد والآمال

ويقول فى الفصل الثانى :

ان هذه الذاتية تحيا بخلق المقاصد والجد فى المسير اليها ، وعلى قدر

عظم مقاصدها تعظم ، وعلى قدر المشقة التي تحتملها تقوى +

والأمل في شعر اقبال كله ، هو الحياة ، والجهد الدائب هو حافظ هذه الحياة . وان قارئ اقبال ليروعه اعظام اقبال الأمل ، وتصويره اياه واشادته بالعمل الدائب والجهد المستمر ، بل يرى اقبال أن الجهاد في سبيل المقصد أعظم لذة من بلوغه :

طوبى لمن لا يزال في أثر المحمل . أى لذة في الاضطراب دون وصول ١

ويقول في هذا الفصل من « أسرار خودى » :

انما يَبْقَى الحياة المقصد	جرس" في ركبها ما تَقْصِدُ ٢
أصلها في أمل مُستتر	سرّها في السعى منها يَضمَر
أحى في قلبك هذا الأمل	أو يَحُلّ طينك تريبا مهملا
فحياة القلب من نار الرجاء	ماسوى الحق لدى القلب هباء
فاذا عى بتخليق المنى	هيض سِقْطًا وعن الطير ونى
ويثمت الحى فقدان الرجاء	يُطفئ الشعلة فقدان الغذاء

بل يرى أن العقل نشأ من الأمل :

رأس مال في الحياة الأمل	وكذاك العقل منه يَنسب
كل فكر وخيال واعتبار	كل حسّ وشعور وادّكار
هى آلات الحياة الجاهدة	حين تمضى في وغاها صامدة

(١) خوشا كسى كه بدنبال محمل است هنوز طپیدن و نرسیدن چه لذتی دارد

(٢) یعنی أن المقصد كجرس القافلة يؤذنها بالمسير كل حين .

المحبة والعشق

العشق ، عشق الأمل وعشق المثل الأعلى ، يشعل الذاتية ويظهر ما فيها من قوى • ومثل المسلم العاشق هو الرسول صلوات الله عليه •

وإذا استحكمت العشق لم يحل بين الإنسان وأمله عقبة ولا مشقة ، ولم تأخذه فيه رغبة ولا رهبة وسخر الإنسان قوى العالم •

زائد بالحب في الذات رواء

وحياة واشتعال وبقاء

مشتعل بالحب منها الجوهر يتجلى من قواها المضمر

لا يهاب العشق في السيف المضاء

ليس من ماء وترب وهواء

هو في العالم حرب وسلام وهو ماء حياة وحسام

ولا يتسع المجال هنا لتفصيل القول في العشق ، عند الصوفية وعند اقبال ، وفي الموازنة بين العشق والعقل وبين الفكر والذكر •

وقد صور اقبال هذا صورا كثيرة ، ولم يمتل من ذكره وتكراره • ويجده القارئ في هذه المنظومة « أسرار خودي » وغيرها • فليرجع الى ترجمة هذه المنظومة ، وليرجع الى ديوانيه رسالة المشرق وضرب الكلم ومقدمتيهما^١

(١) يرجى نشر ترجمة اسرار خودي ورموزي خودي بعد هذا الكتاب •
وقد نشر من قبل رسالة المشرق وضرب الكلم •

ولا تخلو فصول الكتاب الآتية من حديث في هذا الشأن •

— ٤ —

الذات تضعف بالسؤال

الثقة بالنفس ، والاعتداد بها ، والاعتماد عليها ، والاستغناء بها ، بقوى
الذات • والشك فيها ، والالتجاء بها الى الناس ، وحملها عليهم ، يضعفها •

يبدأ أقبال هذا الفصل بقوله يخاطب المسلم :

أيتها الجاني من الليث الخراج	صرت كالثعلب خبًا باحتياج
ذلك الأعواز أصل العلل	كل أدوائك من ذا المتعضل
من كنوز الدهر أخرج ما تريد	وخذ الصهباء من دن الوجود ^١

ويضرب مثلاً عمر رضى الله عنه اذ سقطت دررته من يده وهو راكب ،
فنزل ليأخذها ، وأنف أن يسأل أحد الرجال أن يناوله دررته •

ثم يقول : « لا تبغ رزقك من نعمة غيرك ، ولا تستجد ماء ولو من عين
الشمس • واستعن الله وجاهد الأيام ، ولا تثرق ماء وجه الملة البيضاء

طوبى لمن يحتمل الضر من الحرور والظما ، ولا يسأل الخضر كأساً من
ماء الحياة • »

— ٦ —

نقى الذات من اختراع الأمم المغلوبة

يتحدث أقبال في هذا الفصل عن الاقوام المغلوبة كيف خدعت الاقوام
الغالبة عن نفسها وزينت لها « نقى الذات »

(١) يعنى اطلب رزقك في أرض الله لا تستجد أحداً ولا تعول على غيرك •

ويضرب مثلاً قطيعاً من الغنم تسلّطت عليه الأسود ، تصول عليها
وتنال منها ماشاءت كلما شاءت •

ففكر كبش في أمر جماعته فبدأ له أن يّضعف في الأسود نزعة التغلّب ،
والصولة ، ويصرفها عن الاعتداد بالقوة • فادعى أنه نبيّ مرسل الى
الأسود • ودعاها الى الزهد والاستكانة وانكار الذات • ونهاها عن أكل
اللحم وعلّمها أن الجنة للضعفاء • وأن القوة خسران مبين • وقال :
« يا ذابح الشاة اذبح نفسك ، واغفل عنها ان تكن عاقلاً »

أطبق عينيك وأذنيك وشفقتك ليصعد فكري فوق الفلك ١ • ان هذه
الدنيا مرعى العدم ، فأياك أن تركز الى هذا الوهم •

ويصور الشاعر أثر هذه الدعوة في الأسود بهذه الأبيات :
كانت الأسد جهاداً مكلتِ وتمنت منه عيش الدعة
عن هوئى أصغت الى النصيح المنيهم
ودهاها الكبش بالسحر العظيم

جَوهر الآساد أضحى خزفاً	حين أضحى قوتهنّ العلقاً
ذهب العشب بناب عسِر	أطفأ الأعين ذات الشرر
هجر الصدر فؤاد مقدّم	فاذا المرأة فيه تظلم
وذوى في القلب شوق العمل	وجنون السعى ملء الأمل
ذهب الأقدام والعزم الأمر	والسنا والعز والمجد الأغر
برثن الفولاذ فيها قد وهن	واستكان القلب في قبر البدن
ونما الخوف بنقص المنّة	قطّع الخوف جذور النخوة
كل داء في سقوط الهمة	انه العجز وضعف الفطرة
قامت الأسند بسحر الغنم	سمّت العجز ارتقاء الفهم

(١) إشارة الى حكمة شرقية يمثلها قرود يضع أحدها يديه على عينيه والثاني يضعهما على
أذنيه والثالث على فمه

مذهب أفلاطون وأثره في الآداب الإسلامية

ينكر أقبال ، في كثير من أقواله ، على أفلاطون مذهب في عالم المادة وعالم المثال ويبين سوء أثره في الحياة ، ويقول انه يدعو الناس أن يهجروا عالم الحس الى عالم الخيال ، وأن يفروا من هذه الحياة • ويرى أقبال أن عالم المادة كائن لا ريب فيه ، وأن على الأنسان أن يقهره ويسخره ، ويجوزه الى مقاصده ، وأن في العمل لتسخير هذا العالم قوة النفس الانسانية وارتقاءها •

يبدأ أقبال هذا الفصل من أسرار خودى بقوله :

راهبُ الماضي، أفلاط الحكيم	«مذهبُ الشاء» تولّى في القديم ^١
طرفه في ظلمة المعقول ضل	في حزون الكون قد أعيا وكل ^٢
فكره في «غير محسوس» فتن	صدّ عن كف وعين وأذن ^٣
قال : في الموت بدا سر الحياة	وخمودُ الشمع يُعلّي من سناه
ويقول في هذا الفصل أيضا :	

عالم الأماكن للحى وطن _____ عالم «الأعيان» للميت سكن
 مشفق راهبنا لا يُقْدِم في ونى العالم نكس متحجم
 قلبه يعيشو لنار خامده صوّرت يمناه دنيا هاجده
 ولا يتسع المجال هنا للقول في مذهب أفلاطون وتطوره الى مذهب أفلوطين من بعد ، وأثر هذا في المسيحية وفي بعض مذاهب الصوفية •
 وحسبنا أن نقول ان اقبالا يدعو الى ادراك الذات وتقويتها ، والى العمل الدائب ، والجهاد الذى لا يفتر • ويرى أن الحياة في العمل والجهاد ، والموت في الاستكانة والسكون • ويرى أن عالم المادة كائن لا خيال ،

(١) يعنى مذهب الضأن الذى بينه في الفصل الماضى في قصة الاسود والغنم .

(٢) يعنى أغفل ما يلمس ويرى ويسمع •

وأن عمل الانسان تسخيرٌ هذا العالم ، وفي الجهاد لتسخيره قوته وكماله .

وهذا مذهب يخالف مذهب أفلاطون والمذاهب التي تفرعت منه في
جملتها وتفصيلها ، ومذاهب فلاسفة الهند . ويخالف التصوف غير الاسلامي
أو التصوف العجمي كما يقول أقبال .

— ٨ —

حقيقة الشعر واصلاح الآداب الاسلامية

بيّنت آتفا أن أقبالا كتب أبياتا عن حافظ الشيرازي يذم مذهبه ،
ويحذر الناس منه ، وأنه حذف هذه الأبيات بعد الطبعة الأولى ، وأثبت
مكانها أبياتا في أصلح الآداب الاسلامية .

استهل الشاعر هذا الفصل ببيان الأمل وأثره في الحياة ، صور هذا
تصويرا بليغا جميلا كدأبه حين يتحدث عن الأمل في شعره .

ثم قال أننا نأمل ما هو حسن وجميل ، بل الحسن يخلق الأمل :

كل خير وحسين وجميل	هو في صحرائنا خير دليل
يطيع القلب على أشكاله	خالقا في القلب من آماله
يخلق الحسن ربيع الأمل	وجهه يبدى بديع الأمل

ثم يقول ان الشاعر يدرك الجمال ويجلوه للناس ، ويزيد الجميل جمالا ،
ويزيد الفطرة بهجة ، ويدعو الأمة الى الجميل ويحدوها اليه

فإن لم يكن في الشاعر هذا الإدراك ، ولم تشع في شعره الدعوة الى
الخير والجمال والتغنى به وحفز الهمم اليه ، ساء أثره في أمته ، وحدها
الى الهلاك

يَتَلَسَّسُ النِّفْعَ ثِيَابَ الضَّرِيرِ وَيُثْرِى الْمَوْتَ جَمِيلَ الْمُنْظَرِ
شَدُوهُ فِينَا يَزِيدُ الْكَلَلَا كَأَسْهَ فِينَا تَزِيدُ الْمَلَلَا
سَيْلَ بَرْقٍ مَاحَوَى نَيْسَانَهُ آلُ لَوْنٍ وَشَذَى بَسْتَانَهُ^١
حُسْنُهُ بِالضُّدُقِ لَا يَعْتَرِفُ بِحَرِّهِ مَا فِيهِ إِلَّا الصَّدْفُ
نَوِّمَتْ أَلْحَانَهُ يَقْظَتُنَا أَطْفَأَتْ أَتْفَاسَهُ وَقَدَّتُنَا
تَلْبَلُّلَ لِلْقَلْبِ سَمٌ نَفَمَهُ ضَغِثَ وَرْدٌ فِيهِ يَثْوَى أَرْقَمَهُ
وَيَمِضَى فِي بَيَانِ أَثَرِ هَذَا الشَّاعِرِ فِي أَمْتِهِ ، إِلَى أَنْ يَقُولَ :

خِصَّةٌ فِي ذَلَّةٍ فِي شَقْوَةٍ

يَأْسُ مُسْتَسْلِمٌ لِلْخَيْبَةِ

نُوحُهُ رُوحُكَ مِنْهُ فِي سِقَامٍ قَدْ حَمَى أَصْحَابَهُ طَيْبَ الْمَنَامِ
وَيْلَ عَشْقٍ قَدْ ذَكَا فِي الْحَرَمِ نَارُهُ بَاخَتْ بَيْتَ الصَّنَمِ
وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَعْْنَى بِهَذَا شُعْرَاءَ اللُّهُوِّ وَالْمَجُونِ ، وَشُعْرَاءَ الْيَأْسِ
وَالْتَشَاؤِمِ ، وَشُعْرَاءَ الْعِزْلَةِ وَالْخُلُوعِ ، وَشُعْرَاءَ الْفَنَاءِ وَالسُّكْرِ مِنَ الصُّوْفِيَّةِ .
وَهِيَ الْآيَاتُ الَّتِي كَتَبَهَا مَكَانَ آيَاتِ ذِكْرِ فِيهَا حَافِظُ الشِّيرَازِيِّ كَمَا قَدَّمْتُ .
وَيَنْتَهَى فِي هَذَا الْفَصْلِ إِلَى دَعْوَتِهِ دَعْوَةَ الْحَيَاةِ وَالْقُوَّةِ وَالْأَمَلِ وَالْعَمَلِ ،
وَالْهَمَةِ وَالْإِقْدَامِ ، يَقُولُ :

صِيرْ فِي الْقَوْلِ ! أَنْ تَبْغِيَ النِّجَاةَ فَاجْعَلْ مَعْيَارَهُ شَرَعَ الْحَيَاةِ
نَيِّرْ الْفِكْرَ يَقُودُ الْعَمَلَا مِثْلَ رَعْدٍ بَعْدَ بَرْقٍ جَلْجَلَا
بَثِّ فِكْرَا صَالِحَا فِي الْأَدَبِ ارْجِعْ يَا صَاحِبَ نَحْوِ الْعَرَبِ
وَسَلِّمِي الْعَرَبَ يَا صَاحِبَ الْعَشْقِ أَطْلَعْنِ صَبْحَ الْحِجَازِ الْمُشْرِقِ
فِي رَيْبِ الْهِنْدِ سَرَّحْتَ الْبَصْرَ وَبَرُوضِ الْعُجْجَمِ جَمَعْتَ الزَّهْرَ
يَمِّمِ الْبَيْدَ ، أَشْرَبِينَ مِنْ حَرِّهَا وَعَتِيقِ الرَّاحِ خُذْ مِنْ ثَمَرِهَا
أَسْلِمْنِ رَأْسَكَ يَوْمَا صَدْرِهَا وَأَلْقِنِ فِي حَرِّهَا صِرْصَرِهَا
كَيْمَ وَطَّئْتَ الْوَرْدَ فِي طَوْلِ الْمَدَى غَاسِلَا كَالْوَرْدِ خُذَا بِالْمَدَى

(١) بستانه سراب من اللون والريح - الال السراب - ونيسان (أبريل) من شهور الربيع .

فعلى رمل الصحارى المضرّم أقدم النفس ، وغص في زمزم
فألام العث بين الظّلل وآلام النوح مثل الببل ؟
ابن عثا حيث لا تبني الأنوق تختفي فيه رعود وبروق
لترى أهلا لعصار الحياة
وتذيب النفس في نار الحياة

— ٩ —

مراحل تربية الذات

لتربية الذات مراحل ثلاث : الطاعة ، وضبط النفس ، والنيابة الالهية ،
فأما الطاعة فيضرب الشاعر فيها الجمل مثلا ، يسير بأثقاله صابرا في غير
ضوضاء • ويقول ان الطاعة تجعل في الجبر اختيارا ، وأن الانسان الحر
يسخر هذا العالم ولكن يقيد نفسه بالشرية •

بامتثال الأمر يعلو من سفك وهوى الطاغى وان كان الجبل
سخر الأفلاك في همته وثوى في القيد من شرعته
قد سرى النجم يوم المنزلا طوع قانون له قد ذكلا

وأما ضبط النفس فيقول فيه اقبال مشبها النفس بالجمل أيضا :

جمل "نفسك تربو بالعلف في أباة وعناد وصلف
فكن الحر وقدها بزمام من حضيض تبلغن أعلى مقام

ويقول : ان الذى لا يحكم فى نفسه حرى أن يحكم عليه غيره •

ويرى أن ضبط النفس لا يكون الا بنفى الخوف والشهوات •

وان التوحيد المطلق ينفى عن النفس الاستكانة للمخاوف والمطامع •

من ينسك بعصا من « لا اله »
كل من بالحق أحيانا نفسه
طينهم الخوف تحطمه يده
ليس للباطل يحضى رأسه



وأما المرحلة الثالثة من مراحل تربية الذات ، وهى النيابة الالهية ،
فهى مرحلة يكون الانسان فيها مسيطرا على العالم ، مسخرًا قوى
الكون ، نافذا الحياة فى كل شىء . مجدداً شباب كل هرم . يهب الحياة
بأعجاز العمل ، ويجدد مقاييس الأعمال ، ويرد العالم الى الأخاء والسلام .
هذا الانسان الذى يذكر القارىء بالانسان الأعلى فى تعليم نطشه
الفيلسوف الألماني وبالانسان الكامل الذى تحدث عنه بعض الصوفية
كعبد الكريم الجيلى ، ذكره اقبال فى مواضع كثيرة من شعره بوصف
الرجل المؤمن « مرد مؤمن » وهو فى العالم أمل وعمل ، واصلاح وعمران .
وسلام ووثام ، لا تعجزه عقبة ولا تبعد عليه شقة .
وان الفطرة لتكد فكرها . حتى تنظم مثل هذا الانسان فى الحين بعد
الحين .

يقول اقبال فى هذا الفصل :

فطرة" علياء تبغى مظهرها	تبتغى فى الكون خلقا آخر
تنجلي من فكره مثل الزهر	غير هذا الكون أكون" آخر
تنضج الفطرة بالضرم	يخرج الأصنام من بيت الحرم
رن" عثود القلب من مضرايه	يقط" بالحق نومان" به
بأعث" فى الشيب ألحان الشباب	ناشر فى الكون ألوان الشباب
هو فى الناس بشير ونذير	هو جندي" وراع وأمير

مُحضّر من تحت طريف الزمان حينما يمسك منه بالعنان

فسّر الدنيا بتفسير جديد عبّر الرؤيا بتعبير جديد

الى أن يقول مخاطباً هذا الانسان المرجو :
ايه يا فارس طرفِ الزمن ايه يانورا بعين المسكن

وأملاً الآذان حلو النغم	قم فسكن من ضجيج الأمم
وأدرها كأس حب وصفاء	جدد في الناس قانون الأخاء
أبلغ الناس رسالات السلام	أرجعن في الأرض أيام الوئام
أنت من ركب الحياة المنزل	لبنى الانسان أنت الأمل
فاغده في الروض ربيعاً نظيراً	أذبلت كف الخريف الشجرا

ويمضى الشاعر فيقص قصة الرجل الذى شكا الى الشيخ على الهجويرة^١
احاطة الأعداء به ، وخوفه بأسهم ، فأجابه الشيخ مبينا فضل العدو عليه
بما يثير قواه الكامنة . ونصحه بنفى الخوف من نفسه ، واحكام همته وعزمه :

يوقظ الخصم قواك الهامدة	مثل ما تحيي الموات الراعدة
قوة العزم تذيب الحجرا	ما ييالى السيل صخرا ان جرى
تشحذ العزم عقاب السبل ^٢	امتحان العزم قطع المنزل
ماغتاء العيش مثل النعم ؟	ما حياة دون عزم محكم

وكذلك يقص اقبال قصة الطائر الظمان الذى حاول التقاط ماسة فلم
يستطع ، ووجد قطرة ماء فالتقطها ، يضرب الماسة مثلاً للذات الناضجة
المحكّمة ، والقطرة مثلاً للذات النيسة الضعيفة .

ثم يقص قصة الماس والفحم مثلاً للذات القوية والذات الضعيفة كذلك .

(١) أحد كبار الصوفية له كتاب بالفارسية اسمه كشف المحجوب . ومزاره في لاهور مقصد
الزائرين من أرجاء الهند .

(٢) العقاب جمع عقبة .

وينتقل الى قصة أخرى فيها شكوى ناسك هندي الى شيخ مسلم أنه
فكر في أقطار الأرض والسماء ولم يهتد الى ما يطمئن اليه ، ونصح
الشيخ اياه بأن ينزل الى الأرض مفكرا في نفسه وعيشه ويدع آفاق
السماء . ويبيّن له الشيخ ان في التمسك بالسنن ، ولو كانت سنن
الكفار ، قوة للأمة واجتماعا .

ثم يضرب مثلا محاوراة بين جبل هيمالة ونهر جننجا ،
ويقول على لسان النهر للجبل : ماجدوى الوقار والرفعة وأنت محروم من
السير . انما الحياة سير متصل ووجود الموج في تحرّكه :

صاغك الله نجيّا للسماء : وحَمَىٰ رِجْلَكَ سَيِّرا في الفضاء
قَيَّدَتْ رِجْلَكَ عَنْ سِيرٍ فِيمَا : هَيْئَةٌ فَيْكَ وَرَأْسٌ " قَدْ سَمَا ؟
انما العيش مسير وصال : وحياة الموج أن ينتقلا

فأجابه الجبل :

ان هذا السير فيه الحين لك : من يَزُولُ عَنْ نَفْسِهِ يَوْمَا هَلَكَ
انما العيش نموّ في المكان : وبروض «الذات» قطف الأقحوان
أنت تفنى في خضمّ خضم : وقيلالى مسجد الأنجم
وبعيني ضياء سرّ الفلك : وبسمعى طيران الملك
صخر قلبي، ونارى في الصخر : ليس للماء الى نارى ممر

— ١٠ —

مقصد حياة المسلم إعلاء كلمة الله . والجهاد للاستيلاء على الارض حرام
لا تظهر الصلة بين هذا الفصل والفصول السابقة لطول الاستطراد
وكثرة الأمثال . فليذكر القارئ ان هذا الاستطراد وذاك التمثيل عقّب
الكلام في النيابة الآلهية . وقد وصف الشاعر نائب الحق بأنه خليفة الله
في الأرض ، الى أوصاف أخرى كثيرة . فلما بلغ الغاية من البيان والتصوير

— ٨٦ —

رجع يبين أن هذا السلطان الذى يناله المسلم الحق ينبغى أن يكون لأعلاء
الحق لا لفتح البلاد وقهر العباد .

يقول اقبال أول هذا الفصل :

إنما المسلم بالحب قهر
غضٌ للحق ، وللحق نظر .
مسلم لا حب فيه قد كفر
وله فى الحق نوم وسهر .

فى ربى التوحيد أرسى العمدا
وعلى الناس جميعا شهدا

وعليه يشهد الداعى الأمين
شاهدٌ أصدق كل الشاهدين

الى أن يقول ان الحرب ان أردت بها صلاح الناس فهى خير . وان
رمت بها مالا أوجاها فهى شر .

خير" الحرب اذا رمت الالاه
فاذا لم يعل حقا سيفنا
شر" الحرب اذا رمت سهاه
اكتسى بالحرب عارا جئنا

ثم يقص قصة الشيخ ميانير أحد كبار الصوفية ، اذ زاره أحد سلاطين
الهند . وكان السلطان مولعا بالحرب والفتح . وبينما السلطان يلتبس
من الشيخ أن يدعو له بالنصر ، تقدم أحد المريدين الى الشيخ بدرهم
قائلا : كسبت هذا بكدى ، وألتبس من الشيخ أن يقبله منى . فقال
الشيخ للمريد : أعط هذا الدرهم سلطاننا . فهو أفقر الفقراء ، وأحرص
الناس على الاستجداء . كم أخرج بلادا وقتل عبادا ليشبع . قد بطش
جوعه بالخلق ، وأهلك الحرث والنسل .

نصيحة ميرنجات النقشبندى لاسلمى الهند

لا يميز القارىء فى هذا الفصل كلام ميرنجات من كلام اقبال • ولعلها كلمة موجزة أثرت عن الشيخ فبنى عليها اقبال هذا الفصل الرائع فكراً وشعراً •

يقول اقبال فى هذا الفصل :

أن سرّ الحياة أن يغوص الانسان فى نفسه ثم يبرز منها كما تغوص القطرة فى البحر فتصير لؤلؤة ، وأن يجمع الشرار تحت الرماد فيصير شعلة تبهر الأبصار ، وأن الحياة أن تجعل نفسك حرماً لنفسك ، وتبرأ من الطواف حول غيرك •

هذه المعانى كررها اقبال كثيراً فى شعره • هو يرى أن تقوى الذات ، ويرى أن قوتها بأن تعرف نفسها ، وتجمع قواها • وقد ضرب مثلاً باختفاء القطرة فى البحر ، والشرار تحت الرماد ، قبل أن تصير القطرة لؤلؤة ، والشرار شعلة •

ثم يقول :

طيرٌ وحررت نفسك من جذب التراب ، واحفظها من الهوى الى الأرض
ثم يتقل عن جلال الدين الرومى قوله :

إن العلم اذا اتصل بالجسم فهو عدو ، واذا اتصل بالروح فهو صديق •

ويستطرد الى القصة المعروفة فى سيرة جلال الدين ، قصته هو وشمس الدين التبريزى ، اذ جادله شمس الدين فى جردوى الفلسفة والعلوم التى كان يعلمها جلال الدين • واشتد الجدل بينهما كلٌ يفتد صاحبه •

فهاج شمس الدين وألقى نظرات على كتب جلال فاذا هي تحترق *

وتبع جلال* الدين شمس الدين فانقلب صوفيا اماما ، وكتب كتابه
الخالد « المثنوى » وديوانه الرائع الذى نسيبه الى صاحبه فسمّاه ديوان
شمس تبريز *

ثم يمضى اقبال بعد القصة قائلا :

انما يكمل علم المسلم بحرقه القلب ، وان معنى الاسلام ترك ما يأقل*
ان ابراهيم حينما ترك الآفلين ، لم تحرقه النار ١ *

اطلب ماء الحياة من بريق الخنجر ، ومن فم التنتين ماء الكوثر ، ولا تبغ
حرقه العشق فى علم العصر ، لا تطلب لذة الحق من كأس هذا الكافر *

ان هذا العلم هو الحجاب الأكبر ، يصنع الأصنام ويبيعها ويعبدها*
وهو فى قيد الظواهر ، لم يستطع الخلاص من حدود الحس* وقد عثر فى
طريق الحياة ، ووضع خنجره على حلقه* ان فيه نارا ولكنها باردة
كالشقائق ٢ *

الى أن يقول فى اهمال المسلم نفسه ، وتقليده غيره :

ان محفل المسلم احترق بسراج غيره ، ومسجده اشتعل من شرار الدبر*
قد أجفل من سواد الكعبة كالظبي ، فمزقت جنبه أسهم الصياد* ان
كعبتنا عامرة بأصنامنا ، وان الكفر ليضحك من اسلامنا* وان شيخنا

(١) اشارة الى قصة ابراهيم حين نظر الى كوكب والقمر والشمس فوجدها كلها تأفل* فقال

« لا أحب الآفلين » وآمن بالله الواحد *

(٢) يعنى شقائق النعمان ، فيها حمرة النار لا حرها *

قامر بالاسلام فى عشق الأصنام ، واتخذ خيط مسبحته من الزنار • هو
فى سفر دائم مع مريديه ، وفى غفلة عن حاجات أمته • الوعاظ والصوفية
عبدوا المناصب ، وأضاعوا حرمة الملة البيضاء • واعظنا الى بيت الصنم
ناظر ، ومفتينا بالفتوى يتاجر •

— ١٢ —

الوقت سيف

ويستمر الشاعر فى بيانه وقصصه وتمثيله ، حتى يعقد هذا العنوان :
« الوقت سيف » • فيثنى على الأمام الشافعى الذى أثرت عنه هذه
الكلمة • ويبين الشاعر مذهبه فى الوقت وقد أجمله فى كتابه الى الأستاذ
نكلسون الذى قدمنا ترجمته ^١ • ويقول فى هذا الفصل : ان الانسان توهم
الوقت خطأ ممدودا ، وقاسه بالليل والنهار • فوقع فى شباك الوقت •
والحق أن الوقت هو الحياة ، هو الأمل والعمل والسير والدأب •

كان هذا السيف فى كف الكليم	فشأى التدبير بالفعل القويم
شق صدر البحر لمع القبس	صير القلزم مثل اليبس
وبهذا السيف يوم الخطر	زكزلت خير كف الحيدر ^٢
ممكن ابصار دور الفلك	وتوالى صبحه والحلك
يا أسير اليوم والأمس انظرا	انظرن فى القلب كونا آخر
أنت فى النفس بذرت الباطلا	وحسبت الوقت خطأ طائلا
وذرعت الوقت طولا ، للشقاء ،	بذراع من صباح ومساء
واتخذت الخط زئارا فما	كنت فى الباطل الا صنما
اقطع الزنار حرا لا تهن	شمعة فى محفل الأحرار كن

(١) انظر ص ٥٨

(٢) الحيدر على بن أبى طالب ، والاشارة الى مآثره فى فتح خيبر •

أيه يا غافل عن سر الزمان
 كم ترى في أسر صبح ومساء
 من مسير الوقت كل يظهر
 ما من الشمس زمانى يوجد
 وبه الشمس أضاءت والقمر
 قد بسطت الوقت بسطا كالمكان
 وقتنا من قلبنا يزدهر
 هو من صبح منير أنور
 الحياة الدهر يا من عرفا
 كيف تدرى ما خلود الحيوان^١
 «لى مع الله» بها الوقت أضاء^٢
 والحياة السر منه يبهر
 تلك تنفى وزمانى يخلد
 وبه فى العيش ماساء وسر
 وفرت اليوم من أمس الزمان
 ليس فيه أول أو آخر
 هو فى الحى حياة يزهر
 «لا تسبوا الدهر قول المصطفى^٣»

ثم يمضى الشاعر فى بيانه فيقول : ان الفرق بين الحر والعبد أن الحر
 يحتوى على الزمن ، والعبد يحتوى عليه الزمن . فالحر يتصرف لا يحد
 عمله يوم وغد ، ولا نهار وليل ، ولا يعتل بحكم الزمان . وللعبد تعلات
 من حدود الزمان وأحكام الوقت . وحسبى من آيات كثيرة هذه الأيات :

نسج العبد عليه كفنا
 وترى الحر على التراب علا
 فطرة العبد حصول الحاصل
 فى مقام من همود راكد
 ومن الحر جديد الخلقة
 قيّد العبد صباح ومساء
 وأرى الحر مشيرا للقدر
 من صباح ومساء ، مدعنا
 ناسجا هيمته فوق الملاء
 ليس فى أفكاره من طائل
 نوحه ليلا وصباحا واحد
 كل حين وجديد النعمة
 وثوى فى فمه لفظ القضاء
 صورت كفاه أحداث الدهر

(١) الحيوان الحياة . وفى القرآن الكريم : « وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعملون »
 (٢) اشارة الى حديث يرويه السوفية : « لى مع الله وقت لا يستغنى فيه نبى مرسل ولا
 ملك مقرب » .

(٣) اشارة الى الاثر المروى : لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر .
 (٤) الملا واحد الملوين . وهما الليل والنهار .

سرّ غيب وحضور ، فى الفؤاد رمز وقت ومرور ، فى الفؤاد

— ١٣ —

دعاء

ويختم اقبال هذه المنظومة بدعاء يسأل الله فيه أن يهب المسلمين العشق
وحرقة السعى • ويشكو من نار تشتعل بين جنبيه ويضرع الى الله أن
يهبه نجيًا يتلقى عنه دعوته ، ويدرك أسرارہ ، أو يسلبه هذه النار التى
تضطرم فى صدره •

الفصل الثالث

المنظومة الثانية

رموز نفى الذات (رموز بى خودى)

بنى اقبال فلسفته على الذات • ودعا الى اثباتها وتربيتها وتقويتها ،
كما يرى القارىء فى الخلاصة التى قدّمتها من منظومة «أسرار الذات» ،
عنى الشاعر فى هذه المنظومة (أسرار خودى) بالاعتراف بالفرد ، والايماں
بقواه الكامنة ، وبما تفعل هذه القوى فى هذا العالم اذا أثّرت •

ثم أكمل اقبال فلسفته بالتأليف بين الفرد القوى - ، أو الذات الكاملة ،
وبين الجماعة التى يعيش فيها •

يرى اقبال أن الذاتية أو الفردية أساس العالم ، وأن الخير كل الخير
فى تقوية ذات الانسان ، واستخراج ما فى فطرتها من قُدرة • وكذلك يرى
اقبال أن هذه الذات لا تربي وتكمل الا فى الجماعة ، وأن عمل الجماعة
أن تمكّن الفرد من بلوغ كماله باظهار كوامن فطرته ومنتهى قدرته •

فالمنظومة الأولى تتناول الذات وتربيتها ، ولا تخلو من كلام عن صلة

— ٩٢ —

الفرد بجماعته • فأن عسيرا أن يفصل الباحث أو الشاعر بين الموضوعين
فصلا تاما •

والمنظومة الثانية تعالج الموضوع الثاني : الجماعة ، نظامها وكمالها ،
وتنشئة الفرد فيها • ولا يخلو كلامه في هذا من كلام في الذات كذلك •

والى القارىء خلاصة هذه المنظومة « رموز بى خودى » :

يبدأ المنظومة بتمهيد في ارتباط الفرد والأمة • ثم يعقد الفصول الآتية:

١ — الأمة تنشأ من اختلاط الأفراد ، وكمال تربيتها بالنبوة

٢ — أركان الأمة الاسلامية :

١ — الركن الأول التوحيد •

ويستطرد في بيان التوحيد الى فصول أخرى :

أن اليأس والخوف والحزن أممات الخبائث ، وقاطعات

الحياة وأن التوحيد يزيل هذه الأمراض الخبيثة •

ويعقد الشاعر فصولا آخر للتمثيل •

ب — الركن الثانى الرسالة • وفى هذا العنوان فصول منها :

— أن مقصد الرسالة المحمدية الحرية والمساواة والأخوة بين

بنى آدم • ويقص فى هذا الفصل قصصا شتى •

— وأن الأمة المحمدية مؤسسة على التوحيد والرسالة فلا

يحددها مكان

— وأن الوطن ليس أساس الأمة •

— وأن الأمة المحمدية لا يحددها زمان • ودوامها موعود

— وأن نظام الأمة لا يكون بغير القانون • وقانون أمة

محمد القرآن •

— وأن نضج الأمة باتباع الشريعة الالهية •

- وأن حسن سيرة الأمة بالتأدب بالآداب المحمدية •
- ٣ — حياة الأمة تقتضى مركزاً محسوساً • ومركز الأمة الإسلامية الحرم •
- ٤ — الاجتماع الحقيقى لا يكون الا بمقصد يقصد اليها • ومقصد الأمة المحمدية حفظ التوحيد ونشره •
- ٥ — توسع حياة الأمة بتسخير قوى العالم • وكمال حياة الأمة أن تحس ذاتها كما يحس الفرد • وينشأ هذا الاحساس ويكمل بحفظ سنن الأمة •
- ٦ — بقاء النوع بالأمومة • وحفظ الأمومة وتبجيلها من قواعد الاسلام
- ٧ — السيدة فاطمة الزهراء أسوة كاملة لنساء الاسلام
- ٨ — خطاب الى المسلمات •
- ٩ — خلاصة مطالب المنظومة فى تفسير سورة الاخلاص •
- ١٠ — مناجاة المصنف الرسول الذى بعث رحمة للعالمين •
- وأعبر مع القارىء هذه الفصول عبثاً موجزاً كل الايجاز :

التمهيد فى ارتباط الفرد والجماعة

يبين الشاعر العروة الوثقى التى تربط الفرد بجماعته. يبين أن الفرد مرآة الجماعة ، والجماعة مرآة الفرد • وهما كالجواهر والسلوك • وكالنجوم والمجرة • الجماعة تنتظم بالأفراد • والفرد يقوم فى الجماعة •

ثم يقول ان الفرد يغفل عن المقاصد • وتنتشر قوته ، فتعلمه الأمة ضبط النفس ، وتقيده بالقانون لتحرره •

فإذا الواحد فى الجمع اتنى	فهو كالقطرة صارت خضراً ما
جمع الماضى له فى حسبه	والتقى الغابر والآتى به
وصلة الغابر والمستقبل	وقته من أبد أو أزل
هو بالأممة قلب طامح	وهو بالأممة سعى راجح
روحه من قومه ، والبدن	سرته من قومه والعكن

ويمضى الى أن يقول : ان الفرد غلط فلم يميز إثبات الذات من نفى

الذات • ويبيّن له قيمة الذات وقوتها ، وكيف تتجلى من خلوتها فاذا هي
مقسّمة في الجماعة عاملة فيها •

— ١ —

الامة تنشأ من اختلاف الافراد وكمال تربيتها بالنبوة

يبين كيف تنتظم الجماعة من الأفراد ، كما يجذب النجم النجم ،
ويستحكم الكوكب بالكوكب •

ويقول ان الجماعة تسير سادرة غافلة ، بالمقاصد جاهلة ، لا تتجلى
قدرتها ، ولا تُشجّد عزيمتها ، حتى يبعث الله فيها هاديا :

عازف "لحن حياة ينفث"	فاذا الطين حياة" تبعث
ينشر الأنفس منه نفس	وبكأس منه يزهو مجلس
شقة تحيي وعين تجذب	وحّد الاثنين هذا الطلب
فترى الأمة منه سائرة	في لهيب منه حرّى ثائرة
شرر في قلبها يشتعل	فاذا الطينة منها شعل

ويأتى هذا الهادى الى العقل فيجبه ويكسوه ويمدّه ، وينفخ النار
في موقده الهامد ورماده الخامد • ويحرر الناس من عبادة الاوثان والبشر
ويعبدهم للقانون والسّنين :

ويَقْطَعُ العبدَ من أغلاله	ويُجِيرُ القنَّ من أقياله
صائحا أن لستَ عدداً لأحد	حرّرتَ نفسك لله الصمد

يجعل الشرع قيادا في اليد	يجذب الإنسان شطر المقصد
نكتة التوحيد يوحيا اليه	أدب الطاعة يُمليه عليه

أركان الأمة الإسلامية

١ - الركن الأول التوحيد

هو الأكسير الذى يُحيل التراب ذهباً ، والسرّ الذى يتجلّى منه الدين
والشرع والحكمة والقوة والسلطان • وهو الدواء الذى يُميت الخوف
والشك • ويحيى العمل والأمل • ويقهر كل صعب ويذل كل عقبة •
كلمة التوحيد هى الروح فى أمتنا • وهى اللحن فى عودنا • وبها الحباة
وبها القوة :

هو قلب ان حواها حجرٌ - كلُّ قلب لم تنرِه مدرٌ
قد أضاء القلب من وقدها واستشّاط الكون من آهتها

ويمضى الشاعر ميّتنا كيف جَمع الناس التوحيد • وسوى بين الأبيض
والأسود • الى أن يقول : أن أمتنا قائمة بالتوحيد لا بالنسب ولا بالوطن •

أمم قد عبّدت أوطانها وبنت من نسب بنيانها
أترى الأوطان أصل الأمم
تعبّد الأرض بها كالصنم ؟

هذه الأنساب فخر السفهاء - حكمها فى الجسم ، والجسم هباء
ولنا فى الحق أسٌ آخر - هو فى الأبواب منّا مضمرٌ
قد خلصنا من حدود وقيود - قلبنا فى الغيب اذ نحن شهود
ثم يتكلم اقبال عن الخوف واليأس وأثرهما فى الحياة ويضرب فى هذا
المثل بعد المثل •

ب - والركن الثانى الرسالة

يبين في هذا الفصل أن الرسالة تجمع أشتات الأفراد وتنظم منها الأمة . فتوحّد كثرتها ، وتحكم ألفتها ، ويقول : ان المسلمين من الرسالة في دائرة مركزها الحرم ، ومحيطها غير محدود . ويبين كيف يربط الكتاب الحكيم بعض المسلمين ببعض الى أن يقول :

قد هدانا الحقّ هذا المرسل	في سبيل الحق نحن الشّعل
بحرّه أخرج هذا الجوهر	نحن رّوح واحد بين الوري
ختم الله علينا شرعته	وعلى المرسل فينا بعثته
محفل الأيام منا ينظم	ختم الرّسل بنا والأمم

ثم يمضى اقبال في بيانه عن الرسالة حتى يضع هذا العنوان :

« مقصود الرسالة المحمدية المساواة والحرية والاخوة بين بني آدم »

فيبين كيف كان الانسان عبدا للملوك والقسيسين من النصاري والمجوس والبراهمة . حتى بعث الرسول صلوات الله عليه ، فأعطى كلّ ذي حق حقه ، وحرّر الناس ورفع عنهم الآصار ، ووضع عنهم الأغلال .

قوة" هدّت قديماّت الصّور	شيّدت حصنا جديدا للبشر
أشرق الكون بها في الظلم	كعبة شادت بيت الصنم

ويضرب مثلا في الأخوة الاسلامية ، قصة القائد الفارسي الذي أسر فاستأمن أسرّه فأمنه ، وهو يحسبه جنديا من الجنّد . فلما تبين أنه قائد أراد الجنّد قتله .

فقال قائد المسلمين أبو عبيد الثقفي : « لقد آمنه واحد منا . ونحن

سواء» • وهى السنة التى سار عليها المسلمون وجاء فيها الحديث .
« المسلمون تنكفأ دماؤهم ويسغى بدمتهم أدناهم » •

ثم يقص الشاعر قصة أخرى : غضب السلطان مراد العثماني على مهندس بنى له مسجدا فلم يعجبه • فضربه فقطع يده • فسار المهندس الى القاضي فدعا السلطان ، وحكم عليه بالقصاص • فتقدم السلطان خاشعا خائفا مائلا يده للقطع • فعفا عنه المهندس •

ويتهى الشاعر الى عنوان آخر :

الامة المحمدية مؤسسة على التوحيد والرسالة

فلا يحد مكانها

لا ترى المسلم يحويه عطن	تأيه في قلبه كل وطن
حصّل القلب ففى وسعته	ضله هذا الكون في فسحته
عقدة الأقوام حل المسلم :	هجر الدار النبى الأعظم
أمة ملء البرايا أمسيها	وضع التوحيد فيها أسسها
أسبغ الفضل علينا وهدى	صير الأرض جميعا مسجدا

ويعقب هذا العنوان عنوان آخر :

الوطن ليس أساس الامة

بقول فيه أن العصبيات الوطنية قطعت أرحام الأمم • ويبين كيف هجر النصارى دين عيسى « وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب با لديهم فرحون » •

ويذكر مكيا فى الايطالى وأثره فى سياسة أوربا الى أن يقول :
جعل المثلک الاها دينه كل قبح ناله تحسینہ
وزن الحق بربح وجدی ولدی المثلک خنوعا سجدا
صير الحيلة فنا محكما فزها الباطل منا علما

ثم يثبت الشاعر هذا العنوان :

الإمة المحمدية ، ليس لها نهاية زمانية

فيحيين ، كما يبين من قبل ، أنها أمة لا تفنى ، لأنها قائمة على أصول
خالدة لا ينال منها بقلب الزمان ، وكرور الأيام •

ثم يبين ما أصاب المسلمين من مصائب ، ويذكر فتنة التتار ويصف
أهوالها • ثم يقول : ولكن المسلمين سلموا من هذه النار كما سلم الخليل •
بادت الأقوام ، وفنيت الأجيال • وثبتت الأمة الاسلامية على الخطوب
الجسام ، والحوادث العظام

أمة الاسلام تبقى أبداً وأذان الحق فيها خلداً
أحييت العشق قلوب تسعّر شهبها من « لا اله » الشرر

ويبضى الشاعر الى هذا العنوان :

لا تنتظم أمة بغير شريعة • وشريعة الامة الاسلامية القرآن

فيبين أثر النظام في الأمم ، وفي النبات والجماد وغيرهما بياناً موجزاً
قائلاً :

من نظام الصوت تبدو النغمة	وهو من دون نظام ضجّة
إنما في الخلق موج من هواء	يعلق النظم به فهو غناء
صاح هل تعرف مادستورنا ؟	كيف في الدهر مضى تديرنا ؟
الكتاب الحى والذكر الحكيم	حكمة في الدهر تبقى لا تربم
نسخة الأسرار من هذه الحياة	يستمد الضعف أيندا من قوّاه
قوة فيه تشدّ الخوراء	وبها يرمى الزجاج الحجر

الى أن يقول :

الذى يَصْعدُ منه الجبل وعلى الأفلاك منه وجَل
ذلك الينبوع من آمالنا قد حواه الصدر من أطفالنا

ويذكر اقبال المسلم العربى الذى ربّاه القرآن حتى :

شمل الدنيا جميعاً عدله عَرْشَ جَمٍّ وطئته رجله ١
مَدْنًا قد شيدت هَبْوته ورياضاً أنبتت وردته

ويصل هذا الفصل بآخر يشبهه عنوانه :

نصح سيرة الامة من اتباع الشرع الالهى

فيبين دعوة الاسلام الى القوة ، وتقوية المسلم بالشرعية .
ويقول ان الشرع يريدك حين الحرب ، شعلة تذيب الصخر . ويمتحن
قوتك بالصعاب ، ويضع في طريقك العقاب ، ويقول لك انسف الطود
بمزمته ، واسحقه بضربتك . ويهيك بالعمل عصبا من حديد .

ويمضى قائلا : ان المسلم القوى الذى نشأته الصحراء ، وأحكمته
رياحها الهوجاء ، أضعفته رياح العجم ، فصار فيها كالنأى نحولا ونواحا ،
وأن الذى كان يذبح الليث كالشاة ، تهاب وطء النملة رجلاه ، والذى كان
تكبيره يذيب الأحجار . انقلب وجيلا من صغير الأطيّار . والذى هزى
عزمه بشمّ الجبال . غلّ يديه ورجليه بأوهام الاتكال . والذى كان ضربه
في رقاب الأعداء ، صار يضرب صدره في اللأواء ، والذى نقشبت قدمه

(١) جم : جمشيد من ملوك الاساطير الفارسية

على الأرض ثورة ، كسرت رجلاه عكوبا في الخلوة ، والذي كان يطمى
على الدهر حكمه ، ويقف الملوك على بابه ، رضي من السعى بالقنوع ،
ولذله الاستجداء والخنوع .

ويلي هذا فصل عنوانه :

حسن سيرة الامة من التاديب بالآداب المحمدية

ويقص في هذا الفصل القصة التي أجملتها حين الكلام على والد اقبال^٢
قصة السائل الذي آذاه اقبال ، فحزن والده لما رأى ووعظ ابنه واشتد
في تأنيبه .

ويزيد على ما أسلفت في ذلك الفصل قوله على لسان والده :

« ان فطرة المسلم الرحمة ، وللرحمة يده ولسانه في هذه الدنيا . وان
الرسول بعث رحمة للعالمين ، فان بعدت عن سنته فليست منك .

أنت طائر في بستاننا ، تغرد بتغريدنا . فان تكن ذا نعمة ففي بستاننا
فمن بها . كل حي تهلكه العناصر المضادة . فان تكن بلبلا ففي الروض
طيرانك وتغريدك ، وان تكن عثقابا ففي الصحارى مسرحك ومصيدك .
وان تكن كوكبا فأضيء في حياكك ولا تحيد عن أفلاكك .

الى أن يختم الفصل بقوله :

ان طينة المسلم الطاهرة لؤلؤة ، من بحر النبی ماؤها ولألاؤها . فيا قطرة

نيسان غوصى في بحره ، ثم اصعدى درة من دثره^١ وكونى في الدنيا أضوا
من الشمس ، وليدم ضوءك على الدهر أبداً »

ثم انظر خلاصة الفصل الذى عنوانه :

— ٣ —

حياة الامة تقتضى مركزاً محسوساً

ومركز الامة الاسلامية الحرم

يبدأ الفصل قائلاً : أحل لك عقدة من أمر الحياة وأنبئك بسر الحياة •

ويصف الحياة في فرارها وقرارها ، الى أن يقول :

ان الحياة طائر لا عشب له • انها ليست الا الطيران • انها طائر طليق وفي
القفس حبيس ، يخلط تغريده بنواحه • الحياة تعقد العقد في أمورها ، ثم
تحل ما انعقد بتدبيرها •

ان الحياة السريعة تقيد قدمها في الطين ، لتزيد لذة نمائها وسيورها كل
حين • وان في حرقتها ألقاناً لا تنفد ، وان وليد يومها الأمس والغد •
هى كالرائحة حركة لا تقرر ، ولكن تسكن الصدر فتصير نفساً حياً •

عقود الحياة فيها ورق وثمر كالجبة ، تفتح عينها على نفسها فإذا هى
شجرة • وتلبس الحياة خلعة من الماء والطين ، فإذا هى حواس مدركة • «
يعنى أن الحياة وهى دائبة السير والتقلب لا تتجلى الا فى صورة ثابتة
محدودة • ويقول بعد :

(١) يزعم القدماء ان قطرات مطر نيسان (ابريل) تنزل في الاسداف فتطبق عليها حتى
تصير لؤلؤة

كذلك سنّة ميلاد الأمم ، أن تجتمع الحياة في مركز • المركز من الدائرة
كالروح من الجسد ، أن خطّها مضمر في تقطعها •

بالمركز انتظام الأقوام ، وبالمركز يقدر لها الدوام • وإن سرنا في الحرم ،
وفيه نكاؤنا وغناؤنا لاجرم :

بستاننا من نداء زاهر ، وزرعنا من زمزمه ناضر • وبه علا في الدنيا
صوتنا ، ووصل قديمنا حديثنا • أن التمام الملة البيضاء من الطواف
بالحرم • به توحدت كثرتنا ، واستحكمت بقيد الوحدة عزيمتنا »

ان الاجتماع روح الأمم ، والاجتماع هو السرّ في هذا الحرم •

ثم يضرب الشاعر مثلا باليهود تقطعوا في الأرض حين فقدوا المركز •

ويختتم الفصل قائلا :

ياشاكيا جور الزمان ، ويا أسير الوهم والحسبان ! اجعل قيصك ثوب
الأحرام ، وأطلع الصبح في هذا الظلام • واستغرق كآبائك في السجود ،
حتى تكون سجدة للواحد المعبود • ان المسلم الأول خضع للخلاق ،
فسيطر على الآفاق • ومشى على الشوك في سبيل الحق ، فأثبت الورد
في الغرب والشرق •

— ٤ —

الاجتماع الحقيقي بالسعى الى المقصد
ومقصد الامة الحمديّة حفظ التوحيد ونشره

يبدأ الفصل قائلا :

أعلمك لغة الكائنات ، ان أعمال الحياة حروف واضحة وكلمات •

— ١٠٣ —

ويبين الشاعر أثر المقصد في الأمة كما يبين أثر المقصد في الواحد في كتاب أسرار خودي . فيقول ان مقصد الحياة سر بقائها ، وبه يأتلف ماتفرق من قواها . واذا تنبّهت الحياة بمقصدها ، وجّهت أسباب العالم اليه . وتوجهت نحوه تجنى وتنتقى وترد . انما هام قيس في الصحراء ، من أجل محمل ليلي . وقد هجرنا الصحارى حين سكنت ليلانا المدائن .

واقبال معجب بالصحراء رياحها وشمسها ، وسععتها ، والضرب في أرجائها يرى فيها قوة النفس ، ومضاء العزم

ثم يقول :

ان المقصود هو روح العمل ، يستمد كل عمل منه كيفه وكمه .
فلتكن كالمجنون هياما بمقصدك ولتطف بهذا الشمع كالقراش^١ ان من يغفل نفسه واحدا يبعد عن المنزل ألف فرسخ .

ثم يقول ما قال قبلا : ان الكون يعمل جاهدا حتى يبلغ مقصدا من مقاصده . فهو يغرّس ألف مقصبة ليظفر بأثة من ناي^٢ . وكم صور ورمي وكسر حتى أثبت صورتك في لوح الحياة . وكم بث ثواحا في النفس حتى صعد صوت أذان . وكم جارب الأجرار ، ونصر الأشرار ، وبذر الايمان في طين الانسان حتى قرأ على لسانك كلمة التوحيد .

وهنا يبلغ ما قال في العنوان أن مقصد الأمة المحمدية حفظ التوحيد

(١) يشير الى قصة مجنون ليلي

(٢) الناي يتخذ من قصب . قالطبيعة تنبت ألف مقصبة حتى تخرج نايًا ، واحدا ردا

أي ان الرقى والكمال فيها صعب بطيء

ونشره • فبين خطر التوحيد وقيمته ويقول انه مركز دوران العنالم ،
ومنتهى أمره - الى أن يقول :

ان نعماته كامنة في موسيقى الكون ، وان هذه الموسيقى تنتظرك أيها
العارف ••• ان في دمك مئات الالغان ، فهيّا فاضرب على أوتارها •••
فأن في التكبير سرّ كيافك ، وحفظ « لا اله » ونشرها مقصود حياتك •
ويفيض اقبال في بيان تبعة المسلم في اعلاء الحق ، وأن دين الاسلام قرين
الحياة ، ولا تكون الحياة الا به • الى أن يقول :

ان فكّر الانسان ناحت صنم ، وعابد صنم • يخلق في كل زمان
صنما • وقد جدّد اليوم لنفسه أوثانا من اللون والنسب والوطن •

وان الإنسانية ذبحت على أقدام هذه الاوثان • فهيّا يارب التوحيد !
وامح بسيف التوحيد هذا الباطل اللابس ثوب الحق •

ويختم الفصل بقوله :

انى لأرعد من خزيك يوم يسألك الرسول • قد أخذت منا كلمة الحق ،
فلماذا لم تسلّمها الى الخلق ؟

— ٥ —

ويبقى الشاعر الى فصل عنوانه :

توسيع حياة الامة بتسخير قوى العالم

وكمالها ان تحس نفسها كالفرد وتحفظ سننها

يقول ان هذا العالم مسخّر للانسان ، وان للانسان فيه جهنم ، وأن
لذة الانسان وكمالها في هذا الجهاد • ومن سخر المحسوسات فقد أنشأ

علما من ذرّة • ان الجبال والصحارى والبحار لوح لأرباب النظر • أيها
النائم بالأفيون ، والمحقر عالم الأسباب • افتح عينك ، واعرف قِدر
هذا العالم • ان غايته توسيع « ذات » المسلم وامتحان ممكناته • ان
الزمان يضربك بسيفه ، ليشعرك ان فى بدنك دما •

وان الله جعل هذه الدنيا نصيب الاخيار ، وجلا محاسنها لعين المؤمن •

هذه الدنيا طريق للقافلة ، هذه الدنيا امتحان لقوة الايمان • فسخرها
لئلا تسخرّك •

ان فكر الانسان يسبح فى العالم ليسخر قواه ، ويتصرف فيه فنون
التصرف • قارب الهواء ، واصدع الجبال ، واستخرج اللؤلؤ من البحار •

ان فى هذا الفضاء مائة عالم ، وان شموسا كامنة فى كل ذرّة : فأظهر
الأسرار ، واكشف الخفايا للانظار • ان هذه النجوم ثابتها وسيارها ، هذه
التي اتخذها القدماء آلهة ، ليست الا عبيدا خاضعة لك ، مسخرة لأمرك

الى أن يقول :

ان القطرة التي تدرك نفسها ، تنقلب فى عروق الكرم خمرا ، وعلى أوراق
الورد ندى ، وفى قاع البحر دراهم •

ويختم الفصل قائلا :

يامن عى حماره فى طريق الحياة ، ومن غفل عن معركة الحياة ! قد بلغ
المنزل رفاقك ، وأنزلوا ليلى من محلها • وأنت كقيس فى الصحارى هائم ،

ان فى علم الأسماء « قيمة الانسان » ، وان فى حكمة الأشياء قوة
الانسان » •

ويمضي اقبال فيبين ان كمال حياة الأمة أن تحسن نفسها كالفرد ، وأن
نشأة هذا الاحساس وكماله بحفظ سنن الأمة •

فيبدأ بالحديث عن الطفل ، لا يدرك ذاته ولا يعرف الا أمه •
مولع بالرضاع والبكاء والنوم ، ومغرم بالطلب والسؤال كل حين •
فكره في كل أمر ، وقابل لكل نقش ، وهو عالة على غيره •

حتى يقع نظره على نفسه فيقول « أنا » وتعرفه بنفسه الذكرى وتربط
أمنه بغده • فتتنظم أيامه في هذا السلك الذهبي ، كما ينتظم اللؤلؤ • ويتغير
بدنه كل ساعة ولكن يقول في نفسه :

« هاأنذا كما كنت » • « أنا » هذه فاتحة الحياة ، ونعمة اليقظة في
موسيقاها •



وكذلكم الأمة الوليدة تنشأ كالطفل ، ترى غيرها ولا تبصر نفسها •
وتتقلب بها الواقعات حتى تعرف نفسها وتصل بالذكر ماضيها وحاضرها •
ويضيء لها الطريق تاريخها • • فأن نسيت واقعاتها ارتكست في العدم •
أيها العاقل ! ان اتصال أيامك ، هو الخيط الذي يمسك كتاب وجودك •
اتصال الأيام ثوب لنا ، خياطه ^١ حفظ السنن القديمة • ما التاريخ يا غافلا

(١) الخياط الابرة

عن نفسه ؟ أترأه قصصاً وأحاديث وخرافات ؟ انه الذى يعرفك نفسك ،
ويبصرك طريقك • انه حرارة الروح ، وأعصاب الملة • انه المسن الذى
يشحذك كالخنجر ، ثم يضرب بك فى هذه الدنيا •

ويمضى الشاعر فى بيانه واحسانه حتى يقول :

أحكّم تاريخك تحكّم نفسك ، وصل بيومك أمسك • ان حالك يطلع
من ماضيك ، ويشرق من حالك آتيك • فان ترد الحياة الخالدة فلا تقطع
سلسلة هذه الثلاثة • انما الحياة موج هذا التسلسل •

— ٦ —

بقاء النوع بالأمومة • وحفظ الأمومة وتعظيمها

من قواعد الاسلام

يتكلم فى هذا الفصل عن الأم • تعالى قدرها • ويؤيّن فى الأمة
خطرها • ومهما يثفض شاعر فى الاشادة بالأمومة فقدرها أكبر • وفضلها
أكثر •

يقول فيما يقول :

ان المسلم الذى لا يقدر المرأة قدرها ، لم ينل نصيباً من حكمة
القرآن • ان الأمومة رحمة ، ولها الى النبوة نسبة ، وانها لكاتبة سيرة
الأمة • ومن يفكر فى لفظ الأمة والأم تبين له دقائق الحكم • وقد
قال سيّد الكائنات : الجنة تحت أقدام الأمهات • ان الأمة من صلة
الأرحام ، والحياة بدونها لا تبلغ المرام •

وبالأمومة تسير الحياة سيرها ، وتجلو أسرارها •

ثم يقول :

ربما تنجب بنت الزارع الجاهلة ، التي لا تحسن الكلام ولا تبين في
الخِصام مسلما نجيبا غيورا ، للحق نصيرا • ان حياتنا من آلام الأم
وصبحنا من ظلامها •

وهذه العقيم الرخيم ، ذات النظرات الثائرات ، الخالية من الأحمال •
التي أضاء بنور الغرب فكرها ، واختلف باطنها وظاهرها ^١ قد قطعت
أوصال الملة البيضاء ، حين ثرت نظراتها الرعناء • حرقتها وقاحة وفتنة ،
وصفاقة وجراءة • لم يطق حمل الأمومة علمتها ، ولم يضىء في ليلها نجمها ^٢

الى أن يختم الفصل قائلا :

ان ثروة الأمة قاداتها الهادون ، لا الأمتعة والفضة والذهب • وان رأس
مالها نسل شديد ، ذو فكر خصب وعزم حديد • الأمهات للأخوة حافظات ،
وعلى القرآن والأمة قائنات •

— ٧ —

سيدة النساء فاطمة الزهراء أسوة كاملة للمسلمات

يصف في هذا الفصل فاطمة البتول رضى الله عنها بما هي أهله •
ويذكر ولديها الكريمين الحسن والحسين •

ويقول :

قد أدبها الصبر والرضا ، فهي تتلو الكتاب وتدير الرحي • وكم ذرفت
في الصلاة الدموع ، من القنوت والخشوع •

(١) يقول : هي في الظاهر امرأة ، وفي الباطن ليست امرأة

(٢) لم تسمد بولد

لولا نهى الدين ، وأمر النبي الأمين ، لطفت حول ثريتها وسجدت على
ترابها .

— ٨ —

خطاب الى المرأة المسلمة

خَلَقْتِكِ الطاهرة لنا رحمة ، وأنت قوة الدين وحِصن الملة • يامن
تطمين فينا الوليد ، على كلمة التوحيد ، إن حبك لينحت أطوارنا ،
ويصور أعمالنا وأفكارنا • وبرقنا الذي ربّاه سبحانه الوضاء ، غشى
الجبال وطوى الصحراء •

يا أمانة على الشرع المبين ، ان في أنفاسك حياة الدين •

ان هذا العصر ذو فتون ، قافلته تقطع طريق الدين • وقد عمى ادراكه
فأنكر الخالق ، وقيّدت سلاسله كل مارق •

صيده يخال نفسه حراً ، وقتيله يسمى نفسه حياً • لا تسلكي الا
سبيل الآباء ، ولا تبالي بما تلقين من عناء •

احذري الزمان في سيرك ، وضمي أولادك الى صدرك •

هذه العصافير بعدت من أعشاشها ، قبل أن تطير بها أجنحتها

يا فطرة "نزاعة الى العلاء" ، لا تغمضي عينك عن سيرة الزهراء •

لعل حسينا في حجرِكَ يزهر ، فيترعرع بستاننا ويكنضر •

— ١١٠ —

خلاصة مطالب الكتاب بتفسير سورة الاخلاص

ولا أجد حاجة الى تلخيصه ، على ما فيه من معان قيّمة وصور رائعة ،
وحسبى ما أجملت آنفا من فصول المنظومتين •



عبرت مع القارىء منظومتى الأسرار والرموز ، واستخلصت له
مقاصدهما ، وأجملت له مطالبهما ، ودلّته بالقليل على الكثير ، وبالزهرات
على الروض النضير •

آثرت أن أصل التلخيص بالأدب أكثر مما أصله بالفلسفة • وكذلك
أراد الشاعر أن يلبس فلسفته ثوبا من الشعر يجتّلها ويقرّ بها الى القراء •

الفصل الرابع

أوجه أخرى لفلسفة اقبال

أساس فلسفة اقبال الذاتية ، تدور آراؤه على محورها ، وتتفرع أفكاره
من أصلها ، ولكن لفلسفته أوجها كثيرة منها ما عرفه القارىء فيما عرضت
عليه من فصول المنظومتين أسرار خودى ورموز بن خودى • ومنها
ما يتجلّى في دواوين أخرى • ومنها ما أبانه في لغة الفلسفة لا الشعر ،
في محاضرات ومقالات كثيرة •

ولا يتسع المجال لتفصيل القول في أوجه فلسفة اقبال التي لم يرها

القارىء فيما أسلفت من فصول هذا الكتاب • وقد تعمّدت أن يكون هذا الكتاب أقرب الى الأدب من الفلسفة ، كما اختار محمد اقبال الشعر لفلسفته في معظم أصولها وفروعها •

وحسبى في هذا الفصل أن أعرض على القارىء هذا الاجال •

— ١ —

ذكرت في سيرة اقبال أنه ألقى محاضرات في مدراس وحيدر آباد وعليكره سنة ١٩٢٨ م • ألقاها باللغة الانكليزية

وهذا ثبتت هذه المحاضرات :

١ — العلم والدين

٢ — والوحي الدينى في معيار الفلسفة

٣ — وإدراك الله ومعنى الصلاة

٤ — النفس الانسانية: حريتها وخلودها

٥ — وروح الثقافة الاسلامية

٦ — والحركة في العقائد الاسلامية

٧ — وهل التدين ممكن ؟

هذه محاضرات لا بد لدارس فلسفة اقبال من قراءتها ، ففيها آراؤه في موضوعات عامة مجتمعة مرتبة في لغة فلسفية •

طبعت المحاضرات في اكسفورد وفي الهند وشاعت • وكتب لها المحاضر مقدمة مختصرة بدأها بقوله :

« الاسلام دين يعنى بالعمل أكثر مما يعنى بالفكرة • »

ويقول بعد أسطر قليلة :

— ١١٢ —

« لا ريب أن طوائف الصوفية الحقة قد عملت كثيرا في توجيه تطور الادراك الدينى وتحديده ، ولكن المتأخرين من الصوفية جهلوا العقل الحديث فعجزوا عن تقبل الأفكار الجديدة . انهم يسيرون على طرائق نشأت في أجيال لها وجهة في الثقافة تخالف وجهتنا في كثير من الأمور .

مثلا نجد في القرآن الكريم : « ما خلقتكم ولا بَعَثكم الا كنفس واحدة » فأدراك الوحدة الحيوية التى تعنيها هذه الآية يحتاج الى نظرات طبيعية ونفسانية غير التى ألفوها .

« دعت الى هذه المحاضرة الجمعية الاسلامية فى مدراس وألقيتها فى مدراس وحيدر آباد وعليكر . وقد حاولت فيها أن أسدّ حاجة المسلمين بعض السداد ، حاولت أن أجدد بناء الفلسفة الاسلامية مراعى سنن الاسلام الفلسفية . وأحدث ما بلغته المعرفة الانسانية . ولا شك أن هذا الوقت ملائم لهذه المحاولة .

« ان علم الطبيعة تعلّم أن ينقّد قواعده . فأدّى هذا النقد الى أن اختفت هذه المادية التى جعلها العلم الطبيعى ضرورة أول الأمر .

« وأحسب أن ليس بعيدا اليوم الذى يلتقى فيه الدين والعلم على وفاق لم يحزّره أحد من قبل .

« وينبغى أن تتذكر ألا نهاية للتفكير الفلسفى . ولعل تقدم المعرفة واتضح سبل للتفكير جديدة ، يؤدّيان الى آراء جديدة . وعسى أن تكون أصح من الآراء التى أعرضها فى هذه المحاضرات .

« ان علينا أن نَعْنَى بِمِرَاقِبَةِ تَقْدِمْ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِي • وَتَقْوَمُ مِنْهُ مَقَامُ
النَّاقِدِ الْمُسْتَقْلَمِ »

— ٢ —

نظرة في هذه المحاضرات

كان الفيلسوف الشاعر في هم دائم ، وحزن مستمر ممّا آل إليه أمر
المسلمين في الفكر والعمل •

وقد فكر كثيرا فيبين فلسفته التي عرفنا بها آتفا ، ثم خصّ العقائد
الاسلامية بهذه المحاضرات القيمة •

وكان يريد أن يسميها « الاسلام كما أفهمه » ثم سمّاها الاسم الذي
شاعت به •

وكان اقبال ، حين أدركته المنية ، يعدّ العدة لكتاب واف في التشريع
الاسلامى • فأى خسارة خسرها المسلمون بوفاة محمد اقبال قبل أن يخرج
لهم هذا الكتاب •

يبين اقبال ما قصد اليه في محاضراته بقوله في احداها ، ميّنا صلة
المسلمين بفلسفة أوروبا وحاجتهم الى النظر في آرائهم الدينية بعد ما كشف
عنه العلم من حقائق في الكون وطرائق للنظر :

« ان أظهر ظاهرات التاريخ الحديث سرعة اتجاه المسلمين اتجاها روحيا
شطر الغرب • وليس في هذا خطأ • فثقافة أوروبا ، في جانبها العقلى ،

ليست الا استمرار التطور في جوانب مهمة من الثقافة الاسلامية • والذي نخشاه أن يقف المسلمون عند المظاهر البراقة في هذه الثقافة الأوروبية فلا يدركوا حقيقتها ، ويفقهوا بواطنها •

لقد لبثت أوروبا في عصور غفوتنا الفكرية ، جادة تفكر في المسائل الكبيرة التي عنى بها فلاسفة المسلمين وعلمائهم كل عناية •

وقد تقدم الفكر البشرى الى غير نهاية ، منذ العصور الوسطى التي انتهت فيها فرق المتكلمين المسلمين • ثم تسلط الانسان على الطبيعة وأوحى اليه ثقة بنفسه ، وإيماناً بتفوقه على ما يحيط به في العالم • وعرضت للناس أنظار محدثة ، وأعيد النظر في مسائل قديمة في نور التجارب الحديثة ، ونشأت مسائل أخرى لم تعرف من قبل • وكأن عقل الانسان تفوق على كلياته الأساسية ، من الزمان والمكان والحدوث • بل أخذ تصورنا الأشياء يتغير بتقدم العلوم • ففكرية اثنتان غيرت نظرنا الى العالم ، وبيّنت طرائق جديدة في النظر الى مسائل يشترك فيها الدين والفلسفة •

فلا عجب اذاً ، أن ينتظر ناشئة المسلمين في آسيا وأفريقيا توجيهها جديداً لعقائدهم • ان يقظة المسلمين تقتضى أن تنظر ، ولكن بعقل مستقل ، ماذا فكرت فيه أوروبا ؟ وكيف نستعين بالنتائج التي بلغت ، في إعادة النظر في المذاهب الدينية الاسلامية ، بل إعادة بنائها ان لم يكن من هذا بد • «

ويتصل بهذا قوله في محاضرة أخرى :

« ان على المسلم اليوم عملاً شاقاً • عليه أن يعيد النظر في الاسلام كله دون انقطاع عن الماضي •

لعل شاه ولي الله الدهلوى أول من شعر بالحاجة الى نظر جديد ،

ولكن الذى أدرك كل الادراك خطر العمل وسعته ، هو جمال الدين الأفغانى • وكان حريّا أن يكون حلقة حيّة بين الماضى والمستقبل بنظره الثاقب ، ونفاذه الى حقيقة تاريخ المسلمين وتاريخ ثقافتهم ، الى ما أوتى من ادراك واسع يسرّته له تجاربه فى الناس والأخلاق •

فلو قصر جهاده الدائب على الاسلام من حيث هو نظام للعقائد والأعمال الانسانية لكانت قواعد الفكر الاسلامى اليوم أقوى وأقوم •

ليس لنا اليوم الا أن نقوم من العلم الحديث مقام المُكَبِّر له القادر على تقدّمه ، وأن تقوم الفكر الاسلامى فى نور هذا العلم ، وان أدّى هذا الى أن نخالف سلفنا •



هذا الشعور بحاجة المسلمين الى الأخذ من العلم الحديث أخذ الناقد المعتدّ بنفسه . واعادة النظر فى المذاهب الاسلامية ، هو الذى أوحى الى اقبال أن يفكر التفكير الواسع العميق ، ويتناول الموضوعات العسيرة الخطيرة التى تناولها فى هذه المحاضرات •

أعرض على القارئ جملة مختصرة من هذه المحاضرات ومسائل قليلة ممّا فيها لعله يتشوف الى قراءتها كاملة والتأمل فيها ، وادراك معانيها ومراميها •^١

١ - فى المحاضرة الأولى « العلم والادراك الدينى »

يبين اقبال فرق ما بين المعارف المستقاة من ينابيع مختلفة • ويقول ان القرآن يسوئ بين نواحي الادراك الانسانى كلها فى الاستمداد منها لمعرفة الحقيقة النهائية •

(١) استعنت فى هذا التلخيص بكتاب صديقى الاستاذ سيد عبد الواحد •

ويقول : ولا بد ، من أجل ادراك هذه الحقيقة ، أن نصحت الإدراك الحسى هذا الادراك الذى يسميه القرآن القلب .

وتكلم اقبال فى هذه المحاضرة عن قيمة الادراك الدينى فى المعرفة الانسانية . وبين قدر الالهام . وللالهام فى فلسفة اقبال مكانة عالية . وهو يرى أن الفكر والالهام ليسا متنافرين .

ب - وفى المحاضرة الثانية التى عنوانها «التمحيص الفلسفى للإدراك الدينى»

يتحدث اقبال عن الامتحان العقلى الذى يمكن تطبيقه على المدركات الدينية . ويبين أن الإدراك الدينى يقبل تمحيصا مشابها للتمحيص الذى تعالج به أنواع المعرفة الأخرى .

ج - وفى المحاضرة الثالثة التى عنوانها : «تصور الله تعالى ومعنى الصلاة»

يبين اقبال تصور الله تعالى فى القرآن ، ويقول ان أكبر عناصر هذا التصور ، من وجهة فكرية خالصة ، الخلق والعلم والقدرة والبقاء .

ومن أمثلة نظرات اقبال فى هذه المحاضرة قوله ان تسمية الله تعالى نورا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ينبغى أن تفسر تفسيراً آخر . قد يبين علم الطبيعة الحديث أن سرعة النور لا تمكن الزيادة عليها ، وأنها لا تختلف باختلاف طرائق الراصدين . فالنور فى العالم المتغير أقرب شيء الى الوجود المطلق . فتسمية الله بالنور مجازاً ينبغى أن يفسر ، فى هدى العلم الحديث ، بالاطلاق ، لا بالحضور فى كل مكان ، هذا الوصف الذى يؤدى الى عقيدة وحدة الوجود .

ويقول اقبال في هذه المحاضرة كذلك :

ان الحقيقة العليا ذات • ومن هذه الذات العليا تتجلى الذات الأخرى بالخلق فحسب • والعالم في كل أجزائه ، من الحركة الآلية فيما نسميه الذرة المادية الى حركة التفكير الارادية في الانسان ، ليس الا تجليا من الذات العليا • وكل ذرة ذات حركة الالهية هي ذات ، مهما انحطت مكانتها في الوجود •

وينتقل اقبال بعد هذا الى الكلام في الصلاة فيقول ما خلاصته :

الدين لا يقنع بالتصور فحسب بل يطلب اتصالا بمقصوده • ووسيلة هذا الاتصال العبادة أو الصلاة • الصلاة وسيلة الى استنارة روحية تعرف بها الذات الانسانية - هذه الجزيرة الصغيرة - أنها موصولة بحياة أوسع ، وكون أفسح • وكل طلب للمعرفة هو في حقيقته صلاة • فالباحث في العلم الطبيعي هو الصوفي في صلاته •

وتزيد الصلاة قربا من مقصودها بالاجتماع • وكل عبادة هي في جوهرها جماعية • والعبادة ، فردية كانت أم اجتماعية ، هي اعراب عن تلهف الوجدان الانساني الى استجابة له في صمت العالم الهائل •

ومن وحدة الذات الكبرى التي تخلق كل الذوات وتمدها تنشأ وحدة النوع الانساني • والقرآن الكريم يقول :

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا • »

صلاة الجماعة في الاسلام اعراب عن التطلع الى تحقيق الوحدة الانسانية برفع كل الحجب بين الانسان والانسان •
د - وفي المحاضرة الرابعة

يتكلم عن الذات الانسانية حريتها وخلودها • ويبين كيف عمّت المسلمين جبريّة مشنومة ، على خلاف ما علّمه الاسلام ووكدته من حرية الذات • ويقول ان هذه الجبرية التي عرفها الأوروبيون في كلمة «قسمة» ترجع الى غلبة الفكر الفلسفي والى المطامع السياسية ، وضعف نبض الحياة التي بثها الاسلام في نفوس المسلمين •

ثم يقول اقبال :

نشأت ، على خلاف دعوة أئمة المسلمين ، جبرية مهلكة ، وشاعت نظرية الأمر الواقع لتحصيل منافع لبعض الناس ، وتيسير مطامعهم •

وليس هذا أمرا بدعا • فقد احتج فلاسفة محدثون بحجج عقلية على أن نظام رأس المال في الجماعة نظام أبدي •

حدث مثل هذا في تاريخ المسلمين ، ولكن درج المسلمون على التماس أدلة مذهبهم في القرآن ، ولو على خلاف معانيه الواضحة ، فكان للتأويل الذي يُحتج به على الجبرية آثار بالغة في الاضرار بالجماعة الاسلامية •

هـ — والمحاضرة الخامسة (روح الثقافة الاسلامية)

يقول فيها اقبال ان القرآن يبيّن أن الادراك الباطني ينبوع واحد من ينابيع المعرفة الانسانية • وللمعرفة ينبوعان آخران هما الطبيعة والتاريخ • وبلاستقاء من هذه الينابيع الثلاثة تبلغ الثقافة الانسانية أنضج صورها •

ويقول اقبال ان الفكر الاغريقي لم يحدد خصائص الثقافة الاسلامية •

ويقول : ان فكرة في الاسلام عظيمة لم تُقدّر قدرها ولم تعرف قيمتها في الثقافة الاسلامية • وتلكم فكرة ختم النبوة • ان النبوة في الاسلام بلغت أوج كمالها اذ عرفت الحاجة الى ختمها • لا بد لكمال الوجدان

الإنسانى من أن يوكل الى نفسه ،

قد أبطل الاسلام سلطان الأخبار والرهبان ، وألغى وراثه الملك • ودعا القرآن الى الرجوع الى العقل ، والاعتبار بالتجارب • ووجه النظر الى الطبيعة والتاريخ على أنهما ينبوعان للمعارف البشرية •

وكل هؤلاء أوجه مختلفة للفكرة نفسها ، فكرة النهاية والكمال •

ثم يقول المحاضر :

وأعظم خصائص الثقافة الاسلامية توكيدها فى الأئفس « تصور عالم متحرك » وسنن مستمرة •

ومن قواعد الهدى الاسلامى أن الأمم والجماعات مأخوذة بأعمالها فى هذه الحياة • ولهذا يكتر القرآن من قصص الماضين ، ويأمر بالنظر فى تجارب الأمم غابرها وحاضرها •

ويقوم تعليم القرآن فى هذا الشأن على أصلين :

الأول وحدة الأصل الانسانى • ويبيئن القرآن كثيرا أن الناس خلقوا من نفس واحدة •

والثانى قوة الشعور بأن الزمان حقيقى ، وتصوّر الحياة سيرا مستمرا فى الزمان •

وان يندرك قادة العقول والأرواح فى الأمم حقيقة هذه الأصول الاسلامية ، يظفر الانسان بعالم للمعيشة أفضل من هذا •

و - والمحاضرة السادسة : « الحركة أصل فى التعليم الاسلامى »

تكلم فيها الفيلسوف المسلم عن تصوّر الاسلام العالم على أنه عالم حركة • وقال ان الاسلام ينكر أواصر الأنساب ، ويعترف بالأواصر الروحية ، ويقرر أن حياة الانسان روحية في كنهها • ولا يمكن التطلع الى أساس نفساني تقوم عليه الوحدة الانسانية الا اذا عرفنا أن الحياة الانسانية روحية •

ويقرر الإسلام أن أصل الوحدة الانسانية في التوحيد • ان أصل الحياة كلها دائم يتجلى في مظاهر متغيرة • والجماعة القائمة على هذا الأصل ينبغي أن تجمع في نفسها هاتين الصفتين ، الدوام والتغير • ومن يتصور الأصول الدائمة الأبدية غير قابلة للتغير فقد وقف ما هو متحرك بطبيعته • »

ومعنى هذه الفقرات التي نقلتها عن اقبال ان حياة الانسان لا تحدّها أنساب ، ولكنها قائمة على أصول روحية بها وحدة الانسان ، وأن هذه الحياة الروحية دائمة في أصلها متغيرة في مظاهرها • فالجماعة الانسانية ينبغي أن تقوم على أصول دائمة من عقائدها وسننها ، متغيرة في مظاهرها وأحوالها •

ثم يقول :

« والحركة في الجماعة الاسلامية بالاجتهاد • ويؤسفنا أن هذا الأصل الذي يهب الأمة الحياة لم يعمل عمله في المسلمين • ان من أقوى أسباب ضعف المسلمين اهمال هذا الأصل ، أعنى ابطال الاجتهاد • »

ثم يتكلم اقبال عن الاجماع أصلا من أصول الشرع الاسلامي • فيقول :

« والأصل الثالث من أصول الشرع الاجماع • وهو عندى أعظم السنن الشرعية • وعجيب أن هذه السنة الرشيدة نالت كثيرا من بحث المسلمين وجدالهم ، ولكنها لم تعد التفكير الى العمل • وقلما صارت سنة عملية

في بلد اسلامي • ولعل اتخاذها سنة دائمة ونظاما محكما لم يلائم مطامع الملك المطلق الذي نشأ في الاسلام بعد الخلفاء الراشدين • ولعل ترك الاجتهاد لأفراد من المجتهدين كان أقرب الى منافع الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس ، من تأليف جماعة دائمة عسى أن تفوقهم قوة •

ومما يبعث على الرضا والأمل أن سيرة الحوادث في هذا العصر ، وتجارب أمم أوروبا ، أشعرت الفكر المسلم الحديث بقيمة الاجماع وعرفت أنه ممكن • وشيوع النزعة الجمهورية ، ونشوء مجالس التشريع ، يمهدان السبيل الى العمل بسنة الاجماع • «

ز - وفي المحاضرة السابعة « هل الدين ممكن ؟ »

يقول اقبال : ذلكم سؤال يشغل الانسان في كل عصر ولا سيما في عصرنا ، والعالم كله يلتبس أساسا يبنى عليه وئام الناس وسلامتهم •

ويقول :

« ان الدين في أعلى صورته ، ليس أحكاما جامدة ، ولا كهنوتية ، ولا أذكارا • ولا يتيسر الا بالدين تهيئة الانسان المعاصر لحمل العبء الثقيل الذي يحمله اياه تقدم العلوم في عصرنا • والدين وحده يرد الى الايمان والثقة اللذين ييسران له اكتساب شخصية في هذه الدنيا والاحتفاظ بها في الآخرة •

ولا بد للانسان من الارتقاء الى تصور جديد لماضيهِ ومستقبلهِ ليستطيع التغلب على المجتمع المتنافر المتصادم ، ويقهر هذه المدينة التي فقدت وحدتها الروحية بالتصادم الباطني بين الدين والمطامع السياسية •

والحق أن سير الدين والعلم ، على اختلاف وسائلهما ، ينتهي الى غاية

واحدة ، بل الدين أكثر من العلم اهتماما ببلوغ الحقيقة الكبرى • اهـ

هذه نظرة عاجلة في بعض ما حوته هذه المحاضرات • وهى جديرة
بعناية من تعينهم أحوال المسلمين فى هذا العصر •

— ٣ —

أثر اقبال فى أفكار المسلمين

فى الخمس عشرة سنة التى مضت من وفاة اقبال الى يومنا هذا ، ألفت
كتب باللغة الأردية والانكليزية فى سيرته وفلسفته ، وفى صلة هذه الفلسفة
بالاسلام ، وبيان التشابه بين اقبال وبين فلاسفة آخرين أو بين شعره
وشعر غيره من كبار الشعراء • كتب فى هذه الموضوعات زهاء أربعين كتابا •

وكتبت مقالات كثيرة • وتنشر فى لاهور مجلة اسمها اقبال تنشر
مقالات بالأردية والانكليزية فى فلسفة اقبال وشعره

تجد فى هذه المجلة مثل هذه المقالات :

التطور فى فلسفة اقبال

الفن فى مذهب اقبال

ابليس فى تصوّر اقبال

فلسفة الذاتية عند اقبال

اقبال ومسألة الاجتهاد

معنى العشق فى شعر اقبال

معنى الفقر فى شعر اقبال

ولا تكاد تخلو مجلة أدبية فى باكستان من مقال عن اقبال

(١) ترجم صديقى الأستاذ عباس محمود هذه المحاضرات الى العربية. ويرجى ان تطبع قريباً

وفى ىدى الآن مجلة باكستان ، عدد نىسان ، وفيه هذه المقالات •
اقبال شاعر الاسلام — اقبال رسالة أمل مَشرق — اقبال والوطنية —
اقبال الشاعر الفيلسوف — بيت " من شعر اقبال — اقبال ومسجد قرطبة •

ونجد الكتاب يبينون عن آراء اقبال اجمالاً وتفصيلاً ويستشهدون بما
كتب فى الفلسفة ، وبما جاء فى شعره • وشعره فصول فلسفية فى صورة
شعرية كالاسرار والرموز اللذين أجملتهما آتفا • أو شعر يتضمن فكراً
متفرقة من فلسفته، ولثما مختلفة من آرائه ينظمها الكتاب بعضها الى بعض
ليبينوا المذهب الذى نشأت عنه هذه الأقوال •

عرض هذا الشاعر الفيلسوف على العقول ما أيقظها وشغلها ، وعلى
القلوب ما أنبضها وأثارها •

ولا يزال الباحثون يجدون فى فلسفته وشعره ما يشغل أقلامهم ، ويملا
صحفهم على كثرة ما كتبوا • فماذا عسى أن أفصل من فلسفة اقبال ؟
وكيف أحاول الاحاطة بها فى كتاب هو أول ما كتب فى لغتنا العربية عن
هذا الشاعر ، سيرته وفلسفته وشعره •

وانما قصدت الى أن يكون هذا الكتاب مقدمة لقراءة دواوين اقبال التى
ترجمتها الى العربية ما طبع منها وما يطبع ان شاء الله •

وقد كتبت لهذه الدواوين مقدمات فيها طرّف من فلسفة اقبال ولا سيما
الآراء التى هى موضوع الديوان • فلعل القارئ المتقصى يضم هذه
المقدمات الى هذا الكتاب ليتبين سيرة اقبال وفلسفته •

الفصل الخامس

اجابة اقبال المعترضين على فلسفته في أوروبا

ترجم الاستاذ نكلسون منظومة أسرار خودي الى الانجليزية وكتب لها مقدمة أثبت فيها ما كتبه اقبال اليه ايضاحا لفلسفته ⁽¹⁾ فاهتم بها بعض المتفلسفين هناك .

وكتب بعضهم نقدا لآراء اقبال . واعترض بعضهم على فلسفته بأنها فلسفة قائمة على تعظيم القوة والدعوة اليها ، كفلسفة نطشه الفيلسوف الالماني . وبأنها فلسفة ليست انسانية عامة ، بل تخاطب أمة من الناس هي أمة المسلمين .

وأجاب اقبال موضحا مذهبه ، راداً على من قرنوه بنطشه ومن عابوا على فلسفته أنها تخص المسلمين .

وأجمع جواب في هذا الموضوع ما كتبه اقبال الى الأستاذ نكلسون . فسأكتفى به ، ثم أكتفى منه بخلاصته :

يبدأ اقبال الكتاب بالأعراب عن سروره باهتمام المفكرين بكتابه حين ترجم الى الانكليزية .

ثم يقول ان بعض النقاد الانكليز رأوا مشابهة ظاهرية بين أفكاره وأفكار نطشه فوقعوا في غلط كبير . ويرد على من زعم أنه أخذ نظرية الانسان الكامل من نظرية نطشه في الانسان الذي سَمَّاه فوق البشر (Superman)

(1) بينا هذا في الفصل الاول من هذا الباب .

ويقول انه كتب قبل ثلاثين سنة ، مقالا عن الانسان الكامل عند الصوفية ولم يكن حينئذ اطلع على كتب نطشه ولا سمع باسمه .

ويمضى اقبال الى أن يقول في خطابه الى الاستاذ نكلسون :

أعجبني نقد دِ كسُن أكثر من كل نقد فأنا أعالج المسائل الآتية في نقده :

(١) المسألة الأولى :

يتبيّن مما كتبه مستر دِ كسُن الى أنه يرى أنى أحث على السعى الى القوة المادية بل أبلغ في تعظيمها درجة العبادة . والحق أن هذا غلط محض . فدعوتى الى القوة الروحية لا القوة المادية .

أرى أن محاربة أمة أمة لحماية الحق والخير فرض أخلاقى عليها ولكن محاربتها لأجل « جوع الأرض » حرام فى رأى^١ .

وحقّ قول دِ كسُن ان الحرب مدمرة سواء أكانت لنصرة الحق أم لبسط السلطان فيجب تجنب الحرب ، ولكن التجارب ترينا أن المؤتمرات، والمعاهدات ووسائل أخرى لا تمنع الحرب . وان منعت الحرب ظاهرا بأحدى الوسائل اتخذت الأمم ذوات المطامع ذرائع أخرى لاستعباد أمم أضعف منها . فلا بد لنا من شخص يحل مشاكلنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ويفصل فى خصوماتنا بالعدل ويقيم الأخلاق الدولية على قواعد أثبت وأمتن^٢

(٢) المسألة الثانية :

(١) انظر اسرار خودى ، والفصل الثانى من هذا الباب ص ٨٦ وما بعدها
(٢) انظر فصل النيباتة الالهية فى اسرار خودى وفى هذا الكتاب ص ٥٩ وص ٨٤

ثم يذكر دِ كسُن فلسفة الكدح التى تدعو الى الرجولة والصلابة، وهذه الدعوة قائمة على معنى الحقيقة الذى بينته فى المنظومة • أرى أن الحقيقة هى مجموعة الشخصيات أو «الذاتيات» وأن تأليفها الاجتماعى ينشأ من الجِلاد • ومن هذا الجِلاد ينشأ الانتظام والائتلاف آخرا •

هذا الجِلاد ضرورى للبقاء الشخصى وهو أعلى درجات الحياة

نطشه ينكر البقاء الشخصى • وغلظه فى هذا نتيجة غلظه فى تصوّر الزمان أو الدهر • هو لم يبحث فى مسألة الزمان من الجانب الانسانى • • وأنا ، على خلافه ، أعتقد أن البقاء الشخصى أعظم الآمال ولا بد له من الجِد والجهد الكاملين • لهذا دعوت الى الحركة والجِد والكدح وكل ضروب العمل ، بل الحرب ، حتى تستحكم الذات • ولهذا نهيت كل النهى عن جمود الصوفية ، وسكون الرهبان •

وهذا الجِلاد الذى أدعو اليه هو فى حقيقته أخلاقى لا سياسى • ولم يقصد نطشه الا الى معناه السياسى •

(٣) المسألة الثالثة :

واعترض مستر دِ كسُن على فلسفتى بأن دائرتها محدودة وان كانت أصولها عامة (يعنى أن اقبالا خاطب المسلمين ، وطبق فلسفته عليهم وحدهم) •

حق " أن الفلسفة والشعر ينبغى أن تكون لهما مقاصد انسانية عامة ، ولكن هذه المقاصد اذا أريد تحقيقها فى أعمال الحياة لم يكن بد من تحقيقها أول الأمر فى جماعة بعينها لها مسلك معين ومذهب

مستقل ، ولكن طرائقها في العمل تتسع بالدعوة والتبليغ الى غير نهاية . وعندى أن هذه الجماعة هي الأمة الاسلامية . فالاسلام عدو لعصبيات الألوان والأجناس . وهي أصعب العقبات في سبيل اتحاد أمم العالم . — قد غلط رينان حين قال ان الاسلام والعلم ضدان . والحق أن الاسلام وعصبية الأقوام لا يجتمعان — ان أكبر أعداء الاسلام ، بل الانسانية ، هذه العصبية . فعلى محبى الانسانية أن يجاهدوا جهد طاقتهم هذه العصبية التي اخترعها ابليس .

قد رأيت أن عالم الاسلام كذلك سرت فيه القومية والوطنية القائمتان على عصبية الأمة والوطن . ورأيت المسلمين يكفلون عن مقاصدهم العامة ، ويقعون في شباك القومية والوطنية فرأيت فرضا على* ، بأنى مسلم أو محب للانسانية ، أن أوجههم الى مقاصدهم الحق .

لا أنكر أن عصبيات القبائل والأمم نافعة ، الى حين ، في نشوء الحياة الاجتماعية وارتقائها ، فلست أعترض على الاهتمام بهذه العصبيات من هذه الجهة ، ولكن اذا عثدت القومية أعلى درجات الرقى الانساني فهي عندى أكبر لعنة على الانسانية .

لا ريب أنى أحب الاسلام وأهيم بحبه ، ولكن خطأ قول دركسن أنى خصصت المسلمين بكلامى عصبية لوطن أو أمة . لم يكن لى وسيلة أخرى لتطبيق هذه الفلسفة . اذ رأيت الجماعة الاسلامية أكثر الجماعات ملاءمة لقصدى .

ثم الاسلام ليس من الضيق كما يتوهم دركسن . فالتعليم الاسلامى لا يخص قبيلة دون قبيل . ولكن يقصد الى أخوة البشر كافة . فهو يدعو الناس أجمعين الى التعاون والتآخى ، وأن يتغفل في هذه السبيل ما بينهم من اختلاف جزئى .

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله • »

وأكبر الظن أن مسترد كسَن لا يزال في أسر الوهم القديم ، وهم
أهل أوربا أن الاسلام يدعو الى القتل وسفك الدماء • والحق أن سلطان
الله على الأرض ، لا يخص المسلمين بل يمكن أن يعم الناس أجمعين ، على
أن يتركوا عبادة الأصنام ، أصنام النسب واللون والقوم والوطن •
لا تستطيع اسعاد الناس معاهدات الصلح ومجالس الأمم ، وأوامر الملوك •
لن يستطاع هذا الا بالاعتراف بحرية الناس وتساويهم دون نظر الى
نسب أو وطن •••

لا أنكر أن المسلمين كغيرهم خاضوا وحاربوا وسخروا الأقطار ، وأن
بعض سلاطينهم ألبسوا مطامعهم لباس الدين ، ولكنني على يقين أن الفتح
والتسخير ليسا من مقاصد الاسلام ، بل أعتقد أن الفتوح عاقت نماء النظام
المبارك ، نظام الشورى الذى نجد أصوله في القرآن والحديث • ولم يكن
للمسلمين بدٌّ من اقامة الممالك العظيمة في أرجاء الأرض ، ولكنهم اضطروا
في سبيلها الى العبدول عن بعض سننهم القويمة • وغلب على أعراضهم
السياسية مسحة غير اسلامية • فأغمضوا عيونهم عن سعة المقاصد
الاسلامية وعمومها •

لا ريب أن الاسلام قصد الى دخول الناس فيه ولكن دون اكراه •••
ان العقائد الاسلامية يسيرة معقولة • فهي توافق العقل السليم ، وتسلم
من تعقيد الفلسفة •

ان في فطرة الاسلام مزايا تيسر له أن يبلغ أوج الظفر • انظر الى
الصين مثلا ، فيها من المسلمين عشرات الملايين دخلوا في الاسلام بالدعوة ،
وما كان للمسلمين في الصين سلطان سياسى • وفي هذا برهان على أن
الاسلام يفتح القلوب بغير سلطان سياسى ودون اكراه •

قد طالعت فلسفة العالم أكثر من عشرين سنة ففى وسعى أن أدلى برأى
بريئا من التعصب • وأن أتقد حوادث العالم غير متحيز •

انى أقصد فى دواوينى الى أن أضع أمام أعين الناس مثلاً عالية عمرانية
شاملة ، ولكنى لم أستطع حين صوّرت هذه المقاصد ، أن أغضّ البصر عن
نظام اجتماعى مقصده أن يحو بين الناس فروق الأشخاص والدرجات
والانساب والألوان ، ودعوتّه أن يعمل الانسان لدينه ويعلو على مطامع
هذه الدنيا ما استطاع ولا يرجو الا رضاء الله • ان الاسلام يدعو
الى أن يأخذ الانساب نصيبه من الدنيا ثم يدعو أن تهجر كل لذات الدنيا
فى سبيل مقاصد الحياة العليا •

وان أوربا محرومة من هذا التعليم ، هذا الكنز الثمين • وتستطيع أن
تأخذ عنا هذا المتاع النفيس الذى لا يقوّم •



ثم مسألة أخرى أختتم بها : ان الأقوال التى بعثتها اليك فأدرجتها فى
مقدمة أسرار خودى ، قد بيّنت مذهبى فى ضوء آراء مفكرى الغرب
ومذاهبهم • وانما اخترت هذه الطريقة لأيسر لقراء الانكليزية فقه
آرائى • ولو شئت لاستشهدت بالقرآن الحكيم ، وأقوال الصوفية
الكرام ، وحكماء المسلمين ، كما فعلت فى المقدمة التى أثبتتها فى الطبعة
الأولى لأسرار خودى •

انى أدعى أن فلسفة أسرار خودى مأخوذة من آراء صوفية المسلمين
وحكمائهم ، وأنّ أبحاث برجسانا فى الزمان والوقت ليست جديدة

Bergson (1)

عند صوفيتنا • قد بيّنت هذه المسائل في كتب التصوف بطرائق مختلفة •

القرآن المجيد ليس كتاب فلسفة أو الاهيات ، ولكن فيه هدى الى مقاصد الحياة ورقيتها ، وفيه أصول فلسفية يقينية • ولو أن مسلماً متفلسفا بيّن المسائل القرآنية في ضوء الأفكار والتجارب الحديثة ماصح اتهامه بأنه يقدم شراباً جديداً في زجاجة قديمة ، كما يقول مستر دِكسُن • أنا لا أعرض أفكاراً جديدة في ثياب قديمة ولكنى أيتن حقائق قديمة في ضوء الأفكار الجديدة •

ما أشد أسفى لجهل أهل الغرب الاسلام والفلسفة الاسلامية !

ليت الفرصة تتاح لى فأكتب في هذا الموضوع كتاباً ضخماً فأعلم حكماء الغرب الحقيقة فيروا مقدار التشابه بين فلسفتنا وفلسفتهم •

الباب الثالث

شعر اقبال

أنظر في هذا الباب نظرات في دواوين اقبال وما فيها من فنون شعر •
وغنى عن البيان أنى لا أفصل القول في اللغة والتركيب والأسلوب اذ كان
هذا كتابا لقراء العربية الذين لا يقرءون دواوين الشاعر في لغتها الأردنية
والفارسية •

فسأقصر كلامى على تعداد دواوين اقبال وذكر موضوعاتها اجمالا ،
وعلى مذهب اقبال في الفنون الجميلة عامة والشعر خاصة وعلى نظرات
عاجلة في شعره •

وأقسم هذا الباب على هذه الفصول :

الاول : دواوين اقبال

والثانى : مذاهب النقد ومذهب اقبال في الفنون الجميلة

والثالث : مذهب اقبال في الشعر ، وبيان هذا المذهب في شعره

والرابع : شعر اقبال ، موضوعه وأشكاله وأساليبه ، ولغنه

والخامس : أمثلة من شعر اقبال

الفصل الأول

دواوين اقبال

أقصد في هذا الفصل الى تعريف القارئ بدواوين اقبال ، موضوعاتها ومقاصدها ولغاتها وأزمنتها ، دون تفصيل فيما تحويه من فلسفة وشعر .
• وأجعل هذا التعريف تمهيدا للكلام في شعره .
• والتعريف بهذه الدواوين على ترتيب زمانها . وليس من مقصدي ، ولا في مكنتي أن أنظر في تطور أفكار اقبال على الزمن . فهو موضوع يقتضي بحثا مطولا في كتاب كبير .

— ١ —

بانك درا (في اللغة الاردية)

ديوان بانك درا (صلصلة الجرس) نشر أول مرة سنة ١٩٢٤ م .
• ونشر الشاعر قبل هذه السنة منظومتي الأسرار والرموز وييام مشرق ،
ولكنني بدأت بهذا الديوان بما يحوى شعر الصبا الذي نظمته قبل هاتين
المنظومتين وغيرهما .

وقد عرفنا الشاعر بتاريخ القصائد في هذا الديوان اجمالا اذ قسمه
هذه الاقسام :

القسم الأول الى سنة ١٩٠٥ . وفيه زهاء ستين قصيدة وقطعة ، نظمها
منذ شرع ينظم الشعر الى أن سافر الى أوروبا سنة ١٩٠٥ م كما قدمت في
سيرته .

وفي هذا القسم قصائد قومية ووطنية ، الى قصائد اسلامية وانسانية .

والقسم الثاني من ١٩٠٥ م — ١٩٠٨ .
• وهو ما أنشأه في أوروبا حينما ذهب اليها للدرس كما بينت في سيرته .

— ١٣٣ —

وهو زهاء ثلاثين قصيدة وقطعة • وهذا القسم جدير بالعناية بما يبين
عن شعور الشاعر أول عهده بالانتماء في أوربا ، ورؤيته حضارتها في
مواطنها على اختلاف وجوهها ، وتعدد مظاهرها •

والقسم الثالث من ١٩٠٨م الى أن نشر الكتاب سنة ١٩٢٤ وفيه زهاء
ثمانين قصيدة وقطعة •

وآخر القصائد الطوال في هذا القسم قصيدتان عنوانهما : «خضر راه»
و « طلوع الاسلام » أنشد الأولى في احتفال « أنجمن حمايت اسلام »
سنة ١٩٢٢م والثانية في احتفال الجمعية نفسها سنة ١٩٢٣م • وقد وصف
في الأولى مصائب المسلمين • وفي الثانية آمالهم • نظر في الأولى الى
ما أصاب الدولة العثمانية في هزيمتها في الحرب العالمية الأولى ، وفي الثانية
الى انتصار الترك في حرب الاستقلال • ثم يذكر الحوادث صراحة ولكن
أشار اليها اشارات يدركها القارئ •

في هذا الديوان شعر لاقبال أنشأ بعضه في صباه وبعضه في سن
الخمسين • فأى مراد لقارئ ، وأى مجال لباحث ، هذا الشعر الذي أنشأه
شاعر نابغ بين حدائته وكهولته •

— ٢ و ٣ —

أسرار خودى ورموز بى خودى

(أسرار الذاتية ورموز نفى الذاتية)

(في اللغة الفارسية)

منظومتان على القافية المزدوجة • وهى تسمى المثنوى في عرف شعراء
الفارسية ومن تبعهم من شعراء التركية والأردية •

وهما منظومتان طويلتان يبيّن فيهما الشاعر فلسفته • وقد عبّرتهما
مع القارئ في باب الفلسفة •

نشرت المنظومة الأولى سنة ١٩١٥ ، والثانية بعد ثلاث سنين •

— ٤ —

بيام مشرق « رسالة المشرق »

« في اللغة الفارسية »

طبع هذا الديوان أول مرة سنة ١٩٢٣ •

وكتب الشاعر فوق عنوان الديوان : « والله المشرق والمغرب » وكتب
تحتة :

« جواب ديوان الشاعر الألماني كوته »

وهو روضة من الشعر تختلف أزهارها ونوادرها وضروب النبات فيها
وألوانه ، وصنوف الرياحان فيها وروائحه • جمعت أشتات الزهر ، من
المشرق والمغرب •

وفيها الأقسام الآتية :

١ — شقائق الطور ، وهي رباعيات

٢ — الأفكار ، وهي إحدى وخمسون قطعة وقصيدة

٣ — الخمر الباقية ، وهي قصائد صوفية رمزية من الضرب الذي يسمى

في اصطلاح الأدب الفارسي غزلا • وهو غير الاصطلاح العربي • والغزل
في اصطلاح شعراء الفرس أبيات قليلة لا يلتزم فيها الشاعر موضوعا
واحدا • وعدد الغزليات في هذا القسم خمس وأربعون •

٤ - نقش الفرنج ، وهى أربع وعشرون قطعة وقصيدة يذكر فيها
اقبال بعض شعراء أوربا وفلاسفتها وينقد مذاهبهم وآراءهم فيقبل
منها ويرد .

٥ - الدقائق ، وهى قطع صغيرة وأبيات مفردة ألحقها بالديوان
وقد ترجمت هذا الديوان الى العربية . وطبع فى كراچى قبل ثلاث
سنين .

— ٥ —

زبور عجم

(باللغة الفارسية)

نشره سنة ١٩٢٩ م . وهو من أجود شعره ، وأدقّه معنى ، وأبعده
مرمى .

صدره بكلمة الى القراء يقول فيها :

« تحجب عيني شعرة حينا ، وترى عيني العالمين حينا . ان وادى العشق
سحيق وطويل ، ولكن طريق مائة سنة تطوى بأهة حينا . جيد ولا يهن
أملك وعزمك . قرب سعادة تواتى على قارعة الطريق حينا » .

وهذا الديوان أربعة أقسام :

الأول فيه دعاء وست وستون قطعة أكثرها بدون عنوان

والثانى فيه خمس وسبعون قطعة تقلّ فيها العناوين أيضا .

والثالث حديقة السر الجديدة (كلشن راز جديد) وهو على طريقة
(كلشن راز) الذى ألّفه الشيخ محمود الشبستري اجابة لأسئلة فى
التصوف أرسلها اليه بعض الصوفية . ولهذا سمّى اقبال منظومته
(كلشن راز جديد) .

وفيه يجيب اقبال تسعة أسئلة فيها دقائق فلسفية وصوفية •

السؤال الأول مثلا :

« أنا في حيرة من فكرى • ما الشيء الذى يسمى فكرا ؟
أى فكر يدلنا على الطريق ؟ لماذا تكون الطاعة حينا ، والمعصية حينا • »
والسؤال التاسع :

من الذى انتهى الى سرّ الوحدة ؟ وما الذى انتهت اليه معرفة العارف ؟
والقسم الرابع من هذا الديوان : « كتاب العبودية »

يتن فيه آثار العبودية فى الحياة ، والفنون الجميلة ، على مذهبه المعروف •
هذه الأقسام كلها تعرف باسم زبور عجم • وقد جمعت فى مجلد واحد
عليه هذا العنوان ، ولكن يتبين من العناوين الداخلة أن القسمين الأولين
هما زبور العجم ، وألحق بهما القسمان الأخيران بعنوانين منفصلين •

— ٦ —

جاويد نامه

(بالفارسية)

وديان جاويد نامه طبع سنة ١٩٣٢ ، ومعناه الكتاب الخالد ، وفيه
تورية الى جاويد ابن الشاعر •

وهو منظومة مزدوجة القافية (مثنوية) فى بحر واحد هو الرمل مثل
منظومتى الأسرار والرموز • وهى من أعظم شعره ، يحتاج قارئها الى زاد
كثير من المعرفة بالتصوف والفلسفة والتاريخ •

وجاويد نامه قصة سفر فى الأفلاك كقصة داتى الشاعر الايطالى ، فيها
زهاء ألفى بيت •

للقصة مقدمة فيها مناجاة وفصول أخرى ، الى أن تظهر روح جلال

الدين الرومى صاحب المتنوى المشهور • فيشرح أسرار المعراج • وهو دليل الشاعر فى هذه الرحلة • ثم يأتى زروان وهو روح الزمان والمكان فيحمل الشاعر ودليله جلال الدين الى العالم العلوى ، فيسيحان فى الأفلاك الستة ، القمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل • ثم فيما وراء الأفلاك • وتختتم المنظومة بأبيات كثيرة يخاطب فيها جاببد (ابنه) والجيل الجديد^١

وفى هذه الأسفار يلقى الشاعر كثيرا من الفلاسفة والصوفية والشعراء والملوك والساسة القدماء والمحدثين •

مثلا يقابل فى فلك القمر جمال الدين الأفغانى وسعيد حليم باشا •

ويلقى فى فلك الزهرة فرعون وكتشنر والمهدى السودانى •

وفى فلك المشتري يلاقى الحلاج والشاعر غالب وقرة العين الطاهرة •

وفى وراء الأفلاك يرى نطشه الفيلسوف الألمانى والسيد الهمدانى ونادر شاه ، وأحمد شاه الأبدالى والشاعر الهندى برترى هرى •

وكانت هذه المنظومة أول ما فكرت فى ترجمته من دواوين اقبال ، ولكن بدا لى من بعد أن أقدم عليها رسالة المشرق ثم ضرب الكلم ثم الأسرار والرموز •

ولا أدري متى يتيسر لى ترجمتها والله ولىّ التيسير •

— ٧ —

مسافر

((باللغة الفارسية))

وفى سنة ١٩٣٤ نشر مسافر (باللغة الفارسية) وهى منظومة مزدوجة (مثنوية) سجل فيها ما جال بفكره ، وجاش فى قلبه حينما سافر الى

(١) انظر وصية اقبال لاحد اصحابه بقراءة هذه الابيات ص ٤٣ من هذا الكتاب •

أفغانستان بدعوة من الملك نادر شاه كما قدّمت في الكلام على سيرته •
وخطب في هذه المنظومة الملك نادر شاه ، وقبائل الأفغان ، وهو كثير
الاعجاب بشجاعتهم وحرّيتهم •

وكذلك وقف على ضريح الملك بابر رأس الدولة التيمورية في الهند ،
وهو من أعظم ملوك العالم ، وعلى قبر الشاعر الصوفي الحكيم سنائي •
وهو طليعة شعراء التصوف العظام في اللغة الفارسية • وأدّى حق التاريخ
بوقفة على قبر السلطان محمود الغزنوي « يمين الدولة وأمين الملة ... »
محمود بن سبكتكين » وزار أيضا قبر أحمد شاه بابا ، الملقّب دُرّاني
وختم المنظومة بأبيات خاطب بها الملك ظاهر شاه ابن نادر شاه • وقد
قتل نادر شاه رحمه الله بعد عودة الشاعر من أفغانستان فخلفه ابنه
ظاهر شاه •

— ٨ —

بال جبريل (جناح جبريل)

(باللغة الاردية)

نشره سنة ١٩٣٥ م • وفيه هذه الأقسام :

١ — احدى وستون قطعة تتناول أفكاره الشائعة في شعره في
صور شتى ، ورباعيات قليلة •

٢ — وقصائد نظمها في الأندلس حينما زارها كما بينت في سيرته •
وهي دعاء في مسجد قرطبة ، وقصيدة طويلة رائعة في وصف هـ ذا
المسجد ، وقصيدة عن المعتمد بن عباد في سجنه ، وأول نخلة غرسها عبد
الرحمن الداخل في الأندلس ، وقصيدة عن أسبانيا ، ثم دعاء طارق في المعركة

٣ - ومن عيون القصائد في القسم الثالث منظومة عنوانها لينين أمام الله • وهى فى صورة قصة تمثيلية ، وأشعار نظمت فى فلسطين ، ومنظومة عنوانها « الملائكة يودعون آدم خارجا من الجنة » ومحاورة طويلة بين جلال الدين الرومى ومريد هندى

وأبيات عنوانها على قبر نابليون ، وأخرى عنوانها مسوئى

٤ - وقطع أخرى كثيرة •

— ٩ —

« بس جه بايد كرد اى اقوام شرق »

« ما ينبغي ان نعمل يا أهم الشرق »

(باللغة الفارسية)

منظومات مثنوية نشرها سنة ١٩٣٦م بعد أن استولت إيطاليا على الحبشة • ووضع عليها كلها عنوان المنظومة التى ذكر فيها حرب الحبشة ، وعصبة الأمم • وهو العنوان الذى صدرت به هذه الأسطر ولكن فيها عناوين متعددة فى موضوعات مختلفة مثل :

خطاب الشمس ، الحكمة الكلينية ، الحكمة الفرعونية ، لا اله الا الله ، الفقر ، الرجل الحر ، فى أسرار الشريعة ، كلمات الى الأمة العربية الخ •

وهذه المنظومات فى جملتها حكمة بالغة ، وشعر بليغ نفثهما الشاعر حين حزنه أحوال المسلمين ، وحزبه ما رأى من فتون الحضارة الأوربية ، وضلالها وجور ساستها ، وقسوة قادتها ، وعدوانهم على الأمم الضعيفة .

ضرب كلیم

(باللغة الاردية)

نشره سنة ١٩٣٧ • ولم ينشر في حياته ديوان بعده •
وهو ديوان مفصل على أبواب فيها نظرات في الاسلام ، والترقية ،
والمرأة ، والفنون الجميلة والسياسة وغيرها •
فالفلسفة فيها واضحة ظاهرة في أفكار معيَّنة في موضوعات محدّدة •
ودعوة اقبال فيها واضحة •
وهو ثانى دواوين اقبال التى ترجمتها الى العربية • وقد كتبت له مقدمة
وافية فليرجع اليه من يشاء •

أرمغان حجاز « هدية الحجاز »

(باللغتين الفارسية والاردية)

هذا الديوان نشر بعد وفاة الشاعر • فيه آخر أفكاره ، وختام نظراته ،
ولكن فيه منظومة مهمة عنوانها مجلس شورى ابليس كتب فوقها « سنة
١٩٣٦ » • ولا أدري لماذا لم تنشر من قبل في ضرب كلیم الذى نشر سنة
١٩٣٧ • لعل الشاعر لم يجدها ملائمة لهذا الديوان ، وهو آخر ما نشر في
حياته فجُمعت . الى ما نظم بعد ضرب كلیم ، في هذا الديوان الآخر ، ديوان
أرمغان حجاز •

والقسم الفارسي من هذا الديوان ، وهو أكثره ، رباعيات مقسمة على
هذه العناوين :

الى الحق (الله تعالى) - الى الرسول - الى الأمة - الى العالم
الانساني - الى رفقاء الطريق •

وبين الرباعيات التي جعل عنوانها الى الأمة ، احدى عشرة رباعية
يخاطب بها شعراء العرب •

وفي كل قسم من هذه الأقسام عناوين أخرى تنقسم الرباعيات •
والقسم الأردني أعظم شأنًا :

فيه مجلس شورى ابليس • وهو محاورة بين ابليس ومشيريه ،
وشكوى بعض المشيرين من الديمقراطية يخافون أن تصلح العالم ، وشكوى
آخر من الشيوعية ، ومحاورة بين المشيرين ، وجواب ابليس بأنه لا يخشى
كل ما ذكروه من المذاهب ، ولكن يخشى الاسلام ان تنبه المسلمون •
ففيه دون غيره القضاء على سلطان ابليس •

ومن عيون قصائد هذا القسم رثاء راس مسعود صديق الشاعر •
وهو رثاء بلغ فيه إقبال من الفلسفة والعاطفة الدرجات العلى •

وفي هذا القسم محاورات أخرى • وآخره رباعيات

الفصل الثاني

مذهب اقبال في الفنون الجميلة

— ١ —

مقدمة

للفلاسفة والنقاد مذاهب وآراء في الفنون الجميلة عامة وفي الشعر خاصة .

تختلف مذاهبهم وآراؤهم في قدر الفنون وخطرها ، وتختلف في مقاصد الفنون وغاياتها ، وتختلف في مقاييس الحسن والقبح ، والكمال والنقص فيها .

وذلكم موضوع واسع مفصل لا يتسع المجال لبحثه كله أو بعضه . فحسبى التمثيل ببعض المذاهب وأصحابها تمهيدا للأبانة عن مذهب اقبال :

١ - الفن له مقاصد

يرى كثير من النقاد أن الفنون محاكاة الطبيعة . وأقدم من أثرت آراؤهم في هذا ، أفلاطون وأرسطو . قالوا ان الفن محاكاة للطبيعة ولكنهما يختلفان فيما بعد هذا .

فأفلاطون يحقر الفنون بأنها محاكاة الطبيعة ، والطبيعة نفسها مظاهر خادعة أو ظلال لا حقائق لها . ومذهبه في عالم الحقائق أو المثل وعالم المادة معروف . ويذم أفلاطون التمثيل لأنه يثير العواطف فيصعب كبجها . ويحقر الشعراء بأن خيالاتهم الكاذبة في الله والناس سيئة الأثر في عقول الشبان .

ويستحسن أرسطو الفنون بأنها محاكاة الانسان لأعمال الاله . انها تحاكي الطبيعة والاله هو المحرك الأول لها . ويحمد أرسطو الفن كذلك بما يثير العاطفة ويهذبها فتسهل السيطرة عليها .

ويؤخذ من هذه الكلمات أن الفيلسوفين يقوِّمان الفنون بما تؤدي إليه من خير وشر • فهما ممن يتتبعون الفن المقاصد الأخلاقية • وأكثر النقاد على هذا المذهب ، يقوِّمون الفن بأثره في الإنسان وصلته بالأخلاق •

ولأفلاطون خاصة عناية بأثر الفن في الأخلاق • يرى أن الفن في مادته وصورته ، ينبغي أن يقصد إلى الأخلاق والمعرفة ، وأن سحر الفن ينبغي أن يستعان به على خلق المواطن الصالح •

ويرى أن تحظر الموسيقى إلا الألحان التي تدعو إلى الشجاعة والاقدام والألحان التي تنبه الإنسان ، وتبث في نفسه حب الاعتدال والنظام وتقديس الآلهة •

وأما السرور الذي يبعثه الفن فهو يعين العقل على هداية الإنسان إلى الصراط السوي •

ويذم أفلاطون أصحاب الفنون المفسدين ويوصي بأن ينفوا من البلاد •

كثير من النقاد ، بل أكثرهم ، يوجبون أن يكون للفن مقاصد ، ويقوِّمونه بآثاره في حياة الإنسان • وفي طليعة هؤلاء أفلاطون وفي مؤخرتهم برنارد شو •

منهم من يجعل غاية الفن السرور • ويؤثر عن أرسطو قوله أن الفن محاكاة لها مقصد نفساني واجتماعي • وهذا المقصد هو اللذة التي تنشأ من انطلاق الانفعال المكظوم •

ويؤثر عن سنت أغسطين في العصور الوسطى ، أن مقصد الفن خلق الجمال ، والجمال هو ما تسر الإنسان رؤيته • وذهب هذا المذهب نقاد في كل عصر حتى عصرنا هذا • ومنهم العالم النفساني فرويد ، يرى أن الفن يريح فكر الفنان والرائي من التوتر ، بأرضاء الرغبات المكظومة • والفريق الثاني من القائلين بأن للفن مقاصد ، منهم من يقول أن مقصد

الفن الحياة نفسها • ومنهم قائم ان الفنّان معلم • وأعلى مقاصده أن
يثبّض قلب الانسان • والقلب مركز الحياة • فالفن موصول بحياة
الانسان لا محالة ، موصول بكونه المادى والأخلاقى • ويقول آخر ان
الفن نقد الحياة • ويقول تليستوى ان مقصد الفن أن ينقل الى النفوس
أنبل العواطف وأعلاها •

ويندّم الفن الفرنسى فى عصر الانحطاط لأنه يعبّر عن عواطف الحكام
الأراذل •

ب - الفن للفن

فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، انتشرت دعوة الى تقويم
الفن بنفسه ، وانكار أن يكون للفنون مقاصد الا نفسها • وقال دعاؤها انما
يُعالج الفن للفن^١ •

وكان من دعايتها فى فرنسا فلووير وبندلير^٢ ، وفى روسيا بّسكين وفى
انجلترا اسكار وايلد ووثر پيتر^٣ •

وكانت هذه الدعوة فى الحقيقة تطوراً لمذهب الطبيعيين^٤

ومعنى هذه الدعوة أن الفن يُقصد لجماله • وأما الحق والخير وما يتصل
بهما فليس لها صلة بالفن ، أو هى تابعة وليست المقصد الأسمى ...
ليس للفن غاية الا نفسه ، لا يُقصد الا اياه •

ليس للفن رسالة الا أن يثير فى النفس الاعجاب بالجمال • وان قصد أمر
آخر كالأخلاق والتعليم والمال والصيت ، وضع هذا القصد من قيمة الفن •

L'art Pour L'art (١)

Flaubert, Baudelaire (٢)

Oscar Wilde, Walter Peter (٣)

RomanTiers (٤)

الفن مقصد لا وسيلة • ومن قصد في الفن الى غير الجمال فليس بفنان •
والشيء اذا صار نافعا لم يبق جميلا •

يقول أسكار وايلد :
أول شرط للابتكار أن يدرك النقاد أن عالم الفن وعالم الأخلاق
متباينان كل التباين • «

وكانت هذه الدعوة ، من الجهة الاجتماعية ، دعوة الى الفردية المطلقة
أنشأت فنونا مدمرة كل الفضائل التي عرفتھا العصور الماضية •
ج - أصحاب العبارة

وذاعت قبل هذه الدعوة ، واستمرت بعدها ، دعوة أخرى تشبهها • هي
الدعوة الى تقويم الفن بصورته لا بمعناه ، الى تقويم الشعر مثلا بالألفاظ
والوزن والأسلوب لا بالموضوع والمعنى • فهي تميز بين القصة — مثلا —
ومعانيها وأشخاصها ، ومسارحها ، وعواطفها ، وبين اللغة والعبارة والسياق
والوزن •

وقد ثار من قبل الجدال بين أدبائنا أدباء العرب على البلاغة أهي في
الألفاظ أم في المعاني • وكتب في هذا عبد القاهر الجرجاني صاحب دلائل
الاعجاز وأسرار البلاغة وغيره •

وتذكرنا كلمات ابن خلدون في مقدمته بدعوى هؤلاء اللفظيين • يقول:

« فالمعاني موجودة عند كل واحد ، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء
ويرضى • فلا تحتاج الى صناعة • وتألّف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج
للصناعة كما قلناه • وهو بمثابة القوالب للمعاني • فكما أن الأواني التي
يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج
والخزف ، والماء واحد في نفسه ، وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء
باختلاف جنسها لا باختلاف الماء ، كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال

تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه ، باعتبار تطبيقه على المقاصد •
والمعاني واحدة في نفسها • «

وقال المتأخرون من أصحاب هذا المذهب :

ليس الاعتبار بما تعبر عنه بل بما تعبر به ، ولا قيمة للمعنى بل للأداء
فربما تعرب عن قبيح أو جميل ، وعن حق أو باطل ، وعن صواب أو غلط
ولا يدخل شيء من هذه في تقويم الفن ، ولكن يقوم الفن بالصورة التي
تبين بها عن هذه الأشياء •

قابل هؤلاء شعراء « الفن للفن » بشعراء « العبارة للعبارة »

وكانت هاتان النظريتان شائعتين حينما شرع اقبال ينظم الشعر •

ولكن الشاعر الفيلسوف القوى لم يبال بهذه ولا تلك كما نرى
من بعد •

— ٢ —

مذهب اقبال في الفنون عامة

أبدأ هذا الفصل بكلمة عالية كتبها اقبال في مقدمته لديوان غالب
المصور :

« اذا نظرنا في تاريخ الثقافة الاسلامية فرأى أن الفن الاسلامي فيما
عدا العمارة (الموسيقى والتصوير بل الشعر) لمّا يولد ، أعنى الفن الذي
يقصد الى أن يتخلق الانسان بأخلاق الله • والذي يمدّ الانسان بألهام
لا ينقطع (أجر غير ممنون) ثم يحقق له خلافة الله في الأرض • »

ذلكم طموح اقبال في الفنون ، وأمله فيها • وذلكم ما اجتهد طول عمره
أن يحققه في شعره ، وفلسفته •

وفى ديوان زبور العجم منظومة طويلة بين فيها اقبال أثر الحرية والعبودية فى الفنون ، ووصل الفن بقلب الانسان وروحه ، بل وصله بالله تعالى ، اذ جعل الفنان الحق هو الذى يسمو بنفسه محاولا أن يتصف بصفات الله •

ويرى القارىء فى هذا الفصل شواهد من هذه المنظومة حين الكلام فى التصوير والموسيقى والعمارة •

يذهب اقبال فى الفنون مذهباً يلائم فلسفته التى أجملتها للقارىء فى هذا الكتاب :

قوام الحياة ، الذاتية • ومقصود الحياة تقوية الذاتية وتكملها وشحذها واشعالها • وتقوى الذات من تخليق المقاصد والآمال • والذات بعشق آمالها ، والسير اليها ، واقتحام العقبات من أجلها ، واحتقار الأهوال فى سبيلها ، تذلل كل صعب ، وتيسر كل عسير ، وتدنى كل قصى وتسخر كل شيء •

وقد طبق اقبال مذهب هذا فى كل شئون الحياة :

١ - الخير ما يقوى الذات وينميها ويكملها ، والشر ما يضعفها وينقصها • وفى القرآن الكريم : « قد أفلح من زكّاهَا وقد خاب من دسّاهَا » • وهذا قياس كل شئون الحياة وعقائد الانسان وأعماله :

الدين والفن والتدبير والخطب

والشعر والنثر والتحرير والكتب

كل "يحيط بمكنون يَضَنُّ" به •

فى صدره يتوارى جوهر عجب ١

ان تحفظ «الذات» هذى فالحياة بها

أو قصرت فهنى عندى السحر والكذب

(١) كل هذه فيها سر تحتفظ به هو حفظ الذات وتقويتها •

كَمْ أُمَّةٌ تَحْتَ هَذِهِ الشَّمْسِ قَدْ خُزِيَتْ
إِذَا جَانِبَ الذَّاتِ فِيهَا الدِّينَ وَالْأَدَبَ

ب - والفنون تقوّم بقوة النفس التي أنشأتها ، وقوة ايحائها وقوة تأثيرها في الطبيعة والانسان . كل فن أنشأته نفس ضعيفة ، فكان له في الناس أثر ضعيف ، أو أنشأته نفس مفسدة شريرة ، فكان له في الناس افساد ، فهو فن لا قيمة له ؛ بل هو فن خاسر ، يضر ولا ينفع . ولا يقوم الفن بنفسه ، فأَنْ مقصود الفن الحياة .

يقول الشاعر في المقدمة القصيرة التي كتبها سنة ١٩٣٨ م لديوان الشاعر غالب المصور ، الذي صوره عبد الرحمن چغتاي والمسمى مَرَقَع چغتائي :

« أرى الفن خادما للحياة والشخصية . أبنت عن هذا الرأي سنة ١٩١٤ م في ديواني « أسرار خودي » وأوضحته مرة أخرى بعد اثنتي عشرة سنة في القصيدة الاخيرة من ديوان « زبور العجم » حيث حاولت تصوير روح الفنان الأمثل الذي يتجلّى العشق فيه توحيدا بين الجمال والقوة »

ويقول في ضرب الكليم :

إذا أضنت الروحَ آلامَ رِقِّ ففَنِّكَ عَبْدٌ رهين سَجُودِ
وإن عرفتَ قدرَها كنتَ حقا على الانس والجِن ربَّ الجنودِ

الخلود للأنسان وللفن بالقوة والحرية والتأثير في الحياة ، التأثير القويّ الحسن ، الذي يقوّم الحياة الضعيفة ويزيد الحياة القوية قوة :

أنت تحت الشمس تمضي كشرار
لستَ تدري ما مقامات الوجود
ليس في فنك للذات بناء
ويحَ تصوير وشعر ونشيد

والفن الذي لا يطبع على الحياة نفسه ، ولا يخلد على الدهر آثاره
ليس جديرا باسمه

مقتطفات الفن في الحياة لهيب
أبدى فما وميض الشرار ؟
قطر نيسان ! ما اللآلئ ان لم
تتلاطم بها قلوب البحار ؟
ما نسيم الصباح في الشعر واللحن
اذا ما أذوى سنا الأزهار ؟
ليس الا اعجاز يحيى ، فن
ليس ضرب الكليم فيه ، عواري

لا فن بغير قوة ولا جمال بغير جلال :
وأرى الجمال جميعه في أن ترى
في سجدة للقوة الأفلاك
ولنعمه من دون نار نفخة
ما الحسن الا بالجلال يحاك

ج - ويقول اقبال في مقدمة ديوان غالب :

لعل احياء واحد من نفس مسفة ، تستطيع اغواء الناس بغنائها أو
تصويرها ، شر على الأمة من جيش لآتيله أو جنكيز *

كما قال نبي الاسلام في امرى القيس أعظم شعراء الجاهلية : « أشعر
الشعراء وقائدهم الى النار »

(1) يقال ان مطر شهر نيسان تسقط قطراته في الصدف فيخلق فيه الدر .
والشاعر يقول ان هذه اللآلئ ان لم تجش بها قلوب البحار فلا قيمة لها ، فعمل
الفنان الذي لا يجش له قلب العالم ليس بشيء .

وهو ينعى على الهنادك بعد فتهم عن الحياة ، واقتترانه بالخنوع
وتصويره الموت ، وقتله الروح • يقول في ضرب الكلیم :

وتخلهم جنازة كل عشق	وظلمة فكرهم للحیى قبر
وموئتهم به نقش المنايا ^١	ولیس لفتهم بالعيش خبر •
يتيم الروح في ايقاظ جسم	ودون المجد يسدل منه ستر
يسخر للأنوثة كل شيء	لهم قصص وتصوير وشعر

د - والفن الصادق صورة من نفس الفنان ، بل هو مصور بدمه
وعصبه •

من حُرقة في دم الباني مشيئة^٢
حانات حافظ اوزونات بهزادا^٣
ما جوهر يتجلى دون مجهدة
من ومضة الفاس نارت دارفرهادا^٤

و - وليس للمقلد فن • انه يبنى أصنامه من حطام أصنام قديمة •

تَعِس الكافر من أصنامه	من حطام لمناة واللات
هالك صلى عليه فش	في ظلام اللحد يرنو للحياة

ه - محاكاة الطبيعة :

ويرى اقبال أن الفنان ينبغي ألا يحاكي الطبيعة ، بل ينبغي أن يطبع
نفسه عليها ، ويصور شعوره فيها • ويقول ان الانسان خلاق لا مقلد ،

(١) الموثن معبد الاوثان •

(٢) حافظ الشيرازى الشاعر الفارسي المعروف وبهزاد مصور نابغ عاش في عصر

الصفويين • والزون معرض الدمى والاصنام

(٣) فرهاد مهندس فارسي تحكى اساطير الفرس انه شق في جبل بيستون قناة

نلبن ليظفر بحبيبته شيرين كما اقترح عليه كسرى برويز، وله في الادب الفارسي

صيت ذائع •

وصائد لا صيد ، وان أهرام مصر أعظم من الصحراء المحيطة به !

شادت الفطرة كُتبانا لها في سكون من يباب يتقيد
ووقع الأفلاك فيه هرم أى كف صورت هذا الأيد؟
من اسار الكون حرر صنعة صائد ذو الفن أم صيدا يعد

وفي رسالة المشرق يقف اقبال الانسان أمام خالقه معددا ما فعل في الأرض :

خلقت الظلام فصغت السراج وطينا خلقت فصغت الكتوسا
خلقت جبالا وييدا وروضا خلقت حدائقها والغروسا

أنا من حجار صنعت مرايا

أنا من سموم صنعت دوايا

ويقول في ديوان آخر :

ذلك الفنان الذى يزيد على الطبيعة ، ويفشى لأعيننا أسرارها ،

حوره من حور الجنة أجمل ، ومن ينكر أصنامها فهو كافر .^(١)

وأختم هذه الكلمة بقوله فى مقدمة ديوان غالب :

ان فى سيطرة المرئى على غير المرئى ، وابتغاء ما يسمّى فى العلم
ملاءمة الطبيعة ، اعترافا بسيادة الطبيعة على روح الانسان . وانما
القوة فى مقاومة تأثيرها لا فى خضوعنا لعملها . ان مقاومة ما هو كائن
طلبا لما ينبغى أن يكون ، لهو صحة وخياة . وكل ماعدا هذا علة وموت .

(١) يعنى من لا يؤمن بما يخلق هذا الفنان من الصور كافر بالحقيقة .

أن حياة الله تعالى والانسان خلق مستمر • ان الفنان الذى هو نعمة على الانسانية يتحدّى الطبيعة • وهو يتخلق بأخلاق الله ، ويشعر فى روحه باتصال الزمان والخلود • هو كما يقول فيتشه : « يرى كل الطبيعة كاملة فسيحة فيّاضة ، لا كمن يرى الأشياء كلها أصغر ، وأهزل ، وأفرغ مما هي فى حقيقتها • الطبيعة كائنة وعملها تعويق سعينا الى ما ينبغى أن يكون • وهو ما يجب على الفنان أن يجده فى قرارة نفسه • »

و — هذا مذهب اقبال فى الفنون عامة ، وأزيد على هذا الأجمال أمثلة من تطبيق فلسفته على بعض آحاد الفنون :

١ — المصور ينبغى أن ينشئ ، ويبين عن نفسه ولا يقلّد • وقد قلّد مصورو الفرس والهند أوروبا فأبطلوا فنّهم ، ومات خيالهم •

قلّد الغرب فنّ عجم و هند	عمّ هذى البلاد موت الخيال ^١
شفّنى الغم ، أن يهزاد عصرى	يسلب الشرق بهجة الآزال ^٢
يا خبيرا بفنه فيه تمت	صنعة العصور والعصور الخوالى!
كم ترى من خليفة وثرىها	أرنا الذات فوق كل مجال

ويقول فى منظومته (كتاب العبودية) فى آخر ديوان زبور العجم ، عن التصوير والمصور :

رأيت تصويرا فاترا ، لا ترى فيه ابراهيم ولا آزر (يعنى لا نحت الاصنام ولا تحطيمها) •

ويذكر ضروبا من هذا التصوير الى أن يقول :

ريشة يقطر منها الموت ، ليس فيها الا خرافة الموت وسحره •

ويذكر ثقافة العصر قائلا : العلم الحاضر ساجد للآفلين ، يزيد الشك

(١) ديوان ضرب الكلم ص ٨٩

(٢) البهجة التى عرفت فى فنون الشرق من الازل •

وَيَمْحُو الْيَقِينَ • وَلَا تَعْرِفُ بَغِيرَ يَقِينَ لَدَّةَ التَّحْقِيقِ ، وَلَا بَغِيرَ يَقِينَ تَأْتِي قُوَّةَ
التَّخْلِيقِ • مِنْ لَا يَقِينَ لَهُ مُضْطَرِبٌ رَعِيدٌ ، يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ النَّقْشُ الْجَدِيدُ •
عَلِيلٌ ، مِنْ « الزَّاتِيَةِ » بَعِيدٌ ، وَهُوَ مِنْ ذَوْقِ الْعَامَةِ فِي قِيُودٍ • يَسْتَجِدِي
الطَّبِيعَةَ الْجَمَالَ ، وَلَهُ فِي الْحَيَاةِ مَجَالٌ •

لَا تَلْتَمِسُ الْحَسَنَ مِنْ غَيْرِ نَفْسِكَ يَا مَغْبُودٌ ، وَاطْلُبْ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ •
إِذَا أَسْلَمَ الْمَصُورُ نَفْسَهُ لِلطَّبِيعَةِ ، فَقَدْ أَثْبَتَهَا وَنَفَى نَفْسَهُ • وَإِنْ ظَنَّ
الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ خَلَاءً ، انْطَفَأَ نُورُ اللَّهِ فِي ضَمِيرِهِ انْطِفَاءً • وَالْكَلِيمُ إِذَا زَالَ
عَنْ نَفْسِهِ تَاهَ ، وَأَظْلَمَتْ يَدُهُ وَعَثَرَ بِعَصَاهُ • لَا حَيَاةَ إِلَّا بِقُوَّةِ الْإِعْجَازِ •
وَلَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَدْرِكُ هَذَا السِّرَ •
وَيَقُولُ :

أَمَّا الْفَنَانُ الَّذِي يَزِيدُ عَلَى الْفُطْرَةِ وَيُثْقِلُ سِرَّهُ لِأَعْيُنِنَا • حُورُهُ مِنْ
حُورِ الْجَنَّةِ أَجْمَلُ ، وَمُنْكَرَلَاتُهُ وَمَنَاتُهُ كَافِرٌ • أَنَّهُ يَخْلُقُ كَائِنَاتٍ أُخْرَى ، وَقَلْبُهُ
بِحَيَاةٍ أُخْرَى يَزْخَرُ • يَمُوجُ بِحَرِّهِ فَيَلْقَى الْيَنَابِثَ بِدُورِهِ • وَرُوحُهُ جِيَاثَةٌ
فِيَاضَةٌ بَعَثَرُهُ ، شَأْنُهَا أَنْ تَمْلَأَ كُلَّ فَرَاغٍ • فَطَرْتَهُ الصَّافِيَةَ عِيَارَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ،
وَصَنَعْتَهُ مِرَاةَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ • هُوَ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ آذَرُ ، تَصْنَعُ يَدُهُ الْأَصْنَامَ
وَتَحْطُمُهَا • يَهْدِمُ كُلَّ بِنَاءٍ قَدِيمٍ ، وَيَسْلُطُ مَبْرَكَهُ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا الْخِ
٢ — وَالْغَنَاءُ حَلَالٌ إِنْ بَعَثَ فِي النَفُوسِ قُوَّةً وَأَمَلًا وَبَهْجَةً ، وَحَرَامٌ إِنْ
بَثَّ فِيهَا ضَعْفًا وَيَأْسًا وَحُزْنَ :

فِي صُدُورِ الْأَفْلَاقِ لَحْنٌ خَفِيَ صَاحِرٌ حَرَّهَ نَجُومُ الْوُجُودِ
قَدْ أَحَلَّتْ (شَرِيعَةُ الذَّاتِ) لَحْنًا لَمْ يَزَلْ فِي أَنْتَظَارِ شَادٍ مُجِيدٍ ٢

(١) يُحَاوِلُ أَنْ يَسُوِيَ الْعَالَمَ بِمِثْرِهِ كَمَا يَبْرُدُ الصَّانِعُ الْحَدِيدَ •
(٢) شَرِيعَةُ الذَّاتِ الَّتِي بَنَّا عَلَيْهَا أَقْبَالَ فِلْسَفَتِهِ تَحُلُّ اللَّحْنَ الْقَوِيَّ الْمَضْمُونُ فِي
الْخَلِيقَةِ وَالَّذِي لَا يَزَالُ يَنْتَظَرُ مِنْ يَخْرِجُهُ لِلنَّاسِ

أن سرت في اللحن دعوة موت
حرم الناي عندنا والرباب

ولنغمة من دون نار نفخة ما الحُسن الا بالجلال يحاك

٣ - والموسيقى كذلك • ينبغي أن تبعث في النفس قوة ووجدا ،
وتسمو بها الى المعالي • فأن لم يكن لها هذا التأثير في النفس فالمغنى بارد
الدم ، وان لم يكن الزامر طاهر الضمير فأنفاسه في اللحن سموم •

ولا يزال اقبال يفتقد النغمات المحيية ، ويلتمسها فلا يجدها في الشرق
ولا الغرب :

دلّ على برد دم المغنى	لحن له الوجوه لا تنير ^١
أنفاس زامر سموم لحن	ان كان لم يطهر به ضمير
بالشرق والغرب في رياض	من الشقيق شاقنى المسير
فما مرت بينها بمرج	شقت به جيوبها الزهور ^٢

وفي آخر ديوانه الذى سمّاه « زبور العجم » منظومة مثنوية طويلة
سمّاها بندكى نامه (كتاب العبودية) يبيّن فيها جناية العبودية على
الحياة كلها ، وفضل الحرية عليها • وطبّق رأيه على الفنون في فصل من
المنظومة عنوانه « الفنون الجميلة عند العبيد »

فقال عن الموسيقى :

نغمة العبودية خالية من نار الحياة ، وألحانها مسيّقة مثلها • قلب منجمد

(١) ضرب الكلیم ص ٩٥

(٢) زهور الشرق والغرب لم يهجاها الوجد فتمزق جيوبها كما يفعل من يغلبه

الطرب من فرح أو حزن •

لأحرارة فيه ، حرم لذّة الحاضر والمستقبل • يظهر في مزمارة سرّه ،
والموت الطويل في لحنه • انه يعلّك ويذكّك ، وينفرك من الحياة
ويُملّك •

احذر فما هذه الا نعمات الموت ، انها الغناء في لباس الصوت •

الى أن يقول :

لا بد من نعمة ربيبة الجنون ، هي حريق في شغاف القلب كمين •

ان في الألحان لمقاما تسمع فيه بغير لفظ الكلام • والنعمة المضيئة هي
سراج الفطرة في كل ظلام ، معناها يخلق كل صورة • وكل ناغم بغيرها جثة
هامة ، ونعماته شرار نار خامدة •

٤ - العمارة :

يتكلم عن العمارة في منظومته في آخر ديوان زبور العجم التي ذكرتها
آثفا فيقول :

اصحب الماضين حيناً ، وتأمل في صنعة الأحرار ملياً • وانظر عمل
ايك وسورى^١

جلّى الأحرار ضمائرهم ، وعرضوا للأعين أنفسهم • فنظموا حجراً
الى حجر ، فجمعوا الزمان في آن •

ان رؤية هذه الصنعة تنضج نفسك ، وترمى بك في عالم آخر • يهديك
النقش الى النقاش ، فاذا سرّه في الصنعة فاش •

ويخاطب الشاعر نفسه :

(١) قطب الدين ايبك باني مسجد قوة الاسلام في دهلي ، وشيرشاه سوري احد ملوك الهند

أنا من نفسى فى حجاب ، لم أرد فترات الحياة العباب • كل احكام من
اليقين يمين ، وأين متى احكام اليقين • ليس فى من « لا اله الا الله »
قوة فليست أهلا للسجود على هذه المدة •

ويدخل الشاعر بهذا القول الى ذكر « تاج محل » معجزة البناء الخالدة
فيقول :

« سرح فى هذا الجوهر النظر ، انظر التاج فى ضوء القمر • صوروا من
الماء الجارى مرمره ، فجمعوا الأبد هناك فى لمحة •

لقد صرّح عشق الرجال بالأسرار ، فتقّب بأهداب العين الأحجار •
تجلّى عشق الرجال فى صورهِ ، فأثار نغمت من آجره وحجره • وعشق
الرجال عيارَ الجمال ، يشق أستار الحسن ثم يصونه من الابتذال • جازت
السموات همته ، وفاتت عالم الكيف والكم عزمته • عىّ البيان عما شعرا
فأبدى البناء من ضميره ماسترا •

العشق تصقل العقل يداه ، ويخلق من الحجر مرآة • «

وبختم الفصل بقوله :

الحسن بغير قهر سحر ، وهو مع القهر نبوة • وقد مزج العشق الاثنين
فى الأعمال ، وأثار عالما من الجلال فى عالم من الجمال •

الفصل الثالث

مذهب اقبال فى الشعر خاصة

ذكرت آنفا مذهب اقبال فى الفنون عامة ؛ أن لها مقصدا فى حياة الناس ، وأن هذا المقصد ينبغى أن يكون تقوية النفس ، وأن الفن تعبير عن نفس قوية لا تحاكي الطبيعة ، ولا تقلد غيرها ، ولكنها تصوغ الفن من دمها ونبضها وتؤثر به فى الحياة •

وفى هذا الفصل أخصّ بالبيان مذهب اقبال فى الشعر ، وهو فرع من رأيه فى الفنون عامة • واقبال كان شاعرا نابغة • فكان ، لا جرم أكثر عناية بالشعر ، ووجب على من يبيّن مذهب اقبال فى الفنون الجميلة أن يخص الشعر بالبيان بعد الكلام فى الفنون عامة •

— ١ —

الشعر والحقيقة

الحقيقة ان لم تخالطها العاطفة فهى حكمة • وان قبست من نار القلوب فهى شعر •

يقول اقبال فى رسالة المشرق :

كل حق دون وجد حكمة • وهو شعر ان يصب نار القلوب

وهذا حق • كل حقائق العالم موضوع للشعر ان خالطتها العاطفة ، ولونها الخيال •

ولا يتسع المجال لتفصيل القول فى هذا • وحسبى أن أقول ان اقبالا

يرى أن حقائق العالم كلها تدخل في الشعر ان قبست من نيران القلوب •
وقد عالج الفلسفة العالية ، وحقائق الحياة في دواوينه التسعة التي عدتها في
الفصل الأول من هذا الباب •

— ٢ —

الشعر جمال وجلال

ولا غنى للشعر عن أن يكون جمالا وجلالا ، وأن يكون بانيا أو
هادما ، وأن يكون هديا الى كمال أو ثورة على نقص •

لم أدر سرّ الشعر الا فتنة سير الشعوب تبينها تفصيلا:
الشعر فيه من الحياة رسالة أبدية لا تقبل التبديلا
ان كان من جبريل فيه نعمة أو كان فيه صور اسرافيل

— ٣ —

الشعر حياة وأمل

والصمت خير من شعر لا يبعث في النفس قوة الحياة ، ونضرة الأمل ،
ولا يحذو الناس الى المعالي ، ويحب اليهم الحياة العزيزة الكريمة •

كم بشعر العجّهم من سحر ولكن
منه سيف الذات ذو حدّ قليل
صمت طير الصبح أولى من غناء
ان سرى باللحن في الروض ذبول
ليس ضرباً ما يشق الطود ان لم
تَرَ منه عرش پرويز يميل^١

(١) اشارة الى قصة فرهاد الذي شق طريقا في الجبل كما اقترح كسرى برويز ثم لم يظهر
من برويز بمراحه - ضرب الكلم من ٩٢

لا. يجب الشاعر بشعر العجم على ما فيه من سحر وفن لما يرى فيه
من الترف ، والهمود ، والاشفاق من مشقات الحياة ، والتشاؤم .

يقول في ضرب كليم ٢

في غابة الشرق ناي " يبتغي نفسا
يا شاعر الشرق هل في صدرك النفس ؟
من كان في نفسه من رقة خور
فقل له من لون العجم يحترس
اناؤها من زجاج كان أو خزف
اطبع بخمرك سيفاً لمعه قبس
لم تبصر الشمس من دنيا يخال بها
مجد بغير الجلال المرء يثلث
طور جديد وبرق كل آونة
لا قرب الله للعشاق ما التمسوا

هذه الأبيات عنوانها الشاعر . فهو يريد شاعر الشرق مجاهدا لا يركن
الى الترف ، ويريد أن تكون معانيه لامعة قاطعة كالسيف مهما تكن ألفاظها
وصورها .

ويريد أن يكون الشاعر داعيا الى المجد ، والمجد لا ينال بغير الجلال
المرء ، والشعر عتدة هذا الجلال .

وكذلك يريد الشاعر سائرا بأماله الى غير نهاية ، ففي هذا السير
توحي الى المعاني السريّة ، ويرى كل حين للوحى طورا وبرقا . وخير
للشاعر ألا يظفر بمطلوبه حتى لا يقف به المسير :

طور جديد وبرق كل آونة لا قرب الله للعشاق ما التمسوا

ولهذا أيضا يدعو اقبال شعراء المسلمين الى أن يثولوا وجوههم شطر
البيداء حيث السعة والحرارة والرياح العاصف ، والى أن ينسبوا بسلمى
العرب في باديتها •

وسياتى ذكر هذا •

فاذا نفخ الشعر فى النفوس الحياة ، وبعث الانسان فهو وراثه النبوة
ان يكن فى الشعر بعث الآدمى " كان فى الشاعر ميراث النبى "

— ٤ —

أثر الشاعر فى أمته

يبين اقبال عن آرائه فى الشعر والشاعر فى مواضع كثيرة من شعره
أوفاهما وأبينها ما كتبه فى فصل من أسرار خودى عنوانه « اصلاح الآداب
الاسلامية » • يبين فى هذا الفصل مكانة الشاعر القوى وأثره فى الأمة
حياة وأملا وهداية وعملا • كما يبين أثر الشاعر الضعيف فى الأمة ، ترفا
وخمودا ويأسا وهلاكا •

وهذه ترجمة أبيات من هذا الفصل فيها وفاء بيان مذهب الشاعر
الفيلسوف محمد اقبال فى الشعر والشعراء :

طوره مجلى الجمال الباهر	جلوة الحسن ضمير الشاعر
زادت الفطرة سحرا رقيقته	مدت الحسن بحسن نظرته
ضاء خدء الورد من تلوينه	علم البلبل من تلحينه
ألف كون محدث فيه استتر	مضمّر فى خلقه بحر وبر
كم لحون ، وبكى لم يسمع	كم شقيق عنده لم يطلع
يخلق الحسن وفى القبح عيسى	فكره للبدر والنجم نجى

خَضِرٌ ، في ليله ماء الحياة
لطف في سيرنا حيلته
فمضى الركبان اثر الجرس
وسرت في روضنا نسمة
تنضّر الأكوان من ماء بكاه
وعلت في ركبنا نعمته
وحدا الناي بنا في الغلس^١
فسرت في زهرها نفحته

هذا الشاعر الحى الذى يبعث في الأمة الحياة • وشاعر آخر هو حادى
الهلاك ، ونذير الموت :

ويل قوم لهلاك طائره
تقبح الأشكال في مرآته
تذبل الأزهار منه قبل
يسلب السرو جميل الميكل
هو حوت نفسه كالأدمى
يسحر الركبان باللحن المبين
يسلب القلب ثباتا نغمه
يلبس النفع ثياب الضرر
سيل برق ما حوى نيسانه
سادر بالحق لا يعترف
نومت ألحائه يقظتنا

الى أن يقول :

لاح كالنای هزیلا صائحا شاکی الأقدار جهلا، نائحا الخ

ثم يقول بعد وصف الشاعر الفسل الخائر اليأس ، مبيّنا الطريقة المثلى
في الشعر :

(١) جرس القافلة ونای الحادى
(٢) يضمف الصقر الجارح فاذا هو كالحجلة .
(٣) في الاساطير أن بنات البحر تفعل هذا بالسفن .
(٤) الال السراب، أى بستانه سراب من اللون والرائحة .

صير في القول! ان تبغ النجاة
نير الفكر يقود العملا
من تفكر صالح في الأدب!
وسليمي العرب يا صاح اعشق
من رياض العجم جمعت الزهر
فاشربن حر الصحاري يا صديق
اسلمن رأسك يوما صدرها
كم وطئت الورد في طول المدى
فعلى رمل الصحاري المتضرم
صاح فيم النوح مثل البلبل؟
ابن عثا حيث لا تبني الأنوق
لتبني أهلا لاعصار الحياة

فاجعلن معياره نار الحياة
مثل برق قبل رعد جليلا
ارجعن يا صاح شطر العرب
أطلعن صبح الحجاز المشرق
وبروض الهند سرحت البصر
اشربن من تمرها الراح العتيق
والقن في حرها صرصرها
غاسلا كالورد خذا بالندي
أقد من يوما وغص في زمزم
والام العيش بين الظلل؟
تلتقي في رعو ووبروق
وتذيب النفس في نار الحياة

وفي فاتحة أسرار خودي يصف نفسه ويقول انه جديد غريب في هذا
العالم ، الى أن يقول واصفا مذهبه في الاعراب عما في النفس في صراحة
وجرأة وقدرة . وهو في الحق يصف المثل الأعلى للشاعر كما يتصوره :

أنا في يأس من الصحب القديم
بحر صبحي قطرة لا تزخر
من وجود غير هذا لي غناء
كم تجلتي شاعر بعد الحمام
وجهه من ظلمة الموت سفر
كم بهذا السهب مرت قافلة
غير أني عاشق ديني النواح
أنا لحن كل عنه الوتر

مشعل طوري ليغشاه كليم
قطرتي كاليم فيه صرصر
ولركب غير هذا لي حذاء
يوقظ الأعين فينا وينام
ونما من قبره مثل الزهر
مثل سير النوق رهوا سابلة
ثورة المحشر متى في الصياح
لا أبالي أن عودي يكسر .

(١) يعني أن كثيرا من الشعراء لم يقدرهم الناس قدرهم ، ويهدتوا بهديهم الا بعد الموت .
وكذلك هو . وقد صدقت قوله مكاتبة اليوم بين مسلمي باكستان والهند

ويقول في رسالة المشرق • وهو اعراب عن مذهبه في الشعر والشاعر :
 تغنى طائر سحرا طويلا فأبدع شدوه لنا وقيلًا :
 أبين عمًا بصدرك لا تدعه غناء أو أنينا أو عويلا
 ويقول :

أنا في الروض منفرد غريب على غصني أنوح مع الرياح
 فدعني بارقيق القلب وابعد فأن دمي ليقطر في نواحي
 هذا مذهب اقبال في الشعر ، ألتقته من أبيات في دواوينه وكلمات
 مأثورة عنه • وهى جملة وراءها تفصيل ، وعنوان يتلوه ان شاء الله بيان وفير •

الفصل الرابع

شعر اقبال

معانيه وصوره وأساليبه

— ١ —

وصف اقبال نفسه

يقول الشاعر الملهم في فاتحة ديوان أسرار خودى :

من وجود غير هذا لى غناء	ولركب غير هذا لى حذاء ^١
أنا لحن كلِّ عنه الوتر	لا أبالى أن عودى يكسر
لا تعى لجئى هذى الأنهر	لا تعى موجى الا أبحر
كم بروق نائمات فى الجنان	ضاقت اليد لديها والقنان
ان تكن صحراء فاطلب لجئى	أو تكن سيناء فاقبِسْ شعلتى
قد وهبت الورد من عين الحياة	وحببت السر من عين الحياة ^٢
أشعل الذرات من لحنى التهاب	فهى نور طائر يدعى الحباب ^٣
ماثا ذا السرِّ غيرى فى البشر	لم يشقب فاطمٌ مثلى الدرر

أقبلن ان تبغ عيش الخالدين

أقبلن ان تبغ ملك العالمين

(١) هذه أبيات مختارة وليست متوالية فى الديوان •

(٢) القافية مردوفة وعين الاولى عين الماء والثانية بمعنى نفس الشيء •

(٣) الحباب ذبابة ترى بالليل مضيئة • وهى عند اقبال مثال الحياة القوية التى تضى لنفسها • يكثر ذكرها فى شعره • وهنا يقول ان نار العانى أحييت الذرة فصارت الطائر الذى يسمى حبابا •

ويُكثر اقبال في شعره أنه عالم بالسر ، وأنه كشفت له أسرار الحياة •

ولا ريب أنه شاعر ملهم ، شعر في قرارة نفسه أنه أدرك من أسرار الحياة ما لم يدرك غيره ، وأنه يُبلغ هذا العالم رسالة يؤمن بها اليوم أو غدا ، وأنه شاعر الغد وصوت المستقبل •

وكثيرا ما يقول : ان في نفسه معاني لا تعيها الكلمات ، وفي قلبه أسرار ليس لها نجى • وقد سأل الله أن يهبه نجيا يعي عنه أو يسلب قلبه النار التي تضطرم فيه •

وفي رسالة المشرق هذه الأبيات بعنوان « الوردة الأولى »

وردة ظهرت في الروضة قبل غيرها ، فهي تنظر فلا تجد الا نفسها ، فتلتبس نجيا في صورتها التي يمثلها الماء • وتقول الوردة ان على صفحاتها رسالة خطها القلم الذي صور هذه الحياة ، وأن قلبها في الماضي ، وعينها الى اليوم ، وأملها في الغد • فهي صلة الأزمنة الثلاثة •

واليك الأبيات :

لا أرى في الرياض لى من قريع	أنا أولى زهور هذا الربيع
أبتغى في الغدير صورة نفسى	لأرى وجه مؤنس ، لى سميع
في سطورى رسالة من يراع	خط سطر الحياة في ترصيع
أميس قلبى، وعبرة اليوم عيني	وغدى مئيتى وكل بديع

وأنا النجم خلقتة الثريا

نسج الطين ثوب ورد عليا

هكذا تحدث اقبال عن نفسه فهل وفي شعر اقبال بهذه الدعوى ؟ هل حقق هذا الأمل ؟

لا ريب أن اقبالا أمدّ الانسان عقله وقلبه ويده ، بزاد من الفكر
والعشق والأمل والعمل ، أفاضه شعرا مختلفة طرائقه رائعة صوّره في
تسعة دواوين •

— ٢ —

موضوع شعر اقبال

موضوع شعره الحياة والعالم ، يبيّن فيهما الحقائق ، ويكشف الأسرار ،
ويوقظ الانسان ويدعوه الى قدر نفسه ، وتقوية ذاته ، ويناديه أنك أعلى
الخلقة وأن العالم كله مسخر لك • وامامه في هذه الدعوة القرآن الكريم
كما في الآية :

« ولقد كرّمنا بنى آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

والآية : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه »
وآيات أخرى كثيرة •
يقول مخاطبا الانسان :

ولك الوقت والتصرف فيه ليس يا غرّ ! للنجوم غناء

أين منك الأفلاك ؟ انك حرّ وهى قهرّ ذهابها والاياب

والجهاد في هذا العالم لتذليل الطبيعة وتسخيرها هو قوة الذات وورقيتها •
والانسان الحرّ أو المؤمن ، يسخر هذه الكائنات حتى لا تكون أمامه
شيئا ، والانسان العبد ، أو غير المؤمن ، يضل في الكائنات ويذل لها •
ففرق ما بين المؤمن والكافر في رأى اقبال أن المؤمن يسخر هذا العالم
ويقتحم عقباته الى مقاصده العليا ، لا يحار في الكائنات ولا يضل ، ولا
يعيا بتسخيرها ولا يذل •

انما الكافر حيران له الأفاق ثيه
وأرى المؤمن كونا تاهت الآفاق فيه

وفرق آخر أن المؤمن أو الحرّ ، خلاق مبتكر دائم الأمل والعمل
والكافر أو العبد عاجز لا يتكر ولا يجدد

يقول في أسرار خودي :

فكرة العبد حصول الحاصل ليس في أفكاره من طائل
في مقام من همود راكد نوحه ليلا وصحبا واحد
ومن الحر جديد الخلقة كل حين وجديد النعمة

وفرق آخر أن العبد يعتلّ بالقضاء والقدر ، ويرتبك في خيوط الزمان
أو ينسج شبكة الزمان على نفسه ، والحرّ مشير على القضاء والقدر
وناسج نفسه على الزمان •

نكتة كالدر خذها رائقة بين حرّ ورقيق فارقه
حار عبد في فيافي الزمن حيّر الأفاق قلب المؤمن
ينسج العبد عليه كفنا من صباح ومساء ، مذنعا
وترى الحرّ على الترب اعتلى ناسحا همته فوق الملا
قيّد العبد صباح ومساء وثوى في فمه لفظ «القضاء»
لكن الحرّ مشير للقدر صورت كفاه أحداث الدهر

ويرى اقبال أن المؤمن معيار الخير والشر في الدنيا والآخرة وأنه يبلغ
من المكانة أن يسأله ربّه ماذا يرضيك ؟ •

يقول في ضرب الكلم في الأبيات التي أولها :

(١) أسرار خودي •

اُنْ لِلْمُؤْمِنِ الْعَظِيمِ الشَّانُ كُلُّ حِينٍ جَدِيدُهُ شَانٌ وَأُنْ :
 « لست تدري بسرُّه فتراه قارئاً وهو صورة القرآن
 فيه عزم على القضاء دليل وهو في العالمين كالميزان
 ليله والنهار لحنٌ حياة في انسجام كسورة الرحمن »

الانسان في هذا العالم مدرك مفكر حرّ • والخلائق مسخرة مجبرة ،
 يعلى اقبال قدر الانسان ، ويبين فداحة الأعباء التي يحتملها ، ويمدّه من
 القوة والأمل والعزم بما يؤهله لحمل هذه الأعباء الجسام •

انظر الى قصيدته التي عنوانها « وحدة » في ديوان رسالة المشرق لتري
 الانسان يأتى الى البحار مسائلاً والى الجبال ويرتقى الى البدر ، ثم ينتهى
 الى الله ، يسأل أهو وحده صاحب القلب في هذه الخليقة يحمل الأمانة التي
 أشفقت منها السموات والأرض والجبال ؟

فلا يردّ البحر والجبل والقمر أسئلته ، ولا يجيبه الله تعالى الا
 بالابتسام • ولعله ابتسام الاعجاب بهذا المخلوق الكبير •
 وستأتى القصيدة في التمثيل لشعر اقبال •

هذه أصول فلسفة اقبال ، وعمدة آرائه ، فالانسان ذاته وقوته وقدرته
 وحرّيته وجهاده ، والجماعة التي تتألف من هذا الانسان ، خصائصها
 ومزاياها ، ومسيرها وغايتها ، وقوتها التي لا تحدّ ، وعزمها الذي لا يبعد
 عليه أمد ، كل هؤلاء موضوع شعر اقبال • صوّره فأحسن تصويره ،
 وبثه في أفكار شتى وصور مختلفة ، جهد الفكر الفيسّاض ، والقلب
 الجيّاش والشعر المتدفق ، والبيان الساحر •

والعرب الأولون الذي انتشروا بالاسلام في أقطار الأرض يدعون الى
 توحيد الله وتوحيد الأمم ، لا تصدّ عزمهم الصعاب والأهوال ، ولا تفرّق

همتهم بين دان وقاص ، ولا يبالون الموت في سبيل الحق — هؤلاء العرب هم مكلّ اقبال في هذه الحياة ، وتصديق فلسفته فيها •

ذكرهم في شعره تصريحاً وتلميحاً ، ووفّاهم حقّهم من الاعجاب ، وأبان عن نواحي العظمة في ما أثرهم • وأبان عن حبه واعجابه واعظامه في وصف آثارهم كما في القصيدة الخالدة التي وصف فيها مسجد قرطبة •

— ٣ —

ضروب هذا الشعر

لهذا الشعر الفياض الذي يسع السموات والأرض ، ويعلو الى ما وراءها ، طرائق مختلفة في سياق الموضوع ، وفي أشكام المنظومات والأوزان والقوافي •

أ — فيه القصص • وأعظم قصصه (جاويد نامه) ، التي قصّ فيها رحلته في الأفلاك ، كما ذكرت في الفصل الأول من هذا الباب • وقصص أخرى قصيرة متفرقة في دواوينه مثل (مجلس شوري ابليس) في ديوان أرمنان حجاز ، و (نينين في حضرة الخالق) في ديوان بال جبريل و (خروج آدم من الجنة) في الديوان نفسه • والقصص في شعر اقبال ، كالقصص في شعر جلال الدين الرومي ، يتوسل به الى تبين مقاصد الشعر ، لا يعنى فيه الشاعر بأكثر من الحوار بين من يتكلم على ألسنتهم من أناسي القصّة •

ب — ومن شعر اقبال الشعر التعليمي ، يقصد فيه الى تعليم فلسفته ومذهبه في نظام شعري تمتزج فيه الفلسفة والشعر • وأبينّ هذا

الشعر المنظومتان اللتان عبّرتهما عبرا في الكلام على فلسفة
اقبال • ومثلهما منظومات قصيرة في دواوينه الأخرى ، منها
وصاياه الى ابنه جاويد وناشئة هذا الجيل •

ج - والوصف في شعر هذا الشاعر العظيم كثير ، فيه وصف الطبيعة
ووصف الأبنية كما وصف جامع قرطبة ، وتاج محل • والوصف
المعنوى يغلب فيه على الوصف الحسى ، يشرع في وصف الصورة
الحسية فتنتفتح له عن معان عالية من الفلسفة والشعر يفيض فيها •
لا تشغل الصور الحسية هذا الشاعر الروحي كثيرا فأنما تثير
في نفسه معانى ينطلق فيها ، وانما هى باب يجوزه الى عالم غير
محدود •

د - وفي شعر اقبال ضروب الشعر الأخرى التى تسمى فى اصطلاح
الأدباء الشعر الغنائى أو الوجدانى • وهى فنون شتى فى معانيها
ومنها الضرب الذى كلف به شعراء الفرس ومن تبعهم وسموه
غزلا • والغزل أبيات قليلة ، بين سبعة واثنى عشر فى الغالب ، ينظم
فيها الشاعر خواطر يجمعها موضوع أو لا يجمعها • وهذه الفنون
موصولة فى معانيها بالأقسام الأخرى التى ذكرتها آنفا ؛ وان فرق
بينها هذا التقسيم الصوري • ومن ذا يستطيع تقسيم أمواج
البحر بخطوط وحدود •

— ٤ —

الأوزان والقوافى

وأما أوزان شعره فهى الأوزان الفارسية كلها • هى أوزان أخذها شعراء
الفرس عن الأوزان العربية • وتصرفوا فيها وزادوا عليها • وليس هذا

موضع الكلام في أوزان الشعر الفارسي واتصالها بالأوزان العربية
وسينر شعراء التركية والأردية عليها ، واحتذائهم إياها •

والقوافي هي القوافي الفارسية كذلك • ويكثر فيها الرّكف وهو أن
تكرر كلمة في آخر كل بيت وتلغى في التقفية • ويلتزم روي قبلها • وقد
قدمت أمثلة منها في بعض ما ترجمت من شعر اقبال •

وأما أنواع القوافي ففيها الرباعيات وهي كثيرة في دواوين الشاعر •
ومنها الموشحات على النظام المعروف في الشعر العربي • والشاعر يفتن
في القوافي الموشحة ، ويصرف الوزن معها بالطول والقصر • وسيجد
القارئ مثالا منها من بعد •

ومن شعر اقبال المثنويات • وهي منظومات على القافية المزدوجة وعلى
هذه القافية نظم دواوين الأسرار والرموز وجاويد نامه • وكذلك نظم فيها
كثيرا من منظوماته في الدواوين الأخرى •

ومن منظومات اقبال ضروب أخرى على التقفية المعروفة في القصائد
العربية •

هذه نظرة عاجلة في ضروب شعر اقبال من حيث السياق والوزن
والقافية •

ولم أرد فيها التفصيل ، لأنني أكتب للقارئ العربي • وليس أمامه شعر
الشاعر في لغته فأطيل له البيان في ضروب الشعر موضوعه وأشكاله
وأوزانه وقوافيه •

— • —

اللغة والأسلوب

وهذا موضوع لا يعنى القارئ العربي كثيرا • فهو لا يقرأ شعر اقبال في

لغتيه الأردية والفارسية ولكن يقرأ ترجمة عربية لبعض دواوينه
والترجمة ان حفظت المعنى والصورة لا تحفظ اللغة والأسلوب

وحسبى في التعريف بلغة اقبال وعبارته وأسلوبه هذه الكلمات :

كتب اقبال باللغتين الأردية والفارسية • ولغته الأولى البنجابية ليست
لغة علم وأدب ، والمكتوب فيها قليل من أدب العامة • فاللغة الأردية هي
لغته ولغة الأدباء والمتأدين من مسلمى الهند •

ولغته وأسلوبه فيما أنشأ بالأردية ، يبلغان في الأصالة والصحة والقوة
ما بلغه أكبر شعراء الأردية منذ نشأ الشعر في هذه اللغة الى أن نبغ اقبال •

والحكم في لغة الشعر وعبارته وأسلوبه يرد الى ذوق أهل اللغة • ولا
يعتد فيه برأى دارسى اللغة من غير أهلها وان بلغوا الغاية في علمها وفقهاها،
ودربوا على أساليبها في شعرها وثرها • وأدباء الأردية يرون أن شعر
اقبال في جملته يبلغ الذروة من هذه اللغة • ويسامى شعر أعظم شعرائها ،
ثم يفوتهم بمعانيه التى لا تحدّ وفلسفته التى استولى فيها على الأمد •



وأما منظومات اقبال الفارسية فقد أخذ عليها أدباء الفرس مأخذ أجملها
ثم أذكر رأيي فيها :

عُرفت اللغة الفارسية في الهند منذ فتح السلطان محمود الغزنوى
شمالى الهند في القرن الرابع الهجرى ، وبلغت مكانة عالية أيام المغول
فكانت لغة الدولة ولغة العلم والأدب • وقد اجتمع حول جلال الدين أكبر
أحد ملوكهم زهاء خمسين شاعرا كلهم ينظم بالفارسية ، منهم من نبغ في
الهند ومنهم من وفد اليها من ايران •

وقد ضعف أمرها بعد اضمحلال الدولة المغولية ولكنها بقيت حتى
عصرنا يعرفها المثقفون ، وينظم بها بعض الشعراء ويكتب بها بعض الكتاب •
وأعظم من نظم فيها في هذا العصر محمد اقبال •

وقد أنشأ فيها ستة من دواوينه التسعة ، كما بينت قبلا •

وأخذ بعض أدباء الفرس على الشاعر النابغ هذه المآخذ :

أ — أخذ عليه أن لغته وأسلوبه ليسا مطابقين للغة الشعر الفارسي
العصري وأسلوبه •

ب — وأنه يستعمل أحيانا عبارات تخالف الفصيح المأنوس في الفارسية

ج — وأن له تراكيب لم تؤثر في الأدب الفارسي من قبل •

وقد أجاب المعترضين ملك الشعراء بهار رحمه الله أحد شعراء الفرس ،
ومجتبى المينوى الذى ألف كتابا عن الشاعر اسمه « اقبال اللاهورى »
وقد عدد المؤلف في هذا الكتاب ما أخذ على اقبال وأجاب عليه •

ويبدو أن لهذا الاعتراض سببين الأول أن اقبالا لم ينشأ في بيئة
فارسية • فالفارسية ليست لغته ، ولكن اكتسبها بالدرس ، وطول النظر
في دواوين شعرائها • فاستوى عنده ما استعمله شعراء الفرس القدماء
وما استعمله المعاصرون منهم • فرأى بعض النقاد في بعض شعره مخالفة
للغة العصر وأسلوبه •

والثانى أن اللغة الفارسية استوطنت الهند قرونا ، ونشأ فيها أدباء
ونبع شعراء لهم بيئتهم وأحوالهم • وهى تخالف بيئة شعراء ايران وأحوالهم
فنشأت في الهند لغة أدبية تخالف مخالفة ما لغة الأدب في ايران •
فأما السبب الأول فلا حرج على اقبال أن يأخذ من كبار شعراء الفارسية
في كل العصور • ويسعه ما وسع هؤلاء الشعراء • ولا يضره ألا يكون

شعره مسائرا الشعر الفارسي العصري كل المسائرة في لفظه وتركيبه
وسياقه •

وأما السبب الثاني ففيه اعتراض باصطلاح بيئة على اصطلاح بيئة
أخرى • وقديماً قال علماؤنا : لا مشاحة في الاصطلاح •

وأما أن لشاعرنا العظيم تركيبات لم تؤثر في الأدب الفارسي فقصاره
أنه ابتكر عبارات في الفارسية • والرجل له فلسفة مبتكرة ، وآراء مبتدعة
روئض لها الشعر وذلكله • فلا عجب أن يضع ألفاظا مفردة لمعان محدثة أو
يحرّفها عن معانيها قليلا ، ولا غرو أن يصوغ تركيبا أو تعبيرا بدعا لمعانيه
المبتدعة •

ولأقبال الفخر أنه ابتدع وجدّد في المعاني والألفاظ والعبارات • وزيده
فخرا أنه نقل ألفاظا من معان اباحية مبتذلة تتصل بالخمر والسكر واللهو
والخلاعة وما إليها من الألفاظ التي شاعت في الأدب الفارسي فهوّت به ،
نقل هذه الألفاظ الى معان روحية عالية واسعة لا تحدّها حدود المادة •
كما ردت الى معانيها الأولى ألفاظا تجوّز فيها الشعراء فلبسوا على الناس
مذاهبهم كالكفر والدين والدير والحرم والكعبة •

وفضل اقبال الأعظم ، وفخره الأكبر ، أنه أودع اللغة الفارسية
هذه الثروة من الفلسفة العالية ، والآراء السديدة ، وذلكلها للشعر ،
ويسرّها للمتأدّين • وما أعظم حظ اللغة التي يختارها اقبال لشعره • فهل
يؤخذ على مثل هذا الفيلسوف الشاعر أنه خرج بألفاظ عن معانيها ، أو
استعمل عبارات غير مألوفة في لغة العصر ، أو اخترع تركيبات غير مأنوسة
في الأدب الفارسي • وهل عمل النابغين الا الخلق والاختراع والتجديد
والتصحيح في الأفكار العامة ثم في المعاني الجزئية والألفاظ والأساليب •

ان من يعيبون الشاعر العظيم بهذا يفضّون عن جناته وعيونه ،
ويصدفون عن أزهاره ورياحينه ، ولا يبصرون الا شوكة في غصن ورد أو

ورقة ذابلة في شجرة ناضرة ، كالذي نظر في ترجمة رسالة المشرق وضرب
الكليم الى العربية فعبس وبسر ، وأعرض عن النظم الرائق ، والسبك
الرائع ، وذهب يلتمس رباعية جعلتها مثالا للقافية المردوفة في اللغة الفارسية
وأنا أعلم انها غير مألوفة في العربية . وقال هذه لا تمثل نفس اقبال
وكأنني لم أترجم من شعر الشاعر الا هذه الرباعية . وما للانسان حيلة فيمن
يرون كلف البدر ولا يصرون نوره ، والذين يعيرون الجواد المطهم
الأشهب بشعرات سود في ذيله ولا يعجبون بشيء من محاسنه . وليت شعري
متى يقرأ المتأدبون بأدب الاسلام قول القرآن الكريم : « ولا تبخسوا
الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين » .
لقد صدق اقبال حين قال في رسالة المشرق :

رددت العجم فتينا بلحني وراج متاعهم من بعد خسر
وكانوا هائمين بكل واد وقافلة نظمتهم بشعري

روح العجم من نفسى شرار قرعت لهم بأجراس فساروا
وعاليت الحذاء لهم كعرفي تباطأ محمل ونأت ديار^١

على أن اقبالا يقول في مقدمة أسرار خودي :
ما قصدت الشعر من هذا الكليم نحت أصنام وتعظيم الصنم
أنا هندي شأني الفارسي وهلال أنا ذو جام خلى

يقول انه لم يقصد في هذا الديوان الى الشعر صورته وأخيلته ومبالغاته
وانه لا يحكم الفارسية ولا يزال هلالا كأسه خالية من الشراب .

وهذا تواضع اقبال . وللأدب رأيه في الاعتراف بتبريزه فيما نظم من
شعر أردى وفارسي .

(١) يشير الى بيت للشاعر عوفي الشيرازي معناه : ارفع صوتك بالحذاء حين ترى تباطؤ القافلة

الفصل الخامس

أمثلة من شعر محمد اقبال

أقتصر في التمثيل على ما ترجمتُ نظماً من دواوينه • والذي ترجمت
أربعة دواوين : رسالة المشرق وضرب الكلم ، والأسرار والرموز •

ولا جرم أنه تمثيل ناقص لا يستوعب دواوين الشاعر ولكنه يفى
بتعريف القارئ أفكار الشاعر ومذهبه في الشعر • وكان يسيراً على
أن أعرض أمثلة منشورة من الدواوين التي لم أترجمها أو أنظم
أبياتاً قليلة منها للتمثيل ، ولكن الوقت لم يتسع ، ورأيت في الدواوين
الأربعة غنية ، الى أن تترجم الدواوين الأخرى ، على أنى نقلت في
الكلام على فلسفته وفي الكلام على مذهب في الفنون ، فقرات منشورة من
الدواوين الأخرى •



يقول في شقائق الطور ، وهي الرباعيات من ديوان رسالة المشرق :

له نقش يجدد كل حين فلا تبقى الحياة على غرار
فأن صورت يومك مثل أمس فما يحوى ترابك من شرار

وفي الرباعية لمحة الى مذهب في التجديد المستمر ، والجهاد الدائب في
هذه الحياة •

ومن قوله في غشيان الأهوال ، وركوب الأخطار :

دع الشيطان لا تركز اليها ضعيف" عندها جرس الحياة
عليك البحر ، صارع فيه موجا حياة الخلد في نصب تواتي

ومن قوله في حرية الانسان :

بسلسلة القضاء ربطت رجلا وفي سعة العوالم ضقت حالا
فقم ، ان كنت في ريب ، وأقدم تجد للرجل في الدنيا مجالا

ويقول في الاستقلال في الفكر والابتكار في العمل :

طريقك فأنحتنها في كفاح طريق سواك مسلكتها عذاب
فأن أبدعت في عمل فرى ، وان يك مأثما ، فلك الثواب

تحدث لخلوتي طيني ومائي وبثوعد بين أفلاط وبينى
فلم أستجد يوما عين غیری ولم أر عالمي إلا بعيني

ويقول عن نفسه ويعنى كل شاعر ينفث في شعره نار الحياة ونورها :

أنا في الروض منفرد غريب على غصني أنوح مع الرياح
فدعني يارقيق القلب وابعده فأن دمي ليرشح في ثواحي

فأبلغ شاعر الألوان عنى : لهيئك كالشقائق لا يضير
فنفسك لا تذيب بحر نار ولا ليلا لمحزون تنير

ويقول في ولوع الشاعر بالجمال ، واعرابه عن مكنوناته :

أنا في المرج حديث الطيور ومقول كل برعوم صغير
فأسلم للصبا تربي بموتي فمالى غير طوف بالزهور

ويقول في تطور العالم وتكمله ، وأنه لا يزال يتهيأ للكمال :

لنا كون لأزميل ونحت يقبله صاحك والمساء
مثال من تراب لم يكمّل يسويّه بمبرده القضاء

(1) فيه حمرة النار ولكن بارد كالشقائق تحسبها ملتهبة وهي زهر .

ويقول فيما أثار بروج الشرق من الوجد والعزم في شعره :

نفتت النار من روحى نفتت بصدر الشرق قلبا قد بعثت
وصير طينكه لهبا نواحي كبرق في سجاياه انعتت

ويقول في نزوع الخليقة الى الحياة ، وفي لذة القلق والاحترق فيها •
والشاعر يكبر الحياة ويعلى شأنها ويدعو الى قوتها ودوامها :

تقول فراشة " من قبل خلق : أنيلنى لمحّة قلق الحياة
رمادى فاذرّه صبحا ولكن أذقنى ليلة حرق الحياة

ويقول في الهم الذى يعتلج في قلبه من أجل المسلمين ، وتأثيره فبهم :

قلوب المسلمين قيسن نارى ودمعى من عبونهم هتوز
بروحى محشر قد غاب عنهم فلم تر ما رأيت ، لهم عيون

وانظر وصفه الربيع في رسالة المشرق :

هلمّ فأن سحاب الربيع يخيم فوق الربى والوهاد

وشدو العنادل فى كل واد
وسرب القطا سادر فى تهادى
على حافة النهر جدلى شوادى
شقيق وورد ضحوك ينادى
فطرقك سرّح بهذا المراد

هلمّ فأن سحاب الربيع يخيم فوق الربى والوهاد

هلم فملء الربى والسهول : قوافل أزهارها والورود
نسيم الريح على كل عود
وللطير ابداعها في التشيد
ومزقت الجبب حمراً الخدود
جنى الحسن ناصراً زهراً نضيد
وللعشق ابداع غم جديد

هلم فملء الربى والسهول : قوافل أزهارها والورود

دع الدُّور واطلب فسيح البرا رى وانظر الى صفحات الجمال
على خافة الماء دون ملال
تأمل ترقرق ماء زلال
وحَدِّق الى نرجس ذى دلال
بنيات نيسان ذات اختيال
وقبل لها أعينا كاللآلى
دع الدُّور واطلب فسيح البرا رى وانظر الى صفحات الجمال
ويختم الموشح بهذه الأبيات :

ثرى المرج صرّح فى هيجه بما أضمرت مهجة الكائنات
فناء الصفات وكون الصفات
وما أبدت الذات من جلوات
وما خلته من معانى الحياة
وما خلته من معانى الممات
فليس له ها هنا من ثبات
ثرى المرج صرّح فى هيجه بما أضمرت مهجة الكائنات

(١) أى شقائق النعمان .

وهكذا ينتقل من الوصف الحسى الى المعانى التى نظر اليها من وراء
هذه المحسات

واقراً هذه الأبيات التى تصوّر مذهبه فى الحياة : الفلسفة بغير قلب
والفكر بغير عمل موت ، وينبوع الحياة الجد والكفاح
وعنوان الأبيات :

الأرضة

سمعت بمكتبى ليلة يناجى الفراشة سوس الكتاب :
يقول مررت بكتب ابن سينا وتقبّلت فى كتب الفارابى
ولم أدر حكمة هذه الحياة وما زلت من ظلمتى فى حجاب

تجيب الفراشة فى حرقة أرى نكتة لا تثرى فى كتاب :

رأيت الكفاح يُعِدّ الحياة
رأيت الكفاح يُمِدّ الحياة

واليراعة فى شعر اقبال صورة الحياة القوية فهى تطير بجناحيها ، وتضىء
لنفسها لا تستجدى غيرها نورا ، كما يقول على لسانها :

ولا أعشوا الى نيران غيرى كما يهفو الفراش الى الحريق
اذا حلك الظلام كعين ظمى أنرت بنار أضلاعى طريقى

وهذه أبيات من منظومة فى رسالة المشرق عنوانها :

اليراعة :

وذرة حقيرة قد جمعت قواها
كأنها فراشة من حرق تصلاها

قد نورت دجها

فهي آية خلقت وانعقدت شرارا^١
من حرقة في قلبها تحولت تضارا

وبصرا نظتبارا

فراشة في قلق تطير كل ناحيه
على اللهب رفرت حتى كأنه هيه

« أنا » و « أنت » قالية^٢

يا مشعلا للطير في معتكر الظلام
ما حرقة أحسستها فأنت في هيام؟

حرارة الأقدام

فالجد والاقدام طارا بالذرة وحولها نارا ونورا •



ولا أجد بدءا من اثبات أبيات في العشق لها مشابه في شعره • والعشق
في فلسفة اقبال هو الحياة بل نار الحياة • يذكره في مقابل العقل والعلم •
وهما بدونه عجز وحيرة وجبن •

فكري قد أجد كل سير وطاف حول حرم ودير
عدوت للطلاب في البراري مرتديا بالنقع كالاعصار

(١) الآية الشعاع كأنها شعاع انفصل من الشمس فانعقد قصار شرارا •

(٢) تبغى الاتحاد وتقلّي الانفصال الذي يكون فيه متكلم ومخاطب • أنا وانت •

بغير خضر أبتغى المنازل^١ يخمل رحلى للخيال كاهل
تطلب راحاً كأسى الخطيب كالصبح من شبابه النسيم^٢
منطويا كالموج في البحار حيران كالاعصار في الصحارى

هذه الأبيات تصوّر كدّ العقل وسعيه في طلب الحقيقة دون جدوى
وفى الأبيات الآتية يصوّر فيض العشق في نفس هذا الطالب ، وفتح له
مغلق الحياة .

في الأبيات الآتية من القصيدة يقول ان العشق فاض بقلبه فأيقظ
وجدانه ، ويسّر له كل عسير ، وحلّ له كل عقدة ، ورفع له عليا
الدرجات .

عشقك فاض بغتة بقلبي وحلّ كل عقدة في لبّي
عرفنى الوجود والفناء فصار ديري حرماً وضّاء
على حصيدى مرّ كالبروق عرفنى لذّة الحريق^٣
صعقت منه وسلبت حسّي فتصلت من نفسى مثل العكس^٤
رفعت للعرش المعلّى ثرى بالسّر قد أفشيت لقلبي
وبلغت سفينتى مرساها وفاض قبحى رونقا وتاها
عندى حديث العشق لا سواه لا أقبل الملام فى بكواه

غنيت عن ومض العلوم . حسبى

دمعى ووجدى وخفوق قلبى

وهذه قصيدة الوحدة التى يصوّر فيها الشاعر انفراد الانسان فى العالم
بالعقل والوجدان ، واحتماله الآلام . وأنه لا يجد نجياً بين هذه الخلائق .
كما فى القرآن الكريم :

(١) بغير دليل ، والخضر دل اسكندر فى الظلمات كما فى الاساطير .

(٢) كأسه تطلب الخمر وهى محطومة لا تمسكه ، كما يريد الصبح ان يحوى الاشياء بشبكة
من النسيم .

(٣) أحرق ما جمع من علم وفكر كما يحرق البرق الحصيد وعرفه لذة الاحتراق .

(٤) العكس الصورة . واللفظ فى الاصل . وفى ايران وبعض البلاد العربية يقال للمصورة: عكاس

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الانسان • انه كان ظلوما جهولا »

قد قلت للبحر يوما	في موجه المتعالى :
أراك دائب سعى	فما تكن يبال ؟
كم قد حويت بصدر	من لامعات اللآلى
أفيك مثلى صدر	بجوهر القلب حالى

فصدت عنتى بجزر

ولم يرد سؤالى

وقلت للطود يوما	يا خاليا من غناء !
أنال سمعك صوت	من زفرة وبكاء ؟
ان كنت تحوى عقيقا	فيه عروق دماء
فواسنى بحديث	انى جليف شقاء

فصدت عنتى بصمت

ولم يرد سؤالى

جددت فى السير حتى	أتيت بدر السماء
فقلت : يا نضو سير	حتام ذرع الفضاء ؟
الأرض مرج زهور	من نورك اللآلاء
أخلف نورك قلب	فى حرقة وغناء ؟

رأى الكواكب تزنو

فلم يرد سؤالى

وقلت لله ربى	من بعد طوف البرية :
أما بدنياك هذى	من ذرة بنى خفيه ؟

أَكَلْتُ طِينِي قَلْبٌ وَذِي الْبَرَايَا خَلِيشُهُ
طَابَتْ مَرُوجٌ ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ بِشَدْوَى حَرِيَّتِهِ

أَجَابَنِي بِابْتِسَامٍ
وَلَمْ يَرُدَّ سَوْأَلِي

هذه حال الانسان في العالم لا يجد شريكا له بين الخلائق يناجيه
ويواسيه • والله تعالى حجب عنه الأسرار ، ووكله بالكشف عنها •

وقصيدة الحور والشاعر التي يعارض بها الشاعر الألماني جوته ،
تصور مذهب اقبال في الأمل الدائم ، والجدة الدائب والسير المستمر في
هذه الحياة •

الحور :

لا الخمر يوما تطئيك ولا الينا أنت ناظر
عجب لنا من شاعر بهوى الأحية غير شاعر
من حرّ أنفاس الرجاء وحرقة الطلب المثار
نفس " تذيب بلوعة وتغزل يشجو المزاهر
وخلقت بالألحان دنياك العجيبة خلق شاعر
تبدو بها أرَم كما يبدو لعين سحر ساحر
الشاعر :

ماذا أقول وفطرتي لا ترنّض دعة المنازل
قلبي على قلق كما تهفو الصباح حول الخُمائل
فاذا نظرت الى جميل فأتن حلو الشمائل
خفق الفؤاد الى الذي يعلوه حسنا في المحافل
فمن الشرار الى النجوم الى الشمس رقتي آمل
انى ليهلكنى القمار ، فما أعوج على المراحل
واذا شربت من الربيع الكاس تسرى في المفاصل

أشدو بشعر محدث وريعى الأتى أغازل
 طلبى النهاية فى مدى لا ينتهى فيه المسائل
 لاصابر نظرى ولا قلبى عن الآمال غافل

هذه المعانى صورها الشاعر مئات الصور فى دواوينه • وقدمت فى تلخيص أسرار خودى فى باب الفلسفة من هذا الكتاب أبياتا وافية فى هذا الشأن •

وهذا مثال من قصائد فى رسالة المشرق تسمى الخمر الباقية ، وهى من الضرب الذى يسمى غزلا فى اصطلاح الشعر الفارسى ، ويغلب فيها التصوف ، وغموض المعنى ، ولا يلزم فيها وحدة الموضوع •

عقلنا نحت ربّا كلّ حين فهو من قيد الى قيد ، رهين
 ارفع الستر جهارا لا تبّل ليس فى حيّك غيرى ذو حنين
 أنا من عيني غيور^١ ناسج نظراتى لك سترا فى العيون
 بسمة خلّس ودمع وديّنا ليس فى الحب سواها من يمين
 حبذا العشق فقى يوم النوى زاد باللوعة عهدا لا يمين^٢
 أيها الطائر من قلبى اقبس لتزيد النار فى هذا الأنين

سادن الكعبة لا تأذن له

فلاقبال اله "كلّ حين

وهذه أخرى من الخمر الباقية :

فى ذلك الحفل سؤالى عن محرم بى حقيق
 لذاك أزجى غنائى وفيه لحن الصديق^٢
 يث قلبى حديثا بمقلتى وبموقى
 فى خلوة كلّ لفظ فيها كستر صفيق
 مطهر^١ نظراتى بدمع عين طليق

(١) لا يكذب • يعنى ان لوعة العاشق يوم الفراق عهد اخر فى الحب لا يكذب •

(٢) فيه اللحن الذى يعيه صديقه الذى يطلبه •

من أجل نظرة وجد
كالكم كل أموري
لكن الى ضوء شمس
الى أن يقول :

لوجهك المرموق
لعقدة ولضيق^١
أنمو بقلب مشوق

لا أستريح بعش
طورا بشاطئ نهر

من لذة التحليق
طورا بروضر شقيق

واختتم التمثيل في هذا الضرب ، قصائد الخمر الباقية ، بهذه :

عند ليّب الربيع جنّ غناء
لا مغلّ ولا مزاهر فيه
محرم السترن يسدّد ضربا
لا تعنّف وخذ سبيل وداد
أين في دارة التراب مقام ؟
زهرة من رياض كشمير جسمى
وأغاني واللحون نمتها
أرض شيراز حبّ ذاك اتناء^٣

وعروس الشقيق تزهي بهاء
ذاك لحن من عالم الغيب جاء
في وتار الحياة أيّان شاء^٢
قدّر الله في الحياة لقاء
كل شيء كالرمل يمضي هباء
وبأرض الحجاز قلبي أضاء
أرض شيراز حبّ ذاك اتناء^٣

وفي ديوان رسالة المشرق قسم سمّاه الشاعر نقش الفرنج ، ذكر فيها
جماعة من فلاسفة أوروبا وشعرائهم •

وهذه أبيات من هذا القسم عنوانها (شوبن هاوّر ونطشه)
الأول الفيلسوف الألماني المتشائم الساخط ، والثاني فيلسوف القوة
والأقدام •

شوبن هاوّر ونطشه

طار من عشه يسير بروضر فأصابته شوكة من زهور

(١) الوتار جمع وتر • ومحرم السر أهله •

(٢) أصل أسرة أقبال من كشمير ، وقلبه أضاء بالاسلام وشعره فيه نفحات شعراء شيراز ،

حافظ وسعدى وغيرهما •

(٣) مثل كم الزهرة ضيق معقد •

لعن الروض والزمان ونادى بثبور لنفسه والطيبور
ورأى وسمة الشقائق جورا وطمس البرعوم خدع غرورا
قال : دار على اعوجاج أقيمت كل صبح فيها إلى ديجور
ناح حتى تقاطرت نغمات من دماء بدمع عين غزير

وشجبا الهدد النواح فوافى
ينزع الشوك من جناح الكسير
قال : أخرج من كل خسر ربحا
مزق الورد صدره للعبير ٢

واجعل الجرح بلما فسترى
وألف الشوك تغد كلك روضا

هذه أمثلة من رسالة المشرق يرى فيها القارئ افتتان اقبال في شعره
عامة، وفي تصوير مذهبه خاصة .

وأردف هذه بأمثلة من ديوان ضرب الكلم . وهو كما بينت في
مقدمته ، وفي الفصل الأول من هذا الباب ، أقرب إلى الفلسفة منه إلى
الشعر ، وآراء اقبال فيه مقسمة على أبواب في موضوعات شتى ، كأنه
كتاب .

تكلم الشاعر عن الاسلام والمسلمين ، والتربية والتعليم والفنون
الجميلة والسياسة ، ووصل كل هؤلاء بمذهبه في الذات وتقويتها وصلا
ظاهرا أو خفيا . وقدمت نماذج من شعر هذا الديوان في الفصل :
« مذهب اقبال في الفنون الجميلة » والفصل : « مذهب اقبال في الشعر »

(١) رأى السمة السوداء في الشقائق ظلما لها . وهذه السمة في خيال الشعراء حرقه أو
وسمة كي أو لوعة حب . والبرعوم المنطبق على نفسه رأى فيه الفيلسوف المتشائم خدعا في
هذه الحياة .

(٢) يتفتح الورد لتفوح ريحه .

خاصة» • فحسبى هنا أمثلة قليلة في موضوعات أخرى •
آيات عنوانها : رجال الله

انما الحرّ من يجيد ضرابا	لا الذى حرّبه تدور هراء
وسجايا الأحرار تجمع تاجا	ذا سناء وخرقة وقباء ١
من خفايا ترابهم أخذ الدهر	شرارا فصاغ منه ذكاء
فطرة حرّة تعاف الدنيا	من طواف الأصنام عاشت براء
أنت فى الكفر والتدين جمعا	وثنى تقّس الأهواء

وهذه صفة المؤمن من صفات كثيرة وصفه بها الشاعر الكبير :

فى الدنيا

مع الصّحب لئن كمس الحرير	بعيد من المحكّ المؤمن ٢
شديد إذا ما طغى باطل	وكالليث فى المعرك المؤمن
من الطين لكن على الأرض يسمو	ويأبى على الفلك المؤمن
وما همّ به صيد طير ولكن	بصيد من الملك المؤمن

فى الجنة

تقول الملائك فى غبطة :	حيب الى قلبنا المؤمن
وللحور شكوى الى ربّتها :	سريع الى هجرنا المؤمن ٣

وانظر هذه المحاوراة بين الخالق تعالى وابليس فى آيات عنوانها :
القَدَر • والفكرة مأخوذة من ابن عربى •

(١) الحر لا يتغير بالاحوال المختلفة • ربما يكون فى وقت واحد ملكا ذا تاج وصوفيا ذاخرقة وشيخا ذا قباء •

(٢) القافية مردوفة بكلمة المؤمن • والروى الكاف فى الكلمات التى قبلها •

(٣) همته فى الجنة تسمو على الحور وكل متعة •

ابليس :

يا الالهة أمرته كن
لم يَصَبْ آدم متى
ويح غيرة من زمان
كيف أستكبر عن أمرك
كان في علمك أني
ليس عنه من محيد
بعدوة أو حسود
ومكان في حدود
أو كيف أحيد ؟
لست أرضى بالسجود

الخالق :

هل عرفت السر هذا
قبل أو بعد الجحود ؟

ابليس :

بعد يا من تجليته
الخالق (ناظرا الى الملائكة)
خسنة الفطرة فيه
قال : ما شئت سجودي
ذلك الظالم سمى
انه سمى رمادا
كمالات الوجود
لقتته الزور عذرا
أنا لا أملك أمرا
اختيارا فيه جبرا
شعلة فيه وجمرا

ولتب المحاورة أن ابليس لم يعرف أن إباء السجود مقدر عليه الا بعد
أن أبى • فالتقدير كان بعد ارادته • واقبال من دعاة حرية الارادة ، يقول
ان الانسان يبلغ من الحرية والمكانة عند الله أن يكون عزمه مشيرا على
القدر •

وهذا خطاب

الى أمراء العرب

هل يسعد الكافر الهندي منطقته
مسا ئلا أمراء العرب في أدب :
مَن أمة قبل كل الناس قد أخذت
بحكمة فأعانتها على النوب :

(١) كيف أحسد هذا الفر المقيد بالزمان والمكان •

(١) اجداد اقبال كانوا من البراهمة فلهذا يسمى نفسه الكافر الهندي •

اخاء كل تقى دون تفرقة
وهجر كل غوى من أبى لهب
ما من حدود وأرض كان منشؤها
من أحمد العرب كانت أمة العرب

ينمى على أمراء العرب التفرق والتفريق بين الناس ويقول انهم أول
أمة جاوزت حدود النسب والوطن ، وآخت في الناس كل مهتد يتبع
الرسول ، وهجرت كل غوى يتبع أبى لهب •

وهذه قطعة يسمو فيها اقبال على الأقوام والأوطان ، بل على الدنيا
والآخرة ، وينفث فيها قوة الحياة ونارها :

ولا أنا هندی ولا أنا أعجمی	الى عصبات العرب ما أنا منتهم
يمرّ على الدارين غير محوم	فقد حلقت بى (الذات) تحليق نافر
وأنت بعينى كافر غير مسلم	بعينك أنى كافر غير مسلم
ودينى احراق لأنفاس مقدّم	فدينك تعداد لأنفاس محجّم
فليس يضيق الطبى شرعة ضيغم ^٢	تبدلت ، فالتبديل فى الشرع تبغى
تشبّ بهذا العقل نار التقدم ^٣	ولست أرى فى بيدك اليوم جنة
فموت شعوب لحن هذا المنغم	إذا حاد عن نار الحياة منغم

واقبال يكرم المرأة كل اكرام ، ولكن لا يرى أن من كرامتها ما يسمى
حرية فى هذا الزمان • ويقول فيما يقول : لا بد من خلوة المرأة الى
نفسها فى بيتها •

وهذه أبيات من قسم المرأة من ديوان ضرب الكلم عوانها :
الخلوة

فضح العصر جنة بالسفور نور عن ، وظلمة فى الصدور
ان تجز متعة العيون مداها كان منها الشتات فى التفكير

-
- (١) هذا فرق بين المؤمن والكافر ، الاول يقدم محرقة انفسه ، والثانى يحجم معددا انفسه •
(٢) يكرر اقبال هذا المعنى ، ان المسلمين ضعفوا عن شريعة الاسلام فأولوها تأويلا يلائم ضعفهم •
(٣) استسلم المسلمون لقضايا الفلسفة والمنطق وتركوا الاقدام الذى لا يبالى بشيء ، فليس
فى صحرانهم اليوم الجنون الذى يعلم العقل الاقدام • يشير الى مجنون ليلى •

قطرة الماء لا تتحوّل دُرّاً ذون أصدافها بقاع البحور
وأبيات أخرى عنوانها :

حصانة المرأة

في الصدر سرٌّ ليس يدركه من حاز بردَ دمائه عصب :
حفظ الأنوثة في يدَي رجل لا العلم يحفظها ولا الحُجب
ان غاب هذا الحق عن أمم فكسوف شمس نهارهم كُتب
وأختم التمثيل بقطعة في باب السياسة من ضرب الكليم عنوانها :

الى أهل مصر

من أبى الهول أتتى نكتة وأبو الهول طوى السرّ القديم
كم شعوب بدلت سيرتها قوة لم يحفّظها العقل الحكيم
طبعها في كل عصر ماثل تبدل الشكل وتبقى في الصميم
فهي طورا في حسام المصطفى وهي طورا في عصاموسى الكليم

خاتمة

هذا ما وسعه الوقت ، وأذنت به الشواغل من سيرة اقبال وفلسفته
وشعره ، أقدمه لقراء العربية مقدمة لما عسى أن يتلوه من نظر أوسع
وأعمق في فلسفة هذا الشاعر الذى حمل الى الناس كافة ، والى المسلمين
خاصة ، رسالة الحياة والأمل والقوة الروحية في هذا العصر .

وقد بلغ القلم هذه الخاتمة في مدينة كراچى والساعة خمس وربع ٢
من ليلة الجمعة الرابع والعشرين ٣ من رمضان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة
وألف من الهجرة ، الموافق الثامن والعشرين من شهر نيسان سنة أربع
وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد .

والله حسبى وكفى . وهو المسئول أن يهدينا الى الحق ، ويرزقنا
الاخلاص في كل قول وفعل .

وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه .

اتتهى

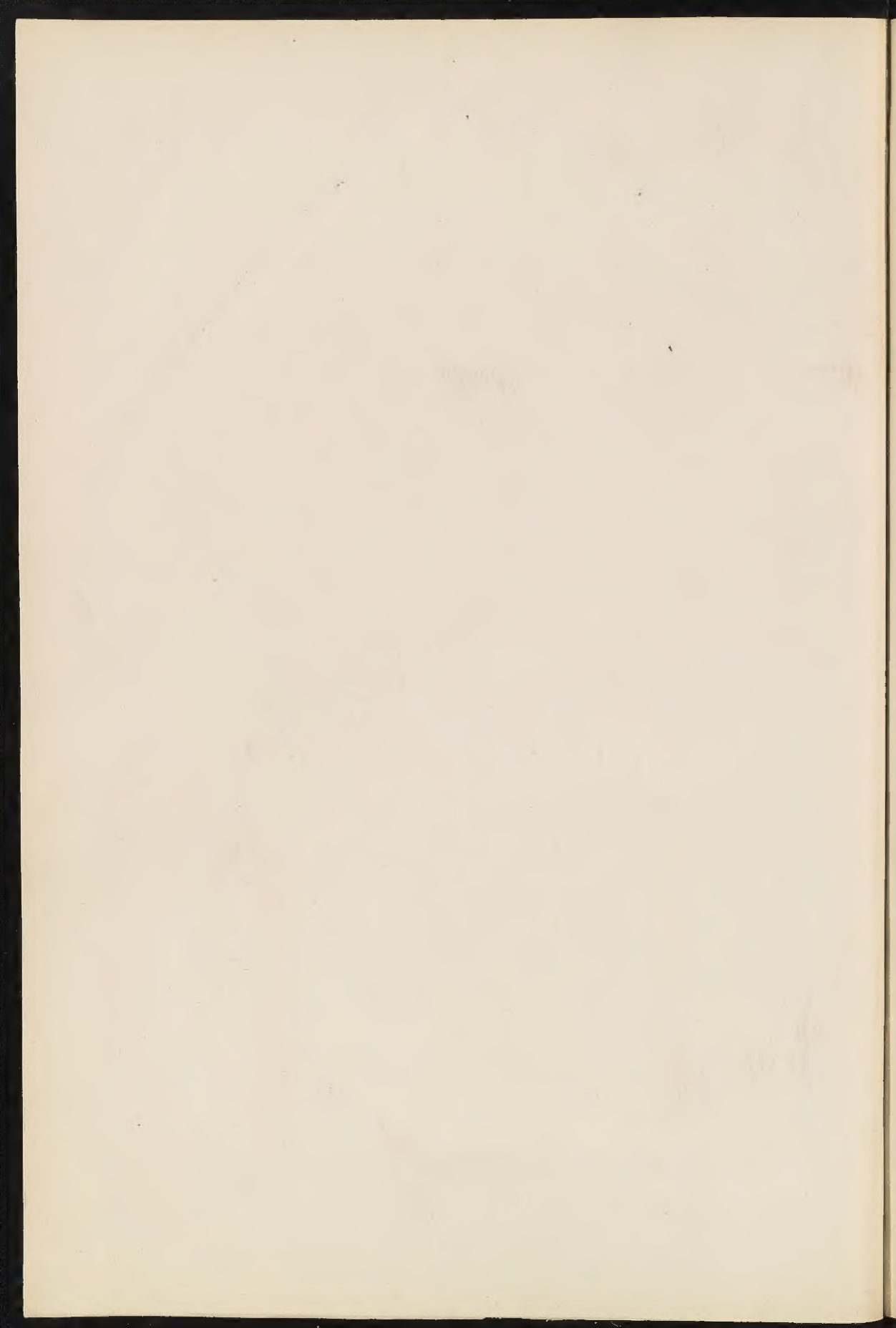
(١) أبو الهول يمثل القوة والعقل . رأس انسان على جسم أسد .

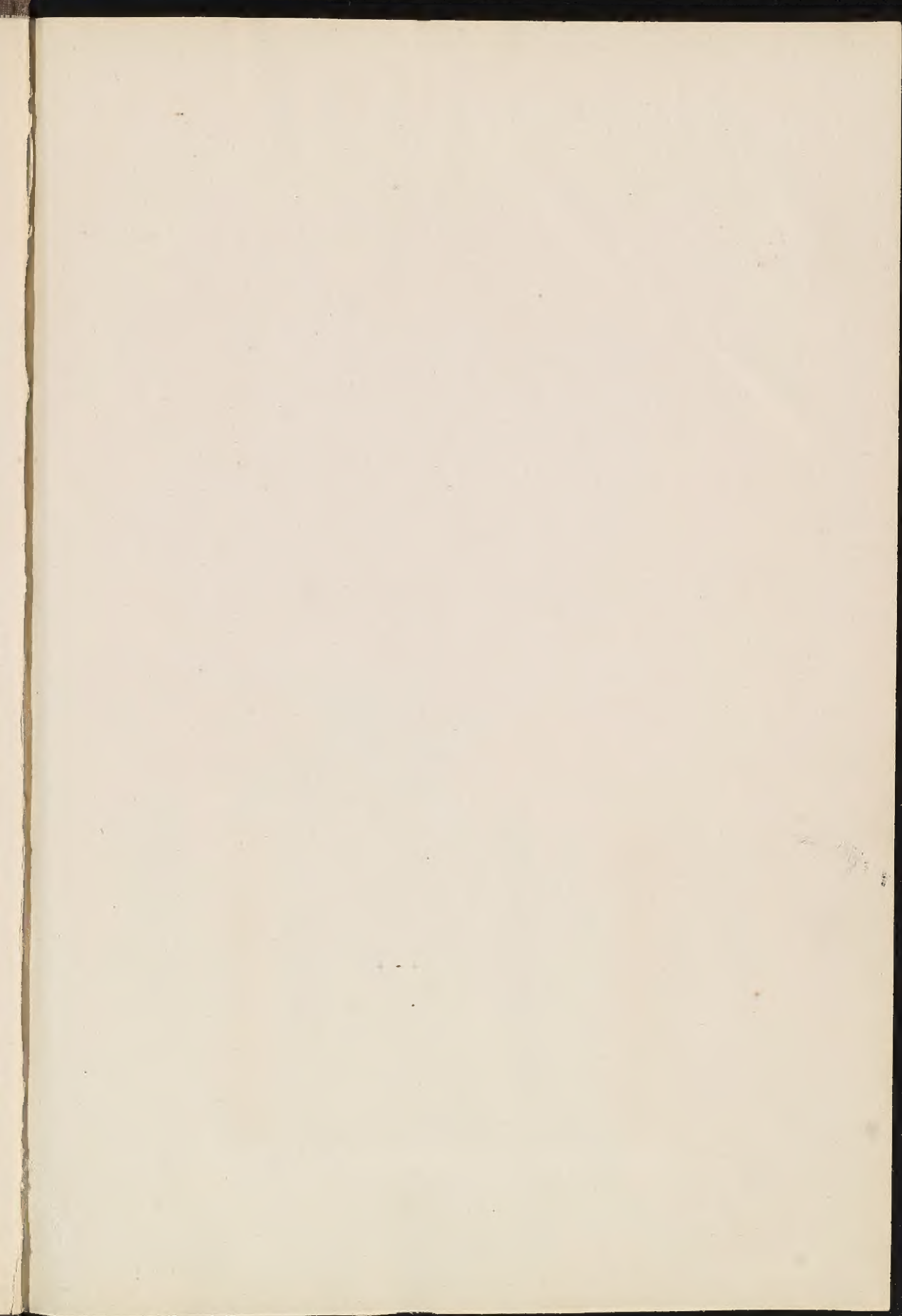
(١) بالتوقيت العربى وهو يتبدى من غروب الشمس .

(٢) بتوقيت باكستان . وهو الخامس والعشرون بتوقيت مصر هذه السنة .

فهرس الكتاب

٣	مقدمة الكتاب
	الباب الاول - سيرة اقبال
١٥	الفصل الاول - أسرته
١٩	الفصل الثاني - في سيالكوت
٢٢	الفصل الثالث - في لاهور الى سنة ١٩٠٥
٢٧	الفصل الرابع - سفره الى اوربا
٣٠	الفصل الخامس - اقبال في وطنه - من عودته من اوربا الى وفاته
	الباب الثاني - فلسفة اقبال
٤٨	الفصل الاول - منظومة اسرار خودي ، وما أثارته من جدال
٦٧	الفصل الثاني - خلاصة اسرار خودي
٤٨	الفصل الثالث - المنظومة الثانية ، رموز بي خودي
١١١	الفصل الرابع - أوجه اخرى لفلسفة اقبال
١٢٥	الفصل الخامس - أجابة اقبال للمعترضين على فلسفته في اوربا
١٣٢	الباب الثالث - شعر اقبال
١٣٣	الفصل الاول - دواوين اقبال
١٤٣	الفصل الثاني - مذهب اقبال في الفنون الجميلة
١٥٨	الفصل الثالث - مذهب اقبال في الشعر خاصة
١٦٤	الفصل الرابع - شعر اقبال
١٧٦	الفصل الخامس - أمثلة من شعر اقبال





892.81k1
DA

DATE DUE

SEP 30 2009

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

BOUND

JUN 18 1956

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU56699336

892.81k1 DA

Mu hammad lqb al, s

AP